المعين في البلاغة

(البيان - البديع - المعاني)

إعداد
قدري مايو

إشراف
الدكتور إميل بديع يعقوب



المعين في البلاغة

(البيان ـ البديع ـ المعاني)

عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب: ٨٧٢٣ ـ ١١، برقياً: نابعلبكي
هاتف: ٨١٩٦٨٤ ـ ٣١٥١٤٢ ـ ٦٠٣٢٠٣ (٠١)
خليوي: ٣٨١٨٣١ (٠٣)
فاكس: ٣١٥١٤٢ / ٦٠٣٢٠٣ (٩٦١١)

WORLD OF BOOKS
FOR PRINTING, PUBLISHING & DISTRIBUTION
BEIRUT - LEBANON

P.O BOX : 11-8723, CABLE : NABAALBAKI
TEL.: 01- 819684 / 315142 / 603203
CELL. 03-381831; FAX: (9611) 603203 / 315142

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م

المعين في البلاغة

(البيان . البديع . المعاني)

إعداد

قدري مايو

إشراف

الدكتور إميل بديع يعقوب

عالم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ | تاريخ ثبت :

مُقدِّمَة

البلاغة العربية ميدان واسعٌ من العِلْم قد يجد الدارسُ نَفْسه مُلْزماً على اقتحامه واجتيازه إنْ لم يكُنْ من قبيل تحصيل النجاح فمن قبيل نفضِ التُّراث البلاغيّ الكثيف والاطّلاع على نجوده وأغواره، ذلك لأنّه في جميع الأحوال يصلح قاعدةً متينة للدراسة الأدبيّة والنقد الأدبي.

وبفضلٍ من الله وتوفيقٍ تلقّيتُ اقتراحاً مجدّداً للتعامل مع الناشر اللبنانيّ والتعاون معه في حلّ عقدة البلاغة العربية بعد إسهامي الضّليع في شرح عددٍ من دواوين فُحول الشعراء بينهم عُمَرُ بن أبي ربيعة وكُثيِّرُ عَزَّةَ وابنُ الروميّ والأرّجانيّ..

وعن سابق خبرةٍ تشمّرت لهذه المهمة، لأزرعَ كُتب البلاغة المعاصرة طولاً وعَرْضاً، ولألِمَّ بالضّحْلِ والثرّ، من الكُتب المدرسية في أقطار عربيّةٍ شتّى، فإذا بي أمامَ فيضٍ مُستفيضٍ، عليّ أن أقفَ أمامه لأختارَ ما يناسبُ ليكونَ مرجِعاً في البلاغة العربية. ولا أُخفي أنني كُنْتُ جريئاً فيما أخذتُ وفيما تَركْتُ لا في تجديد الأمثلة فَحَسب، بل في بعضٍ قليلٍ ـ ولكنّهُ مُناسِبٌ ـ من المصطلحات والتّسميات والعناصر.

وكان من همّي وقصدي أن أدفع بالبلاغة العربيّة والتأليف البلاغي خطوةً إلى الأمام.

ولأنّني استعنتُ بشواهدَ من القرآن الكريم في معظم أبحاث البلاغة وتطبيقاتها وتمريناتها، حاولتُ جاهداً أن أوثّقَ الآياتِ بِذكْر اسم السّورة التي أخذتُ منها

أوّلاً، وبذكر رقم الآيةِ التي هي العبارة والشاهد ثانياً. . وإذا مرّ في موضعه شاهِدٌ شعريٌّ أو نثري عُنيتُ بالترجمة لصاحبه ترجمة مختصرةً، ومرّةً واحدة ليس أكثر، لئلاّ يخرجَ الكتابُ عن غايته ومنهَجِه.

وإذا كانت كُتُبُ البلاغة قبل هذا الكتاب تبدأُ بعنوانِ (الفصاحة والبلاغة) لتضعَ الدارسَ أمامَ شواهدَ وأمثلةٍ سلبيّةٍ عدمت الفصاحةَ في ألفاظها، وعُدِمتِ البلاغةُ في معانيها، أَجِدُني قد وفّرتُ على الدارسِ الخوضَ فيما يُستقبحُ قبل الخوضِ فيما يَحْسُن عِلْماً وإتقاناً، وبأقصر طريق إلى البلاغة العربيةِ في علومها الثلاثةِ (البيانِ والبديعِ والمعاني) كان هذا الدارسُ مع البلاغةِ مُزوّداً بِسِلاحين داعمين:

أَوّلُ هذين السّلاحين الداعمين، تطبيقاتٌ جاءتْ في إثْرِ كلّ دَرْسٍ، وهي عبارةٌ عن مجموعةِ أسئلةٍ تليها الأَجْوبةُ عنها مباشرةً.

وثاني هذين السّلاحين الدّاعمَيْن، تمريناتٌ جاءتْ بعدَ التطبيقاتِ على شكل مجموعاتٍ من الأسئلة، على الدارس أن يُحاوِل الإجابة عليها، فإنْ لم يستطع وَجَدَ الحلَّ بانتظارِهِ في مُلحقِ الكتاب أي في آخرِ فَصْلٍ من فُصولِه.

وقبلَ هذا وذاك من التطبيقات والتمرينات، أَغْنَيْنا كُلَّ مَبْحَثٍ بِعَديدٍ من النّماذج التي تمثّلُهُ وتقومُ شَواهِدَ على ما جاء فيهِ من معلوماتٍ وتقسيماتٍ وأفكار. .

إنّ هذا الكتابَ يضعُ نَفْسَه مَرْجِعاً للبلاغة العربيّة في جميعِ عُصورها، وقد تطلّعَ لمعجزةِ جَمْعِ الغُرامِ بعدَ تنسيقهِ بين دَفّتي كتابٍ وبالحجم المُناسِب للاقتناء والتّداول. وكلُّ ما يرجوهُ مؤلّفُه أن يكونَ قد وضع بتأليفه لَبِنةً جديدةً وهامّة في صَرْحِ اللّغة العربية الذي كُتب لَهُ أن يَظَلَّ مَعموراً بإذْنِ مُنزّل الذِّكْر الحَكيم الذي قال وهو أصْدقُ القائلين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: ١٩].

حلب ١٧/٩/١٤١٩هـ قدري مايو

عبد القادر محمد مايو الحلبي القسطلي

الرؤيةُ العامّةُ لعلومِ البلاغةِ العربيّة

يتألّفُ النصُّ الأدبيُّ بجميعِ أَجْناسه من مضمونٍ وشكلٍ وهما (المعنى والمبنى) باصطلاحِ القدماء.

وتقعُ علوم البلاغة العربية في خدمة النصّ الأدبي مضموناً وشكلاً. وبها نتحرّى عن أساليب الأُدباء في تأدية أَغْراضهم:

١ ـ بأجمل تصويرٍ (خيالٍ) وهذا هو اختصاصُ علمِ البيان.

٢ ـ بأبدعِ تعبيرٍ (تحسين لفظي ومعنويّ) وهذا هو اختصاصُ علمِ البديع.

٣ ـ بِأَوْقعِ تأثيرٍ (إصابة المعنى) وهذا هو اختصاصُ علمِ المعاني.

وكلُّ هذا يؤدّي إلى (مُطابقة الكلام لمقتضى الحال) التي هي البلاغةُ بعينها، وهي في مصطلح اليوم نجاحُ النصّ الأدبيّ في وُصولِهِ مِنَ المُبْدِعِ إلى المُتلقّي. والمُبْدِعُ هو الأديبُ من كاتبٍ أو شاعرٍ، والمتلقّي هو من يوجّهُ إليه النصّ الأدبيُّ من سامعٍ أو قارئٍ.

هذه الرُّؤية العامّةُ لعلومِ البلاغة العربيّة تُوفّرُ علينا الخوضَ في مقدّماتٍ مُسْهبةٍ عمّا كان يُعْرَفُ بالفصاحة والبلاغة.

ومع التّنبيه إلى أنّنا نتوخّى في مرجعنا البلاغيِّ هذا دراسةَ القواعد البلاغيّة، نُشيرُ إلى أننا لم نَسْتَغْنِ عن نصوصِ المبدعين لتكونَ شواهدَ وأمثلةً على ما نسوقُهُ مِنْ قواعدَ نظريّةٍ، ويقعُ في ذروة هذه النصوص، ما اقتبسناهُ من آيات القرآن الكريم، ومن الأحاديثِ النبويّة الشريفة، لأنّهما بإجماع الدّارسين مُنْطلقُ الحَلّ لإشكاليّة (البلاغة المُعْجِزة) واكْتناهِ أسْرارِها.

وإذا ذكَرْنا البَيانَ، فالبديعَ، فالمعاني في تَسَلْسُلِ الدّراسة، فذلك مُنطلقٌ مِنَ التّلامُسِ مع البلاغةِ في دُروسِ اللغة العربيّة وآدابِها، إذْ يفتحُ الدارسُ للنصّ عَيْنَهُ على صُوَرِ البيانِ أوّلاً، فمحسّناتِ البديع ثانياً، فتعقيداتِ المعاني ثالثاً.

وبينَ عِلْمِ المعاني وعلمِ النّحْو حبل وثيقٌ من العلاقة يحتاجُ رَصْدُه إلى تمكّنٍ من العِلْمَيـن مَعاً. وَهُوَ رَصْدٌ يُمكنُ إرجاؤه في التعامل مع النصوص، وهكذا أرْجأناهُ في خُطّتنا.

القسم الأول

علم البيان

التشبيه

تعريفُهُ:

التشبيه بأبسط عبارة هو: إلحاقُ شيءٍ بشيءٍ آخَرَ لعِلاقة مُشابهةٍ بينهما سواء أكانت هذه العلاقة جزئيّة في جانبٍ واحد كقولك: **الخَدُّ كالوردة، الوجهُ كالبدر**، أو في أكثر من جانبٍ، كقولك: عليٌّ كأخيهِ، وعُموماً يأتي وَجْهُ الشَّبَه لتحديد هذه العلاقة كما سنرى.

وكي يكونَ التشبيهُ مُحقِّقاً لغايته البلاغيّة يغلبُ أن يكونَ المُشبَّه بهِ متفوّقاً على المشبَّه في ذلك الجانب، أو تلك العلاقة بينهما، كقولك: **الحِصانُ كالرّيح**. وأنت تقصدُ علاقةَ السرعة في الانطلاق والهُبوب. فالريحُ بوجهٍ عامّ تتفوّقُ على الحصانِ انطلاقاً وهُبوباً.

أمّا المُشابهة بين اللاّحق والملحوق أو الشيئين فتعقدُها أداةٌ للتشبيه وأشهرُ أداةٍ هي: كاف التشبيه التي جاءتْ في الأمثلة السابقة:

الخدُّ كالوَرْدَةِ ـ الوجهُ كالبدرِ ـ الحِصانُ كالرّيحِ.

أَرْكانُه:

إذا أريد للتشبيه البياني أن يكونَ تامّاً، فلا بد فيه من توفّر أربعة أركان هي:

١ ـ المُشَبَّه.

٢ ـ المشبّه بِهِ.

ويسمّى هذان بطرفي التشبيه فبينهما تقومُ علاقةُ المشابهة.

٣ ـ أداةُ التشبيه.

٤ ـ وَجْهُ الشَّبَه.

أما أداة التشبيه فتكون:

أوّلاً ـ حرفيّة: كـ، كأنَّ، الباء الجارّة

وأمثلتها: المغنيّ كالبُلبل.

كأن اللّسانَ سيفٌ.

الصديقُ بِعَشَرةِ إخوةٍ.

ثانياً ـ اسميّة: مِثْلُ، شبيه، نظير، محاكٍ..

وأمثلتها: هو مِثْلُ البدر حُسْناً أو شبيه البدر.

هو نظيرُ حاتمٍ كَرَماً.

هو مُحاكٍ للقطار سرعةً.

ثالثاً ـ فِعْليّة: أَشْبَهَ، شابَهَ، ماثَلَ، حاكى..

وأمثلتُها: الطّفلُ أشْبَهَ العصفورَ أو شابَهَ العصفورَ.

القوامُ ماثَلَ الغُصْنَ تَعَطُّفاً.

الفتى حاكى الغَزالَ رَشاقةً.

أمّا وجه الشَّبه فهو الصفة الجامعة بين طرفي التشبيه والتي قامت بسببها علاقة التشبيه، ولا بدّ من التماسها في كل تشبيهٍ بيانيٍّ ظاهرةً أو مقدّرة. وذِكْرُ وجه الشبه يجعل التشبيه مفصّلاً كما سنرى في أقسام التشبيه. وهنا:

القَوامُ كالغصنِ: وجه الشّبه مُقدّر (محذوف).

القَوامُ كالغُصْنِ تعَطُّفاً: وَجْهُ الشّبه ظاهرٌ من خلال التمييز النّحوي: **تعطُّفاً**.

وأكثرُ ما يقترن وجهُ الشَّبَهِ بحرف الجرّ (في) كقولك مثلاً:

حاتمٌ كالبحر في الكَرَمِ ـ خالدٌ كالأسَدِ في الشجاعةِ.

أقسام التشبيه وأنواعُه:

نقصد بالأقسام: ما تفرَّعَ من تقسيماتٍ بالنظر إلى أركان التشبيه الأربعة المذكورة:

المُشبَّه به ـ المشبَّه ـ أداة التشبيه ـ وجه الشَّبَه.

ونقصد بالأنواع ما نُظر فيهِ إلى غير الأركان مِثلِ: تأثير التشبيه وبلاغته، وارتباطه بالتمثيل، والإيحاء الضمنيّ الذي يشبه الإيحاء بلا ذكرٍ صريح.. وسوف نقتصر على استعراض الأهمّ والشائع من هذه الأنواع.

أولاً ـ أقسام التشبيه:

أ ـ **التشبيه التامّ الأركان:** وهو التشبيه الذي ذُكرتْ فيه أركانُ التشبيه الأربعة (طرفا التشبيه مع الأداة ووجه الشبه) كقولِكَ مَثَلاً:

المُعلّم كالأبِ في التّضحيةِ.

المعلّمُ: مُشَبَّه.

الأبُ: مُشبّه به.

الكاف: أداةُ التشبيه.

التضحيةِ: وَجْهُ الشَّبَه.

هاهُنا توفّرت الأركانُ الأربعةُ فهو تشبيه تامّ الأركان.

ب ـ **التشبيه المُرْسَل:** وهو التشبيه الذي ذُكرتْ مَعَهُ الأداة. وهذه أمثلةٌ عليهِ:

لاحظ أداة التشبيه:

أَرْضُنا مِثْل الكُرة: مثل.

جِبالُها كالأوتاد: كـ.

سُهولُها تُشبه المِهاد: تشبه.

ج ـ **التشبيهُ المُؤكّد:** وهو التّشبيه الذي حُذِفَتْ منه الأداةُ بوجود وجهِ الشبه

أو عَدَمِهِ. وهذه أمثلةٌ عليه:

الصديقُ أخٌ في إخلاصِهِ ومحبته.

العامِلُ أداةٌ مُسخَّرة لخدمةِ الوطنِ.

العنيدُ صَخْرةٌ لا تلين.

د ـ **التشبيه المُجْمَل**: معنى المجمل المختصر، أو خلافُ المُفَصَّل، وهو التشبيه الذي حُذف منهُ وجهُ الشَّبَه، وهذه أمثلة عليه:

خالدٌ سَيْفُ الله.

الأُمّ شجرةُ الخير.

أَخوك شُعلةٌ.

هـ ـ **التشبيه المُفصَّل**: وهو التشبيه الذي يحوي على ذكرِ وجهِ الشَّبَه ممّا يؤدّي إلى تفصيلِ العبارة.

وهذهِ أَمْثِلةٌ عليهِ:

عِلْمُكَ بَحْرٌ في غزارتِهِ.

لسانُكَ سيفٌ في حدّتهِ.

صاحِبُك كالقَصَبَةِ في الطُّولِ.

وبالنظر إلى ما يُحذف أو ما لا يحذف من أركانِ التشبيه وخاصة (الأداة ووجه الشبه)، يُلاحَظ أن حذف وجه الشَّبه مثلاً يؤدّي بالتشبيه إلى الاختصار والإيجاز. كما أن حذف الأداة مثلاً يؤدّي إلى تأكيد التشبيه وكأنه حقيقةٌ، ولهذا سُمِّيَ التشبيهُ المؤكَّدُ المُجمَل تشبيهاً بليغاً مما يدخل في أنواع التشبيه التي ننظر لدلالاتها وبلاغتها من خلالِ ما يرمي إليه الأديبُ البليغُ من إيرادها على شكلٍ مُعيّن.

ثانياً ـ أنواع التشبيه:

قد يحلو للأديب البليغ استعمالُ أنواعٍ خاصة من التشبيه تكونُ أبلغَ في أداء

الغرضِ الذي يطرقه. وإليكَ تعداداً لأشهر هذه الأنواع، مع فكرةٍ مُوجزةٍ عن كلّ منها:

أ ـ التّشبيه التّمثيليّ: هو التشبيه الذي يكون وجه الشبه فيه صورةً مُنتزعةً من مُتعدِّدٍ، فهو بهذا المعنى تشبيهُ حالةٍ بعناصرها المتعدّدةِ، بحالةٍ بعناصرها المتعدّدة كقولكَ مَثَلاً:

السّماءُ بنجومها كالثّوبِ الموشّى بالدُّرر.

فهاهنا لوحتان متقابلتان، تتألف كلٌّ منهما من أكثر من عنصر: السماء ومَعَها النُّجوم كالثوب الداكن الذي تزينه الدرر أو اللآلىء. وقد كثر استعمال التشبيه التمثيليّ لدى الشعراء والأدباء في القديم والحديث، ووردتْ منه نماذج في القرآن الكريم. الذي يعدّ قمة البلاغة العربية، وفي الحديثِ النبوي الشريف الذي يتبعُهُ في المنزلة. ومن أشهر شواهد التشبيه البليغ في الشعرِ العربيّ، قولُ بشّار بن بُرْد وهو شاعر مخضرمٌ بين العصرين الأُمويّ والعبّاسيّ، وهو يصفُ جَيْشاً:

كأنّ مُثارَ النّقْعِ[1] فَوْقَ رُؤوسِنا وأسيافَنا، ليلٌ تهاوى[2] كواكِبُهْ

ووَجْهُ الشّبَه المنتزَعُ من مُتعدِّدٍ واضحٌ في بيت بشّار: فهاهنا الليلُ مقابلُ النقع، والكواكب مقابلُ السّيوف، ووجهُ الشبه صورةٌ قائمةٌ بعناصرها التي لا تنقصُها الحركةُ، من أعلى إلى أسفل كَتهاوي الكواكب المقارَن بضرباتِ السُّيوف رَفعاً ونُزولاً في أجساد الأعداء، وكِلا الكواكبِ والسُّيوف فيه بريقٌ ولمعانٌ.

ب ـ التّشبيهُ الضِّمْنيُّ: هو التّشبيه غير المباشر يلتقطُهُ المتلقّي الذكيّ أو اللمّاظ. فهو تشبيه لا يُتبيّن فيه طرفا التشبيه من مُشبّهٍ ومُشبّهٍ بِهِ. وتكون علاقة التشبيه قائمةً دون تصريحٍ ودونَ توظيفِ أداةٍ طَبْعاً.

أنت تقول مثلاً:

---

(١) النقع: الغبار.

(٢) تهاوى: أصلها تتهاوى بمعنى تتساقط.

- وَقَعتُ في الخَطأ، والحُفرةُ قد تُرْدي[1].

فأحدنا يستنتج ضِمْناً أنّ الخطأ الذي وَقَعتَ فيه كالحفرةِ فهذا تشبيهٌ ضمنيٌ، لا ذِكْرَ فيه لمشبَّهٍ أو لمشبَّهٍ به، ولا لأداةٍ مما نعرفه من أدوات التشبيه، وإنّما هو تقريبٌ ذهنيٌ بحت بين مُتشابهين هُما الخطأ والحفرة.

ولعلّ من أشهر نماذج التشبيه الضمنيّ في الشّعر العربيّ قول الشاعر أبي فِراس الحَمْدانيّ يفخر بمكانته في قومِهِ بعد غيابه عنهم أسيراً في بلاد الروم، قال:

سَيَذْكُرني قومي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ ... وَفي الليلةِ الظَّلماءِ يُفتَقَدُ البَدْرُ

فهو قد شَبَّه نَفْسَه بالبدرِ المنير، ولكن ضِمْناً لا تصريحاً، وهذا ما سَبَقَ إليه التعريف بالتّشبيهِ الضِّمْنيّ.

ج ـ التَّشبيهُ المَقْلُوبُ: هو تشبيهُ المُبالغة في الوَصْفِ التي تكون بقلب المُشبّه به إلى مُشبّه على أملِ تأكيد الصّفة في موصوفٍ مُعَيّن إلى درجة الإدهاش.

فإذا قُلْنا مثلاً:

حاتمٌ كالبحر جُوداً.

كان التشبيه مُرْسلاً أو مفصّلاً لوجود الأداة ووجه الشّبه. ولكنْ إذا قُلْنا:

البَحْرُ كَحاتِم.

فلقدْ قَلَبْنا الصُّورة بقلبِ المُشَبَّه به (البحر) إلى مشبّهٍ، إشعاراً منا بأن البحرَ أقلُّ جُوداً من حاتمِ هذا. وهذا الإشعار كفيلٌ بإثارةِ دهشتنا وإعجابنا الشديد أو تعجّبنا من جود رجلٍ اسمُه حاتم.

والواقع أن هذا النّوع من التشبيه قليل الاستعمال لأنه عُدّةُ المُفرط إلى درجة الكذب أو المَلَق، وأكثر من يركب هذا المركب المدّاحون، والشاهد على هذا النوع من التشبيه قول البحتري في معرضِ وَصْفِهِ لِبِرْكة الخليفة المتوكّل التي في قصرِه:

---

(1) تُرْدي: تُهلِك.

كأنها حينَ لجّتْ[1] في تدفُّقِها   يَدُ الخليفةِ لمّا سالَ واديها

فالبُرْكةُ بشلاّلاتِها هي التي تُشْبِهُ يدَ الخليفة، لا يدُ الخليفة هي التي تُشْبه شلاّلاتِ البُرْكة، وما أعجبَهُ مِنْ تشبيه!..

د ـ **التشبيه البليغ**: هو التشبيه الذي يُوحي بالتطابق بين طَرَفَي التشبيه (المشبَّه، والمشبَّه به) فيبلغُ درجةً مشهودةً من البلاغة والتأثير. فإذا جعلنا المشبَّه هو عينُ المشبَّه بِهِ فلقد بلغنا القصد دون مُبالغةٍ كالتي وجدناها في التشبيه الضمني.. هذا التّشبيه بالنظر إلى أركانه هو: تشبيهٌ مؤكَّدٌ (محذوف الأداة) ومُجملٌ (محذوف وَجهِ الشَّبه) كأن نقولَ لمن نُعْجَب بكرمِهِ: (أنْت بَحْرٌ). أو نقولَ عن فتاةٍ نُعْجب بجمالها: (هي وَرْدَةٌ).

هذا الشكل من أشكال التعبير أو هذا النوع من أنواع التشبيه يُعَدُّ أقرب الأنواع إلى المَجَاز لأنه يجاوز الحقيقة بجعل الكريم بَحراً، وجعل الفتاةِ الجميلة وَرْدَةً، وجعل عنترة الشُّجاع أسَداً، إلخ..

وللتشبيهِ البليغ أشكالٌ من حيثُ علاقةُ المشبَّه والمشبَّه بِهِ.

وهذه هي أهمّ الأشكال والعلاقات:

١ ـ علاقة المُسند إليه والمُسند، أو المبتدأ والخبر: عنترة أَسَدٌ.

٢ ـ علاقة المضاف والمضاف إليه: لاَحَ ذَهَبُ الأَصيلِ.

٣ ـ علاقة المصدر المبيِّن للنوع: هَجَمَ هُجومَ الأَسَدِ.

٤ ـ علاقةُ صاحبِ الحال والحال: تألَّقتِ الفَتاةُ شَمْساً.

ففي الأمثلة (٢، ٣، ٤) كأننا قُلْنا:

الأصيلُ ذهَبٌ.

هجومُهُ هُجومُ الأَسَدِ.

---

(١) لجّتْ: زادتْ وأفرطتْ.

الفتاة شَمْسٌ.

أمّا المثالُ الأوّلُ، فيتحقّقُ فيه التشبيه البليغ بِكُلِّ وضوح لاقتصاره على الطّرفين حَصْراً (مشبّه ومُشبّه بِهِ):

عنترة أسَدٌ - حاتمُ بَحْرٌ - الوَجه بَدْرٌ.. إلخ

وللتشبيهِ البليغِ شواهد وأمثلة كثيرةٌ في الأدب العربيّ (شِعْرِهِ ونَثْرِهِ) ومن ذلك قولُ الشاعر في ممدوحه:

أنتَ بَدْرٌ في رِفْعَةٍ وَضياءِ ... تَجْتَليكَ العُيونُ شَرْقاً وغَرْبا

وقول آخر:

هو بَحْرُ السَّماحِ والجُودِ فازْدَدْ ... مِنْهُ قُرْباً تَزْدَدْ من الفقْرِ بُعْدا

أغْراضُ التَّشْبيه:

تكلَّمَ القدماءُ على أغراضِ التشبيهِ فذكروا منها على سبيل المثالِ لا الحَصْر:

١ - بيان مقدار المشبَّه: ومثّلوا لهذا الغرض بقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ..﴾ [سورة البقرة: ٢٦١].

٢ - بيانُ حالِ المُشَبَّه: ومثالهُ قولُ النابغة في مدح الملك النعمان:

كأنّكَ شمْسٌ والملوك كواكبٌ ... إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

٣ - تقبيحُ المُشَبَّه: وجاءَ من ذلك قولُ ابنِ الرومي في منظر مُغَنٍّ قبيحٍ:

كَأنّه[1] أبَداً مِنْ قُبْحِ مَنْظرِهِ ... مجاذِبٌ وَتَراً أوْ بالع حَجَرا

٤ - تزيينُ المُشَبَّه: وجاءَ منه قولُ أحدهم في جاريةٍ سوداء:

سَوْداءُ واضِحةُ الجَبِيـ ... ـنِ كَمُقْلَةِ الظَّبْيِ الغَريرِ

---

(١) في الديوان: تخالُهُ أي تحسَبُه، وهو فعل يُفيد معنى التشبيه، كالأداة (كأنّ).

فقد شبّهَ الشاعرُ سَواد الجاريةِ بمقلةِ الغزال الفنّيّ تحسيناً لها في العيون.

٥ ـ بيان إمكانِ المُشَبَّه: ويَغْلِبُ أنْ يُحَقِّقَ هذا الغَرضَ تشبيهٌ ضمنيّ. كقول الشاعر:

لئنْ تَفُقِ الإِخْوانَ في كلِّ مَجْلِسٍ ... فما تَتَساوى في الأكُفِّ الأصابِعُ

أمّا في العصرِ الحديث، فما عادت أغراضُ التشبيه كما كانت عليه، وقلَّ لجُوءُ المبدعين إلى التشبيه غَرَضاً، إلاّ إذا لَخَّصَ حالةً شعوريّةً نبيلةً أو مُنحدرة. قال إيليا أبو ماضي في قصيدته الشهيرة «الطّين»:

يا أخي لا تمِلْ بوجهِك عنّي ... ما أنا فحمةٌ ولا أنْتَ فَرْقَدْ[1]

أيّها الطّينُ لَسْتَ أنْقى وأسْمى ... مِنْ تُرابٍ تَدوسُ أوْ تَتَوَسَّدْ

ويلاحظ هنا استغناء الشاعر عن الأداة التي هي دليل التشبيه الأوضح، كما يُلاحظُ تلخيصُه لحالتين شُعوريّتين في البيت الأول:

أنا فحمةٌ = وضاعة المقدار.

أنت فَرْقد = رِفعة المقدار.

وتلخيصُه المُشابه، لحالة تواضعِ قدر الإنسان في البيت الثاني بما مضمونه: «لستَ أسْمى من تُرابٍ يُداسُ» والخطابُ للمتكبّر المُتَعالي من البشر بوجهٍ أخصّ.

فلم يَعُدِ التّشبيهُ في مدرجِ الاستعمال المبتذل، ضمن أُفقٍ بلاغيٍّ يَصْلُح للاستشهاد والتمثيل على أنّه مُرْسَل، أو مُفَصّل، أو تمثيليّ أو ضمنيٌّ إلخ.. كما لم يَعُد قَيْدَ الأغراض التي ذكرها القدماء.

بلاغةُ التّشبيه:

عرفنا أن التّشبيه فنٌّ من فنونِ البيان، يبدو محدوداً حيناً إذا اقتصر على إيضاح العلاقة بين شيئين مُتقاربين (الخدُّ كالتّفاحة). ولكنّهُ يُجاوزُ وظيفةَ البيان والإيضاح

---

(١) فَرْقَد: نَجْم.

أحياناً ليكونَ وسيلةً رفيعةَ المستوى من وسائلِ المُبْدعين في التعبير بل التّصوير قال المتنبي يصفُ حالَ سيف الدولة في المعركةِ:

وَقَفْتَ وما في الموتِ شَكٌّ لِواقِفٍ كَأَنَّكَ في جَفْنِ الرَّدى وَهْوَ نائِمُ

وقال أبو فراس الحمدانيّ يعتزُّ بمكانتهِ في قومِه:

سيذكُرُني قومي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ وفي الليلة الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

وما زالَ التشبيهُ البلاغيُّ يتردّدُ في ذاكرة اللسانِ العربيّ والأمّة العربية حتى خلّف عندهما قُدوات الرجالِ المشاهير المتمثّلة: بشجاعة عنترة، وكرمِ حاتم، وحِلْمِ الأحنف، وبطش الحجّاج..

وهكذا نرى أن التشبيه رُكْنٌ ليس من علم البيانِ فحسب، بل هو ركنٌ وعُمْدَة في البلاغة العربيّة يقاربُ المَجازَ حيناً، وينأى عَنْهُ حيناً آخر بحسبِ انتمائه إلى أقسامٍ وأنواعٍ مرّتْ بنا سابقاً. وسوف نفرغُ لدراسةِ المجاز وأهميّته في موضوعٍ لاحق.

تطبيقات على التشبيه
(أسئلة محلولة)

س ١ ـ استخدم فِعْلاً واسماً وحَرْفاً من أدواتِ التشبيه في أمثلة على التشبيه المرسل:

ج ١: الطِّفْل يُشْبِهُ المَلَكَ في براءته.

الطِّفْلُ مِثْلُ المَلَكِ في براءتِهِ.

الطِّفْلُ كالمَلَكِ في براءتِهِ.

س ٢ ـ مَثِّل لِكلٍّ من التشبيهات الآتية بالنظر إلى أركان التشبيه:

أ ـ التشبيه المُرْسَل.

ب ـ التشبيه المؤكَّد.

ج ـ التشبيه المفصَّل.

د ـ التشبيه المُجمل.

ج ٢:

أ ـ الصاحبُ المرائي كالثعلب المخادع (مُرْسل).

ب ـ هُو كالهِرّة في نعومته (مؤكّد).

ج ـ لكنّه كالأفعى في أذاهُ (مُفصّل).

د ـ تَحْسَبه أخاً وهو عَدُوٌّ (مُجْمل)

س ٣ ـ صف الصاحب المرائي ببيتٍ من الشعر يتضمن تشبيهاً تمثيلياً.

ج ٣: قال الشاعرُ في المُرائي:

يُعطيكَ من طَرَف اللسان حَلاوةً ويروغُ[1] مِنكَ كما يروغُ الثعلبُ

س ٤ ـ بيّنْ نَوْعَ التشبيه (تمثيليّ، ضمنيّ، مقلوب، بليغ) في الأبيات الآتية:

ـ قد يَشيبُ الفتى وليس عجيباً أن يُرى النّوْرُ[2] في القضيبِ الرّطيبِ

ـ فإنّكَ كالليلِ الذي هُوَ مُدرِكي وإن خِلْتُ أنّ المنتأى[3] عنك واسِعُ

ـ أنْتَ عَيْني، وهَلْ أُريدُ لِعَيْني غَيْرَ كُحْلِ العُيون والإبْصارِ؟

ـ وَبَدا الصَّباحِ كأنّ غُرّتَهُ[4] وَجْهُ الخَليفةِ حينَ يُمْتَدَحُ

ج ٤ : التشبيهات على التوالي والترتيب:

ضمنيّ ـ تمثيليّ ـ بليغ ـ مقلوب.

س ٥ ـ هل يكون التشبيه تامّ الأركان؟ مَثّلْ لتشبيهٍ تامّ الأركان وأشرْ إلى كُلّ من أركانِهِ الأربعة.

ج ٥ : قال الشاعر:

أنت كالسّيف في رهافةِ حدٍّ ما رآهُ العدوُّ إلاّ استجارا

هنا تشبيه تامُّ الأركان، وفيه:

أنت: مُشَبّه.

السّيف: مُشَبَّهٌ بِهِ.

الكاف: أداة التشبيه.

رهافة الحدّ: وجه الشَّبَه.

س ٦ ـ وظّف التشبيه البلاغي في كلّ من الأغراض الآتية بأمثلةٍ من عندك:

أ ـ بيانُ مقدارِ المُشبّهِ.

---

(١) يَرُوغُ: يغيّر منحاه وطريقه ولا يثبت.

(٢) النّوْر: الزّهر.

(٣) المنتأى: البُعد والمسافة.

(٤) الغُرّة: البياض في الوجه.

ب ـ بيانُ حالِ المُشَبَّهِ.

ج ـ تزيين المُشبَّه وتحسينه.

د ـ تقبيح المُشبَّه.

هـ ـ بيانُ إمْكانِ المشبَّه (توفرهُ أو حُدوثُهُ).

ج ٦:

أ ـ رُبَّ صَديقٍ كعشَرةِ إخوةٍ. (بيان مقدار المشبَّه).

ب ـ الحقيقةُ واضحةٌ كالشمس. (بيان حال المشبه).

ج ـ سُمْعَتُه كالمِسْك. (تزيين المشبه).

د ـ لِلمُجْرِمِ وَجْهٌ كوجه القِرْد. (تقبيح المشبَّه).

هـ ـ احمَرَّ وجهُهُ والوَرْدُ يخجَل. (بيان إمكان المشبه).

س ٧ ـ أشِر إلى رُكني التشبيه المتوفرين في كلِّ تشبيهٍ تجده في البيت التالي، وسمِّ نوعَهُ:

قال الشاعِر في وصف الطبيعة:

والريحُ تعبَثُ بالغُصونِ وقَدْ جَرى ذَهَبُ الأصيلِ على لُجَيْنِ[1] الماءِ

ج ٧: في البيت تشبيهان بليغان بعلاقة إضافة المُشبَّه إلى المشبَّه به:

١ ـ ذَهَبُ الأصيلِ: الأصيل: مُشَبَّه.
الذَّهب: مُشَبَّه به.

٢ ـ لُجَيْنُ الماءِ: الماءُ: مُشَبَّه.
اللُّجين: مُشَبَّه بِهِ.

وكلٌّ منها تشبيه بليغ حوى على طرفي التشبيه فقط.

س ٨ ـ احذِفْ ما يَجب حذفُه من أركان التشبيه في التشبيهات التالية لتحولها إلى

---

(١) اللُّجين: الفِضّة.

تشبيهات بليغة مع ذكر العلاقة بين طرفيها:

أ ـ وثبَ الفتى على عدوِّه كالنَّمِر.

ب ـ وجدته غيوراً كالسيفِ المرهفِ.

ج ـ آمَنْتُ بأن الحقَّ سِلاحٌ بيد صاحبه.

ج ٨:

أ ـ وَثَبَ الفتى على عدوِّه نَمِراً. (علاقة حال بصاحب حال).

ب ـ الغيورُ سيفٌ مُرْهَفٌ (علاقة مُسند إليه ومسند، مبتدأ وخبر).

ج ـ سِلاحُ الحقِّ ينصُرُ صاحبَهُ (علاقة إضافة).

س ٩ ـ طبّق علاقات المشبه به بالمشبه على أشكالها الأربعة في أمثلةٍ على التشبيه البليغ.

ج ٩:

أ ـ علاقة المسند إليه والمسند أو المبتدأ والخبر:

العروسُ قَمَرٌ.

ب ـ علاقة صاحب الحال (المشبَّه) بالحال (المشبَّه به):

نَهَضَ الرَّجلُ جِداراً.

ج ـ علاقة الإضافة:

فاضَ بحرُ الخَيْرِ.

د ـ علاقة المصدر المبيّن للنوع:

هَبَّ هُبوبَ العاصِفَة.

(أي إنَّ هُبوبه هُبوبُ العاصفةِ نَفْسِها من حيث نَوعُهُ فهو شديد جدّاً).

س ١٠ ـ هات مما تحفظُ شاهداً على التشبيه التمثيلي:

ج ١٠: قالَ أبو العلاءِ المعرّيُّ في وصْفِ النَّجم سُهيلٍ:

وَسُهَيْلٌ كوَجْنَةِ الحِبّ[1] في اللوْ نِ وقَلْبِ المُحِبّ في الخَفَقانِ
يُسْرِعُ اللَّمْحَ في احْمِرارٍ كَما تُسْـ ـرِعُ في اللَّمْحِ مُقلةُ الغَضْبانِ

وشاهد التشبيه التمثيلي في البيت الثاني.

(١) الحِبّ بكسر الحاء: المحبوب أو المعشوق.

تمرينات على التشبيه(*)

س ١ ـ عرّف التشبيه بإيجاز، وهات مثالاً عليه.

س ٢ ـ عدد أركان التشبيه.

س ٣ ـ ما هما طرفا التشبيه؟ ولماذا عرفا بهذا الاسم.

س ٤ ـ أشر إلى أركان التشبيه حيث تجدُ تشبيهاً في الأبيات التالية، وسمْ التشبيه بالنظر إلى أركانه:

كأنّك الآسُ(١) طيباً حين أقربُه ... كأنّك الوَردُ شَوكاً حينَ نفترِقُ

ليسَ احتباسُكَ إلاّ ما تُكابِدُهُ(٢) ... كَعَبْرةٍ في مآقي العَيْنِ تختَنِقُ

إنْ تُشرِق الشّمسُ صُبحاً فهي آفِلةٌ(٣) ... يا مُشرقَ الوَجهِ أنت الصُّبحُ والشَّفَقُ(٤)(**)

أنا كالوَرْدِ فيهِ راحةُ قومٍ ... ثمّ فيهِ لآخرينَ زُكامُ

ولَقَدْ ذكرتُكِ والنُّجوم كأنّها ... في الصَّحْوِ من طولِ السُّهادِ(٥) عُيوني

ولقد ذكرتُكِ والرِّماحُ نواهِلٌ(٦) ... منّي، وبيضُ الهند(٧) تقطر من دمي

(*) تجد إجاباتها مختصرة في آخر الكتاب.

(١) الآس: نبت طيّب الرائحة بلا شوك.

(٢) تكابده: تعاني منه وتتعذب.

(٣) آفلة: غائبة.

(٤) الشّفق: مغرب الشّمس بلونٍ أحمر.

(**) الأبيات من قصيدةٍ لصاحب التأليف (قدري مايو).

(٥) السُّهاد: الأرَق.

(٦) نواهل: جمع ناهل، وهو الشارب من الماء وغيره.

(٧) بيض الهند: السّيوف.

فـوَدِدْتُ تـقـبـيـلَ الـسُّـيـوفِ لأنّـهـا لـمـعـتْ كـبـارِقِ ثَـغْـرِكِ الـمُـتَـبَـسِّـمِ

لا تَـسَـلْـنِـي فـيـمَ الـولـوعُ[1] بِـنـاءٍ[2] هــو كــالــظّــبــيِ لَـفْـتــةً وشُــرودا

س ٥ ـ مَثِّل (هاتِ مِثالاً) لأنواع التشبيه الآتية:

البليغ، التمثيليّ، الضِّمنيّ، المقلوب.

س ٦ ـ مَثِّل لأغراضِ التشبيه الآتية:

تزيين المشبّه ـ تقبيح المشبّه ـ بيان حال المشبّه ـ بيان مقدار المشبّه ـ بيان إمكان المشبّه.

س ٧ ـ استخدم ثلاثة من الأفعال المعدودة بين أدوات التشبيه في جُملٍ بلاغيةٍ من عندك.

س ٨ ـ استخدم ثلاثةً من الأسماء المعدودة بين أدوات التشبيه في جُملٍ بلاغية من عندك.

س ٩ ـ استخدم الأحرف المعدودة بين أدوات التشبيه في جملٍ بلاغيةٍ من عندك.

س ١٠ ـ أشر إلى التشبيه الوارد في البيت التالي، وحدِّدْ أركانه، ونوعه بين أنواع التشبيه.

مـرآةُ وَجْـهِـكَ يـا مَـحـبـوبُ صـافـيـةٌ رأيـتُ فـي صَـفْـوِهـا الـدُّنـيـا ومـا فـيـهـا

---

(١) الوَلوع: شِدّةُ الحُبّ.

(٢) ناءٍ: بعيد، وقصد به الحبيبَ المبتعد.

المَجاز

تعريفه:

المجاز بمعناه العام هو ما جاوز غيره وتعدّاه، فإذا صرفناهُ إلى عالم البلاغة وجدناه بمعنى أخصّ وهو ما جاوز الحقيقة أو خالف الحقيقة من الكلام. فهنالك فرقٌ واضحٌ بين قولك:

مشى الغُلامُ إلى المدرسةِ (وهذه حقيقة).

وقولك:

طارَ الغُلامُ إلى المدرسة قبل أن يتأخر (وهذا مجاز).

ولعلك تلاحظ أننا شفعنا العبارة الثانية بقرينةٍ مانعةٍ من إرادة المعنى الأصلي للفعل (طارَ) لندلّل على أننا أردنا بِها الإسراع، لا الطيران والتحليق في الجوّ، فجئنا بذكر التأخير والمدرسة.

هذا التفريق بين الحقيقيّ والمجازيّ من الكلام أمرٌ أساسيٌ في استيعاب عُلوم البلاغة العربية وفهمِها. وسنحاول عرض موضوعه بالحدِّ الأدنى من التعقيد، وكأنه تمهيد مبسطٌ لموضوع الاستعارة كفنٍّ من فنون البيان أو ما اصطلحنا على تسميته بِعلم البيان من بين العلوم الثلاثة (بيان ـ بديع ـ معان) ومرّةً أخرى نقول:

الحقيقة: هي استعمال الألفاظ فيما وضعت لَهُ في الأصل.

والمجازُ: هو استعمال الألفاظ في غير ما وضعت له في الأصل لغايةٍ بلاغيّةٍ.

وقد صنّف علماءُ البلاغة الكلام المجازيّ أو المجاز إلى مجازٍ عقليٍّ ومجاز

لغويّ وركّزوا اهتمامهم على المجاز اللغويّ لأنّه ألصق بعالم البلاغة أمّا المجاز العقليُّ فهو لا يتعلق بعلوم البلاغة، وإن تعلّق فيكون أقرب إلى علم المعاني من علمي البيان والبديع. ومع ذلك سنقف مع المجاز العقلي وقفةً جدُّ مختصرة قبل أن نأتي إلى ما يهمّنا وهو المجاز اللغوي.

المجاز العقليّ:

يقوم على إسنادِ الفعل إلى غير فاعله الحقيقيّ بموجب علاقاتٍ معيّنة بين الفِعل وفاعله. هذه العلاقات يقبلُها الاستنتاجُ العقليّ وإن لم تكن حقيقية في لفظها وأوضح علاقاتها ما يلي:

١ ـ العلاقة السببيّة: رَمّمَ الحاكمُ القَلْعةَ.

فالحاكم لا يرمّم القلعة بيديه وإنما يأمر بترميمها أو يكون سبباً في ترميمها وإصلاح بنيانها.

٢ ـ العلاقة الزمانية: جادَ الزمانُ بلقياكَ.

فالزمانُ لم يَجُد ولم يَبْخَلْ وإنّما كان مسرحاً متاحاً للّقاء.

٣ ـ العلاقة المكانيّة: ضجّت القاعة بمن فيها.

القاعة لا تضجّ وإنّما يضجّ الناس المزدحمون فهي مجرّد مكان.

٤ ـ العلاقة المَصْدريّة: قامَ قيامُه وجدّ جِدُّه.

القيام: فِعْل القيام، أو مصدر الفعل ولا يقوم إلا على وجه المجاز العقلي ليفيد المبالغة العظمى، وكذلك: (جَدّ الجِدّ).

٥ ـ علاقة الفاعل بلفظ المفعول: ازمِ حجاباً مَسْتوراً.

أراد باسم المفعول (مستور) اسم الفاعل (ساتر) لكنه استخدمها حين أمِنَ الالتباس بمنطق العقل.

٦ ـ علاقة المفعول بلفظ الفاعل: أبشِرْ فأنت الواهبُ الطاعِم.

أراد باسم الفاعل (واهب) واسم الفاعل (طاعم) اسمي المفعول (موهوب، مُطْعَم).

وتعتبر بلاغةُ المجاز العقليّ من أرقى أنواع البلاغة فهي شكلٌ من الإسناد المعنوي فيه مغالطة مقصودة لا تخفى على الألباء.

المجاز اللُّغويّ:

هو استعمال كلمةٍ في غير معناها الحقيقيّ لعلاقةٍ بينها وبين ما استُعملتْ من أجْلِهِ، مع وجودِ قرينةٍ تمنعُ إرادة معناها الأصليّ أو الحقيقي.

ومن هذا التعريف الشامل، أو من هذا المُنطَلَق نلحظ مذهبين في المجاز اللغويّ وهما:

أولاً - مذهبٌ العلاقةُ فيه بين الحقيقة والمجاز علاقةُ مشابهة وهذه هي الاستعارة التي سنجعل لها موضعاً من الاهتمام بعنوان خاص.

ثانياً - مَذْهبٌ العلاقةُ فيه بين الحقيقةِ والمجاز علاقةٌ غيرُ المُشابهةِ، فهيَ علاقةٌ مطلقةٌ مختلفةُ المناحي، كالسَّببيَّة، والمُسَبَبِيَّة، والكُلّية، والجزئيّة إلخ. . ولأنها علاقة مطلقة غير محدودة نسمّي هذا الضرب من المجاز بالمجاز المُرْسل وسيكون موضع دَرْسِنا واهتمامِنا قبل أن نأتي إلى المجاز التشبيهي الذي هو الاستعارة.

المجازُ المُرْسَل:

هو استعمال الكلمة في غير معناها الحقيقيّ لِعلاقةٍ بينها وبين المعنى المجازيّ غير المُشابهةِ مع وجود قرينةٍ تمنعُ إرادةَ المعنى الحقيقي للكلمة. ومثالُه الواضح إذا قُلْتَ لأحدهم:

لَكَ عليّ يدٌ ما زِلْتُ أَذْكُرُها.

فأنت تقصدُ باستعمالِ كلمة (اليد) هاهُنا العطاء أو الفضل الذي كان سببَهُ اليد، ولا تقصد اليد التي هي عضوٌ مِن أعضاء الجَسَد.

ومع التأكيد على أنّ العلاقة بين الحقيقة والمجاز عندما تكونُ غير المشابهة علاقةٌ غيرُ محدودةٍ، ولا يمكن إحصاءُ حالاتها نكتفي بإيرادِ نماذج لهذه العلاقات كما أوردها البلاغيّون القُدَماء.

١ ـ علاقة السببيّة: السَّيْفُ أَنْطَقُ بالحقّ.

هنا (السيف) مجاز مرسل علاقته السببية فهو سبب القوّة.

٢ ـ علاقة المُسبّبيّة: رعت الماشيةُ الغيثَ.

هنا (الغيث) مجاز مرسل علاقته المسبّبيّة فهو الذي يتسبب عنه العشب الذي ترعاه الماشية.

٣ ـ علاقة الكلّية: شربتُ ماءَ النيل.

هنا (ماء النيل) ذُكر الكُلّ وأريد به الجُزء، فالإنسان لا يشربُ ماء النيل كلّه بل جزءاً يسيراً منه.

٤ ـ علاقة الجزئيّة: قلّمتُ ظُفر العدوّ.

هنا (ظفر العدوّ) جزءٌ أريد به الكلّ، بمعنى أدّبت العدوّ والتأديب يقع على الكلّ وليس على الجزء كالظفر مثلاً.

٥ ـ اعتبار ما كان: أيّها الطينُ لا تتكبّرْ.

هنا (الطين) قصد به الإنسان الذي كان طيناً قبل أن تنفخ فيه الروح.

٦ ـ اعتبار ما سيكون: كم وَلدت الأمّهاتُ من أبطال.

هنا (أبطال) قُصِدَ بها أطفالٌ سيكونون أبطالاً في مستقبل أيّامهم.

٧ ـ العلاقة الحاليّة: سافرْتُ إلى الكُرماء.

هُنا (الكرماء) يحلّون في بلدٍ أو موضع هو الذي يُسافر إليه فذكَرَ الحالّين وقَصَدَ المحلّ الذي حلّوا فيه:

٨ ـ العلاقة المحلّية: ركِبْتُ الطريق إلى بيروت.

هُنا (الطريق) ليس مركوباً وإنما المركوب سِواه من دابةٍ أو سيّارة. فالطريق

مَحَلُّ تَذْرَعُهُ وَسيلةُ النقلِ مهما كانت.

٩ ـ العلاقة الآليّة: لا تكُنْ عَيْناً على بيتِ جارك.

هُنا (عيناً) آلة التجسّس، ذكر الآلة أو الوسيلة أو الأداة وأراد بها فعلها من التجسّس والتلصّص.

١٠ ـ علاقة المنقول إليه: قَرنُك آلمني.

هنا (قَرْنُك) قَصَدَ بها جَبينك أو رأسكَ، نَقَلَها ممّا يخصّ الإنسان إلى ما يخصّ التَّيس أو الثور، ويمكنُ حملها على محمل الاستعارة.

المجاز التشبيهي:

هو المجاز الذي تكون فيه العلاقة بين الكلمة وبين ما استخدمت من أجله علاقة مشابهة مع توفر قرينةٍ تمنعُ إرادة المعنى الأصلي أو الحقيقي.

كأن تقول بقولِ الناصح:

لا تكن قاسياً فتُكسَر، ولا تكُنْ لَيّناً فتُعْصَر.

هُنا تَكَرَّر المجاز مرّتين في قوله (تُكْسَر، تُعْصَر) فالكَسْر يكون لعودِ الخشب، والعَصْرُ يكون للثمرة المائيّة كالبرتقالة.. فكأنّه قد شبّه الإنسان القاسيَ بعودِ الخشب اليابس، والإنسانَ الرّخو الليّن بالبرتقالة، ولكنه لم يُعرِّجْ على ذِكْر التشبيه، ولم يستعملْ أيّاً من أدواته، وتركنا لنفهم الكَسْر بمعنى الإخْضاع والإذلال، والعَصْر بمعنى الانتهاز والاستِغْلال، فهذا مجاز لغويٌ علاقته المشابهة أو هو الاستعارة بِعَيْنها، مما سنخصّص لبحثه عنواناً مستقِلاً سيأتي لاحقاً بعد موضوع المجاز الذي فرغنا مِنْهُ.

تطبيقات على المجاز العقليّ واللغويّ

س ١ ـ عرّف المجاز العقلي وهاتِ مثالاً عليه.

ج ١ : المجاز العقليّ ما خالف الحقيقة بإسناد الفعل إلى غير فاعله ويكون مقبولاً بدلالةٍ عقليّة وهو أقرب إلى علم المعاني منه إلى علم البيان. ومثالُه:

بنى الأميرُ المدينةَ.

س ٢ ـ عرّف المجاز اللغوي وهاتِ مثالاً عليه.

ج ٢ : المجاز اللغويُّ هو استعمال كلمةٍ في غير معناها الحقيقيّ وذلك لعلاقة بينها وبين ما استُعملت من أجله، مع وجود قرينةٍ، تمنعُ إرادة معناها الأصليّ أو الحقيقي. ومثالُه:

أصدر المجلسُ قراراً.

س ٣ ـ ماذا يُسمّى المجاز اللغوي إذا لم تكنْ العلاقة بين الكلمة المجازية ومعناها الأصلي علاقة مُشابهة؟ هاتِ مثالاً عليه.

ج ٣: يُسمّى المجاز اللغوي إذا لم تكن العلاقة بين الكلمة المجازية ومعناها الأصلي علاقة مشابهة بالمجاز المُرْسل ومثاله:

خرجتِ المدينةُ تستقبلُ زعيمَها.

س ٤ ـ ماذا نُسمّي المجاز اللغوي إذا قامت العلاقة فيه بين المعنى المجازيّ والمعنى الحقيقيّ على المشابهة؟ هات مثالاً عليه.

ج ٤ : نُسميه في هذه الحالةِ بالمجاز التشبيهيّ وبالمصطلح البلاغي نُسمّيه استعارةً.

وهذا مثالٌ عليه:

سالَ دَمْعُ العَيْنَيْن على وَرْدتين في الوَجْه الصَّبوح.

هنا؛ استعارَ الوردتين لمعنى الخدّين لعلاقة المشابهة في اللونِ بين الوردِ والخدّ.

س ٥ ـ بيّن العلاقة في كُلِّ مَجازٍ مُرسلٍ مما يأتي:

أ ـ قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [سورة غافر: ١٣].

ب ـ وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [سورة نوح: ٧].

ج ـ وقال الشاعر في المديح:

ولدتْك أُمُّكَ حاتِماً في جُودِهِ ... فأبيت قبضَ الكفِّ في الميلادِ

د ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [سورة الانفطار: ١٣].

هـ ـ قال المتنبيّ مادِحاً:

لَهُ أيادٍ عليَّ سابغةٌ[1] ... أعدُّ منها ولا أعدِّدُها

و ـ وقال الحجّاجُ في خطبته في الكوفة: «إنّي لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافُها».

ز ـ قال الشاعر يقرّع المتكبّر:

أيّها الطِّفلُ هل كبرتَ مَقاماً ... أم ترى الناس ما كبرتَ صِغارا

ح ـ وقال الشاعر يهجو:

دبّتْ حوافِرهُ فقمتُ مُرحّباً ... وحَسِبْتُهُ بَيْنَ الأنامِ أَناما

ج ٥:

أ ـ المُسببيّة: (فالرزق مُسَبّب عن المطر).

---

(١) سابغة: مُتفضّلة مديدة كالرداء.

ب ـ الكلّية: (فالأصابع كُلٌّ يدخل في الآذان جزء منه).

ج ـ اعتبار ما سيكون: (الأم لا تلد مولودها رجلاً كحاتم).

د ـ الحالية: (النعيم يحلّ في جنّة الإقامة).

هـ ـ السببيّة: (الأيادي سبب العطاء الوفير).

و ـ الجزئية: (ذكر الرؤوس وأراد الأبدان كُلّها).

ز ـ اعتبار ما كان: (أراد بالطفل من كان طفلاً من قبل).

ح ـ علاقة المنقول إليه: (نقل الأقدام إلى الحوافر فالحوافر منقول إليه، والحوافر أقدام الدابة).

س ٦ ـ اجمع بين أنواع المجاز (العقلي، اللغوي المرسل، اللغوي التشبيهي) في عبارةٍ من عندك.

ج ٦: جَمَعَ الحاكمُ مدينته وألقى على المسامِعِ خطبةً طارتْ شهرتُها، وَرَوَتْها الأفواه.

س ٧ ـ هاتِ مثالاً على العلاقة الآلية في المجاز المرسل ضمن عبارةٍ من عندك.

ج ٧: قامت السِّياط بتأديب المجرمين.

س ٨ ـ بيّنْ علاقاتِ المجاز المُرسل في الآياتِ الكريمةِ فيما يلي:

أ ـ قال تعالى: ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾ [سورة طه: ٧٤].

ب ـ وقال تعالى: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [سورة يوسف: ٨٢].

ج ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [سورة النساء: ١٠].

د ـ وقال تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح: ١٠].

هـ ـ وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن: ٢٧].

و ـ وقال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥].

ج ٨: علاقات المجاز المرسل في الآيات الكريمة السابقة هي كما يلي على الترتيب نفسه:

أ ـ المجاز المرسل في كلمة (مجرماً) والعلاقة اعتبار ما كان.

ب ـ المجاز المرسل في كلمة (القرية) والعلاقة المحليّة.

ج ـ المجاز المرسل في كلمة (ناراً) والعلاقة المُسبّبيّة.

د ـ المجاز المرسل في كلمة (يد) والعلاقة الآليّة، فاليد آلة القوّة.

هـ ـ المجاز المرسل في كلمة (وجه) والعلاقة الجزئيّة.

و ـ المجاز المُرْسل في كلمة (الشّهر) والعلاقة الكلّية.

س ٩ ـ استخدم المجازَ العقليّ بإسناد الفعل إلى غير فاعلِهِ في ثلاثِ عباراتٍ مِنْ عندك.

ج ٩: العبارات الثلاث هي:

١ ـ حرّر صلاحُ الدين القُدْسَ.

٢ ـ ضَجّت القاعةُ بالتصفيق.

٣ ـ تدفّق سَيْلٌ مغمورٌ.

س ١٠ ـ ما نوعُ المجاز في قولِكَ: «اجْعل لِسانَكَ قَبْلَ يَدِكَ»؟

ج ١٠: المجاز مُرْسل، وعلاقتُهُ الآليّة في كلمتي (يد، لِسان).

تمرينات على المجاز بأنواعه

س ١ ـ هات مثالاً على المجاز العقلي علاقته السببيّة.

س ٢ ـ هات مثالاً على المجاز المُرسل علاقته اعتبار ما كان.

س ٣ ـ هات مثالاً على المجاز المُرسل علاقتُه اعتبارُ ما سيكون.

س ٤ ـ هات مثالاً على المجاز المُرسل علاقته الكلّية.

س ٥ ـ هات مثالاً على المجاز المُرسل علاقته الجزئيّة.

س ٦ ـ هات مثالاً على المجاز اللّغويّ التشبيهي، واذكُر الاسم الأشهر لهذا النّوع من المجاز.

س ٧ ـ ما نوعُ المجاز وما علاقتُه في قولِ أحمد شوقي:

وإذا النّساءُ نَشَأْنَ في أُمّيةٍ رضعَ الرّجالُ جهالةً وخُمولا

س ٨ ـ ما نوعُ المجاز في قولِ إيليا أبي ماضي:

أيُّها الطينُ لستَ أنْقَى وأسمى مِنْ تُرابٍ تَدوسُ أو تتوَسّدْ

س ٩ ـ ما نوعُ المجاز في قولِ الشاعر القديم:

كفى بالمرءِ عَيْباً أن تَراهُ لهُ وجهٌ وليسَ لَهُ لِسانُ

س ١٠ ـ اضرِبْ ثلاثة أمثلةٍ على كُلٍّ من المجاز العقليّ، والمجاز اللغوي المُرسل، والمجاز اللغويّ القائم على التشبيه.

الاستعارة

تعريفُها:

هي بالمصطلح البلاغي: مجازٌ لغويٌّ علاقته المشابهة. وإذا فَكّكنا هذا التعريف إلى عناصرهِ، وجدنا فيه ما يلي:

أولاً: كون الاستعارة مجازاً وليس حقيقةً من الكلام، وفي المجاز نستخدمُ الكلمة في غير معناها الحقيقي أو في غير معناها الذي وضعت له في الأصْل.

ثانياً: كون العلاقة بين لفظ الاستعارة وبين مدلوله الذي استُعير من أجله هي علاقة مُشابهة، وليست إحدى علاقات المجاز العقلي أو المجازِ المُرْسَل التي مرّتْ بنا من قبل.

ثالثاً: كون الاستعارة تشبيهاً، حُذفت منه بعضُ أركانه الأربعة (مُشَبَّه، مُشبَّه بهِ، أداة، وجه شبه) ولا تتّضح هذه النقاط التي جرّها التعريف المذكور إلا بتحليل مثالٍ نموذجي من أمثلةِ الاستعارة.

قال الشاعر القديمُ يتغزّل واصفاً محاسنَ محبوبته:

فأَمطَرتْ لُؤْلُؤاً من نَرْجِسٍ، وسَقَتْ وَرْداً، وعضَّتْ على العُنّابِ بالبَرَدِ

اللُّؤلؤ: حبّاتٌ ثمينة لامعة تُسْتَخرج من أصداف البحر.

النَرجِس: زَهْرٌ شكلُهُ كالعيون.

العُنّاب: ثَمَرٌ أحْمَرُ شائقُ اللّون.

البَرَد: حبّاتُ المَطَر المجمّدة، وهي بيضاء ناصعة.

ولا يخفى من شرح معنى البيت أن الشاعر قد قَصَد:

باللؤلؤِ الدُّموعَ.

وبالنَّرجِس العُيونَ.

وبالوَرْدِ الخُدودَ.

وبالعُنّابِ الأنامِلِ أو رؤوسَ الأصابع.

وبالبَرَدِ الأسْنانَ.

وقد فُهِمَ هذا القصدُ من علاقةِ ما ذُكِرَ مِنَ الألفاظِ في البيت تصريحاً بما فُهِم منها بتصوير حسناء باكية.

ويلاحظُ هاهُنا توفُّر استعاراتٍ عدّة ومجازاتٍ علاقتُها المُشابهةُ (بين الورد والخد مثلاً) دون وجود أركانِ التشبيه المعهودة إلاّ واحداً مِنها في كُلِّ استعارة. وهو المُشبَّه بِهِ.

اللؤلؤ: دموع لم تذكر بلفظها.

النَّرجس: عُيون لم تذكر بلفظها.

العنّاب: أصابع لم تذكر بلفظها.

البَرَد: أسنان لم تذكر بلفظها.

ويأتي مجالُ الاستعارة التي هي أحد فنون علم البيان من هذا الحذف لثلاثةٍ من أركانِ التشبيه المعروفة وهي:

الأداةُ، وجهُ الشَّبَه، أحدُ الطرفين (المشبّه أو المشبّه به). وهنا تتَّضِحُ علاقةُ الاستعارة بالمجاز، من حيث كونها مجازاً علاقته المشابهة، وتتّضح علاقتها بالتشبيه من حيث كونها تشبيهاً حُذفت أركانه إلاّ واحداً وهو أحد الطرفين مع وجودِ قرينةٍ ملفوظةٍ أو ملحوظةٍ تَمْنَع إرادة الكلمة التي فيها الاستعارة بمعناها الحقيقيّ أو الأَصليّ.

ومن نماذج الاستعارة المشهورة قولُ الشاعر القديم في الرثاء وسيرةِ الموت:

وإذا المَنِيّةُ أنشَبتْ أظفارَها ... أَلفَيْتَ كُلَّ تميمةٍ لا تنفَعُ

المنيّةُ: المَوْت. أَلْفَيْتَ: وَجَدْتَ. التّميمة: التعويذةُ أو الرُّقْيَة التي يُستشفى بها.

في الاستعارة: (أَنْشبت المنيّةُ أَظفَارَها) جَعَل المنيّةَ كالوحش تشبيهاً، وحَذَفَ المشبه به وأبقى ما يدلُّ عليهِ (الأظفار)، وها هُنا تشبيهٌ لم تُذْكَر فيه أداةٌ ولا وجهُ شبهٍ ولا مُشبّهٌ بهِ.. وهاهُنا مجازٌ لا حقيقةٌ، وتبقى العلاقةُ بين الموتِ والوحشِ ذي الأظفار علاقةَ مُشابهةٍ بشكلٍ أو بآخر وبهذا يتحقق ويتّضحُ تعريفُ الاستعارةِ تفصيلاً. كما تتّضح علاقتها بالمجاز من جهة، وبالتشبيه من جهة أخرى. وهذه أمثلة تجمع الثلاثة بمضمون واحد لتتضح دلالة كل منها من خلال علاقته بالآخر:

وَجْهُكَ مِصْباحٌ: هنا تشبيه بليغ.

حَيّيْتُ وَجْهَكَ: هُنا مجاز مرسل علاقته الجزئيّة.

أضاءَ وَجْهُكَ: هنا استعارة.

أركانُها:

مرّت بنا من قبل أركان التشبيه، ووقفنا عندها وقسّمنا التشبيه على أساسها ما بين (مُرسَلٍ ومؤكّدٍ ومُجملٍ ومُفَصّلٍ) إذا لم يكنْ تشبيهاً تامّ الأركان. ويأتي تساؤلنا في موضِعِه إذا تساءلنا:

هَلْ للاستعارة أركان تقومُ عليها؟

ما هي هذه الأركان؟

أما لجهة السؤال الأوّل فجوابه بالإيجاب، فالاستعارة بعضٌ من التشبيه أو بالأحرى بعض من أركانِهِ.

وأما لجهة السؤال الثاني فالاستعارة ذات ركنين هُما طرفا التشبيه (المُشَبّه والمُشبّه به) لكن هذين الركنينِ لا يجتمعانِ معاً في استعارة واحدةٍ. ولتبسيط الموضوع ننظر إلى الركن الأهمّ أو الطرف الأهمّ الذي يكونُ به التشبيه وينتقلُ به

الكلامُ من الحقيقة إلى المجاز، وهو المشبه بِهِ. فلولا المشبّه به لم تكن الاستعارة، فنظرتنا تتجه إليه دائماً فإن صُرِّح بلفظهِ فالاستعارة تصريحيّة، وإنْ لم يُصرَّحْ بلفظه وكُنِيَ عنه بشيءٍ من لوازمه فالاستعارة مكنيّة.

وهكذا تكونُ الاستعارةُ مؤلّفةً من رُكنينِ هُما:

١ ـ المُستعار مِنه أو المستعار وهو في مضمونه مشبّهٌ بِهِ. وهو الأهمّ من الركنين.

٢ ـ المُسْتعار لَهُ وهو في مضمونه مُشَبّه ويكون خفيّاً وملحوظاً في سياق الاستعارة. فإذا قُلْنا: نَطَقَ الخطيبُ بالدّرر، كانت استعارةً نفهمُ منها أن المُشَبَّه أو المستعار لَهُ هو كلام الخطيب، وأنّ المشبّه به أو المستعار منه هو الدُّرَر بلفظِهِ الصَّريح. بينما لم نذكر جانب الكلام صراحةً وهو المفهوم من الفعل (نطق) فَهماً غير مُباشِر.

إنّ اجتماع الطرفين المشبه والمشبه به أو المستعار له والمستعار منه في عبارة واحدة يعني العودة إلى التشبيه البليغ:

وجهُكَ قَمَرٌ: تشبيه بليغ

ولكن حذف المشبّه واستبقاء المشبّه به أو المستعار منه، بلفظِهِ أو بشيءٍ من لوازمه تلك هي الاستعارة:

يا أخي، يا قمرُا: استعارة تصريحيّة.

يا أخي، نوّر علينا: استعارة مكنيّة.

ويلاحظ أننا قد بدأنا بلفظِ (يا أخي) كقرينةٍ تمنعُ إرادة المعنى الحقيقي للكلام وتبقينا في المعنى المجازي الذي منه الاستعارة.

أقسام الاستعارة:

نظرَ البلاغيّون في تقسيم الاستعارة إلى عدّة اعتبارات، عقّدت الأمور على الدارسين. وقد حاولنا الإلمامَ بها وتلخيصها فكانت نظرتنا إلى الاستعارة بالاعتبارات التالية:

أ ـ اعتبار الطّرفين.

ب ـ الاعتبار الصرفيّ والاشتقاقي.

ج ـ اعتبار التلاؤم.

د ـ اعتبار المضمون.

أ ـ تقسيم الاستعارة باعتبار الطّرفين:

لا يخفى علينا أن طرفي الاستعارة هُما في الأصل طرفا التشبيه (المشبّه والمشبّه به) أو (المستعار لهُ والمستعار منهُ) بمصطلحٍ آخر، ولأنّ الاستعارة تُعَدُّ ضَرْباً من التشبيه الذي يقوم بالدرجة الأولى على ركن المشبّه بِهِ أو المستعار منه، ننظرُ إلى هذا الركن فإذا صُرِّح بلفظه فالاستعارة تصريحيّة، وإذا لم يصرّح به فالاستعارة مكنيّة أي مستورة بنوعٍ من التلميح هو ذِكْرُ بعضٍ لوازم المُشبّه. وها نحن نعطي فكرةً موجزةً عن كلٍّ من هذين القسمين.

١ ـ **الاستعارة التصريحية**: وهي التي تشتمل على ذكر المشبّه به تصريحاً بلفظه مع توفر القرينة بعدم إرادة المعنى الأصلي أو الحقيقي لهذا المشبّه به أو المستعار.. وهذا شاهدٌ للإيضاح.

قال أبو الطيّب المتنبي يمدح سيف الدولة الحمداني من خلال حديثه عن رسول ملك الروم:

وأقبلَ يَمْشي في البِساطِ فما دَرى إلى البحرِ يَسْعى أَمْ إلى البَدْرِ يَرْتقي

هنا عندنا استعارتان تصريحيّتان:

إلى البحر يَسْعى (المستعار له الممدوح سيف الدولة، والمستعار منه البحر الذي هو مثال الكرم).

إلى البَدر يرتقي (المستعار له الممدوح سيف الدولة، والمستعار منه البدر الذي هو مثال التألّق والسموّ).

وقرينة عدم إرادة المعنى الأصلي أو الحقيقي لكلمتي (البحر، البدر) قول

المتنبي مقدّماً: (وأقبل يمشي) عن رسول ملك الروم في حضرة سيف الدولة.

٢ ـ **الاستعارة المكنية**: وهي التي يُحذف فيها المشبه به أو المستعار[1].

ويرمز أو يُشار إليه بشيءٍ من لوازمه، وهذا شاهدٌ للإيضاح:

قال الشاعر البحتري في وصف الربيع:

أتاكَ الربيعُ الطَّلْقُ يختالُ ضاحكاً ... من الحُسْنِ حتى كادَ أن يتكلّما

لنقف عند عبارته (يختال ضاحكاً) فالرّبيع في نظر الشاعر إنسان من طبعه الاختيال وهو الزهو بالنفس، ومن عادته الضحك. هُنا استعارة مكنيّة، وهذا بيانُها:

الربيعُ: مُشبّه مذكور أو مُستعارٌ لَهُ.

إنسانٌ: مشبّهٌ بِهِ محذوفٌ ومكنّيٌ عنهُ ببعضِ طباعهِ وعادتِه كالاختيالِ والضحك. .

وهذه الاستعارة المكنيّة هي الأكثر رواجاً واستعمالاً، ومن أمثلتها في كلامنا: نامَ حظُّه، رقص حظُّه، هاجمهُ الفقر، أسْعفَه الغنى، صدمه اليأس، عانقه الأمل إلخ. . وهذه الاستعارات بُنيت على التشخيص أي على تمثيل المعنويات بإنسانٍ له شخصُهُ وأفعالُه على سبيل الاستعارة المكنيّة بالمنظور البلاغيّ الذي نتحدّثُ عنه.

صحيح أن الاستعارة تشبيهٌ ناقص أو محدود الأركان ولكنها تظلّ الأبلغ تأثيراً في المتلقّي من سامعٍ أو قارىءٍ.

ب ـ الاستعارة بالاعتبار الاشتقاقي أو الصرفي:

تُقسم إلى قسمين: أصلية وتبعيّة.

والمقصود بالاعتبار الصرفي نظرتنا إلى اللفظ المستعار أو المشبّه بِهِ فيما إذا كان اسماً جامداً غير مشتقّ أو كان من مشتقات الأسماء كاسم الفاعل واسم

---

(١) المُسْتعار: هو المستعار منه، فاستخدم أيهما تشاء.

المفعول، وحتّى الفعل نفسه يُعدّ من المشتقات لأنه مأخوذٌ من أصلٍ هو المَصْدر مثل (شجاعة، إكرام، نجدة، وفاء..).

تتولد عنها أفعالٌ (شَجُعَ، أكرمَ، أَنْجَدَ، وَفَى..).

لتوضيحِ قِسْمي الاستعارة إلى أصليّة وتبعية نسوق هذين المثالين:

دافَعَ اللَّيثُ عن أَرْضِ الوطن. (الليث اسم جامد).

زَأَرَ في وجوهِ أعدائِهِ فأخافَهُمْ. (زأرَ فعل مشتق عن المصدر زئير).

هاهُنا استعارتان:

الأولى أصليّةٌ لأن إجراءها في كلمة (ليث) والليث اسم جامد.

الثانية تبعيّة لأنَّ إجراءها في كلمة (زأر) وهذا فعل مأخوذ عن المصدر (زئير).

ولأنّ كُلَّ فعلٍ يتضمَّن فاعِلاً، وكل مشتق يتضمّن فاعلاً كذلك، أَمْكَنَ إجراءُ كلّ استعارةٍ تبعيّةً على أنّها مكنيّة. فقولُك مثلاً (زأرالمُناضلُ في وُجوهِ أعدائِهِ) تقولُ فيه بهذه الخطوات وما ينتج عنها:

- شبّهَ المناضلَ بالأسد.
- حَذَفَ المشبّه به وهو الأسد.
- أبقى شيئاً من لوازمه وهو الزئير.

فالاستعارة مكنيّة.

والقاعدة البلاغيّة تقول: كلّ استعارة تبعيّة (طرفُها فِعل أو مشتق) يمكن إجراؤها مكنيّة.

علماً بأننا على النطاقِ المدرسي يهمنا الاعتبار الأوّل وليس سواه، وهوِ اعتبار التّصريح بالمشبّه به، أو حذفه وعلى أساسه قسّمْنا الاستعارة إلى تصريحيّة ومكنيّة.

ج ـ الاستعارة باعتبار التلاؤم:

قصدنا بالتلاؤم الانسجام مع طرف الاستعارة المذكور فيها من مشبّهٍ ومشبّهٍ بِهِ،

فهي بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام:

١ ـ مرشّحة، بذكر ما يلائم المشبه بِهِ.

٢ ـ مجرّدة، بذكر ما يلائم المشبّه.

٣ ـ مطلقة، وهي الخالية من أي تذييل سواء ممّا يلائم المشبّه به أو ممّا يلائم المشبّه.

وفيما يلي أمثلة على الأقسام الثلاثة:

يا بُلبل السُّهْرة طِرْ وَحلّقْ.	مرشّحة بما يلائم المشبّه به.
يا بُلبُل السَّهرةِ خُذْ مِعْزَفَك.	مجّردة بما يلائم المشبّه.
يا نديمي، دَعني أناديكَ: يا بلبُلُ...	مطلقة بلا تذييل.

لاحظ أن المشبّة به في الاستعارة المذكورة هو البُلبلُ ويلائمه الطيران، والمشبّه هو إنسان يَعْزفُ الموسيقى ويلائمه أخذ المِعزف وأنَّ نداء المغني المطرب (يابُلْبُل) هو استعارة تصريحية لم يذكر بعدها شيء من التذييل فهي استعارة مطلقة كما ذكرنا.

د ـ الاستعارة باعتبار المضمون:

إنّ تقسيم الاستعارة باعتبار المضمون ليس وارداً بهذا العنوان في كتب البلاغة قبل هذا الكتاب، ولكننا وجدناه مناسباً ليجمع إليه نوعين من الاستعارة وهما:

١ ـ الاستعارة التخييليّةِ.

٢ ـ الاستعارة التمثيليّةِ

فما هما هاتان الاستعارتان؟

١ ـ الاستعارة التخييلية: هي الاستعارة التي يتبَعُها ترشيح أو تذييل يلائم المشبّه بِهِ ولكن بما يمعنُ في التخيّل حتى يستجرّ وراءَهُ ما يقوم مقام استعارة أخرى.

قال أبو العتاهية في مدح الخليفة المهديّ:

أتـتـهُ الـخـلافـة مـنـقـادةً إلـيـه تُـجـرِّرُ أذيـالـهـا

فـلـم تـكُ تَـصـلُـحُ إلاّ لَـهُ ولـمْ يَـكُ يـصـلُـح إلاّ لـهـا

وتكونُ الاستعارةُ محدودةَ الخيال إذا اقتصرت على ذكْر المشبّه بِهِ دون ترشيح كأن تقول: أُعْجِبْتُ بظبي رشيقٍ.

٢ ـ **الاستعارة التمثيلية**: هي الاستعارة التي يكونُ فيها المُستعارُ أو المُشبّه بِهِ جُملةً أو عبارةً بحالها لا مُفْرداً فقد جاء في تعريفها:

الاستعارة التمثيليّة تركيبٌ استُعملَ في غيرِ ما وُضع لَهُ لعلاقة المشابهة مع وجود قرينةٍ مانعةٍ من إرادة معناه الأصلي.

وهي باختصارٍ شديد، تشبيهُ حالةٍ بحالةٍ تماثلها، وينطبقُ عليها أكثر ما ينطبق ضرب المثل. فإذا قلْتَ لمن يحاول محاولةً يائسةً: «أنت تضرِبُ في حديد باردٍ» فهذه استعارة تمثيلية. وإذا قُلت لمن يثرثرُ بالكلام دونَ جدوى: «أسْمَعُ جعجعةً ولا أرى طِحْنا» فهذه أيضاً استعارة تمثيلية. وكثيراً ما يطلق شعراء الحكمة استعارات تمثيلية للغمز من جانب أحدهم بالهجاء دون أن يكون الهجاء مباشراً أو مقذعاً، ومن هذا القبيل قول المتنبّي:

ومَـنْ يـكُ ذا فـمٍ مُـرٍّ مـريـضٍ يَـجِـدْ مُـرّاً بِـهِ الـمـاءَ الـزلالا

ولا يقتصر مضمونُ الاستعارة التمثيلية على الفخر والهجاء بل هي تصلح للأغراضِ كافّةً.

إجراء الاستعارة:

في سبيلِ أن نتبيَّن نوع الاستعارة من تصريحيّة أو مكنيّة نقومُ بإجرائها، وإجراء الاستعارة يكونُ بأن نبحث عن المشبّه به إنْ كانَ مذكوراً مصرّحاً به لنقول إنها استعارةٌ مكنيّة، ونحن ننطلق في إجراء الاستعارة من تعريفٍ سابقٍ لها قد تكرّر مِراراً وهو:

الاستعارةُ تشبيهٌ حذف منه الأداة ووجهُ الشَّبه وأحدُ الطرفين، وعملُنا في حال إجراء الاستعارة هو تبيان أيّ الطرفين قد حُذف لنقرر في النهاية أنها مكنيّة أو تصريحيّة.

ولا بدّ من مثالين على إجراء الاستعارة ليكون التعريفُ السابق واضحاً مفهوماً.

قال أحدُ الشعراء في رثاء ولده الذي مات طِفلاً:

يا كَوكَباً ما كان أقْصَرَ عُمْرَهُ   وَكَذاكَ عُمْرُ كَواكِبِ الأسْحارِ

شبّهَ الشاعرُ طفله الفقيد بكَوْكبٍ وصرّحَ بذكْر المشبّه بِهِ على سبيل الاستعارة التصريحيّة.

ولزيادة الفائدة يمكننا أنْ نقولَ عن هذه الاستعارة إنّها أصليّة لكون المستعار اسماً جامداً. وإنّها مرشحةٌ لأنّ ذيلها أو ما أعقبها يلائم المشبّه بِهِ. (راجع أقسامَ الاستعارة).

وقال أبو تمام الطائيّ في رثاء أحد الأبطال واسمُه محمّد بن حميد الطوسيّ:

تُوفّيتِ الآمالُ بَعْدَ مُحَمّدٍ   وأصبح في شغلٍ عنِ السّفرِ السّفْرُ[1]

شبّه الشاعرُ آمالَهُ بالإنسانِ الذي يموت، وحذف المشبّه بِهِ وأبقى شيئاً من لوازمه وصفاته بأنّهُ يموت ويتوفى على سبيل الاستعارة المكنيّة.

وهكذا نكونُ قد أجْرَيْنا الاستعارة في بيت أبي تمّام. ويمكننا أن نضيف تطبيقاً لما تعلّمْناهُ من أقسام الاستعارة أنّها استعارة تبعيّة لأنها جاءت بلفظ الفعل (توفيت)، وأنها باعتبارٍ آخر استعارة مُرشّحةٌ لتلاؤمها مع المشبه به من فعل الوفاة.

ورغم أننا أردنا لكتابنا أن يكون مرجعاً في البلاغة، سَوْفَ نركّزُ الاهتمام على تقسيم الاستعارة باعتبار طرفَيْها بين تصريحيّةٍ ومكنيّة، ليكونَ التطبيق مُجْدياً، والتمرينُ آخذاً بالمشهور الدّارج والمتعارف عليه في الاختبارات المدرسيّة.

---

(١) السّفْر: القوم المُسافرون.

تطبيقات على الاستعارة

س ١ ـ عرّف الاستعارة بالقياس إلى المجاز.

ج ١: الاستعارة مجاز لغويٌّ علاقتهُ المشابهة.

س ٢ ـ عرّف الاستعارة بالقياس إلى التشبيه.

ج ٢: الاستعارة تشبيهٌ حذف منه وَجْهُ الشّبَه وأداة التشبيه وأحدُ الطرفين أي المشبّه أو المشبّه به.

س ٣ ـ أشر إلى الاستعارات في الآياتِ الكريمة الآتية وبيّن التصريحيّة منها والمكنيّة:

ـ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [سورة إبراهيم: ١].

ـ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [سورة نوح: ١٧].

ـ وقال في وجوب طاعةِ الولدِ لوالديْه: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٤].

ج ٣:

ـ في الآية الأولى استعارتان تصريحيّتان بذكر المشبّه بِهِ، قصد بالظُّلمات الجهل أو الضلال، وبالنور الهداية أو الإيمان وصرّح بالمشبّه به على وجه الاستعارة التصريحيّة في المرتين.

ـ وفي الآية الثانية: استعارة تصريحيّة شبه الإنشاء أو الخلق بالإنبات. وصرّح بالمشبّه بِهِ (أنبتكم)، (نباتاً). ويمكن إجراؤها مكنيّة إذا اعتبرنا المشبّه هو الإنسان

وليس الفعل المحذوف. نقول في إجرائها في هذه الحالة:

شبه الإنسانَ بالشّجرة المُنبتةِ، وحذفَ المُشَبّه به وهو الشجرة وأبقى شيئاً من لوازمه وهو النبات على وجه الإستعارة المكنيّة.

- وفي الآية الثالثة: استعارة مكنية. شبّه الولد الطائع بالطائرِ له جناحٌ يخفِضُهُ، وحذف المُشَبّه بِهِ وأبقى شيئاً من لوازمِهِ وهو الجناح.

س ٤ - أشِرْ إلى الاستعارات في الأبيات التالية، وبيّن التصريحية منها والمكنيّة:

- قال أبو الطيّب المتنبّي وهو يفخر باستقبال الممدوح له:

فَلَمْ أرَ قَبْلي مَنْ مشى البَحْرُ نَحْوَهُ   ولا رَجُلاً قامتْ تعانقُهُ الأُسْدُ

- وقال الشاعرُ الحطيئةُ يستعطف الخليفة عمر بن الخطّاب على صِغاره. وكان قد أوْدَعَهُ السّجْن:

ماذا تقولُ لأفْراخٍ بذي مَرَخٍ[1]   زُغْبِ الحَواصِلِ[2] لا ماءٌ ولا شَجَرُ

- وقالَ الشاعرُ صفيُّ الدين الحِلّي يصفُ شَمْسَ الربيع:

والشّمْسُ تَنْظُرُ مِنْ خِلالِ فُروعِها   نَحْوَ الحدائِقِ نَظْرةَ الغَيْرانِ

ج ٤:

- في بيت المتنبي استعارتان تصريحيتان في قوله (البحر، الأُسْد) إذْ شبّه الممدوح تارة بالبحر جُوداً، وتارة أخرى بالأُسد شجاعةً. وحذف المشبّه وصرّح بالمشبّه به على وجه الاستعارة التصريحيّة في المرّتين.

- في بيت الحطيئة استعارة تصريحيّة في كلمة (أفراخ) شبّه بها الأطفال الصغار، وحذف المشبّه وصرّح بلفظِ المشبّه بِهِ على وجه الاستعارة التصريحيّة.

- في بيت صفي الدين الحلّي استعارة مكنيّة في قوله (تنظرُ) شبّه الشّمسَ بإنسانٍ ينظُر وحذف المشبّه به واستبقى شيئاً من لوازمه يدلُّ عليه على وجه

---

(١) ذو مَرَخ: اسم موضع.

(٢) زغب الحواصل: كناية عن الضعف بقلّة الريش.

الاستعارة المكنية.

س ٥ ـ ما هي الاستعارة الأصلية؟ هات مثالاً عليها.

ج ٥: الاستعارة الأصليّة هي التي تتمثل في اسمِ جامدٍ ليس فِعْلاً ولا مشتقّاً، ومثالُها:

قامَ البَحْرُ وصافحني: (البحر اسم جامد استُعير للكريم).

س ٦ ـ ما هي الاستعارة التَّبعية؟ هاتِ مثالاً عليها.

ج ٦: الاستعارة التبعيّة هي التي تُجرى في اسم مشتقّ أو فِعْلٍ من الأفعال. وهذانِ مثالانِ على حالتي المشتقّ والفِعل:

أراهُ مَكْسورَ الجَناحِ من الفقر. (موضع الاستعارة اسم مشتقّ: مكسور).

ما الذي كَسَرَ جَناحَك يا رَجُلُ؟ (موضع الاستعارة فِعْل: كَسَر).

س ٧ ـ متى تكون الاستعارةُ: مرشَحةً، مجرّدةً، مطلقةً؟ اذكر الحالات الثلاث مع الأمثلة المناسبة.

ج ٧:

ـ تكون الاستعارة مُرشَحةً إذا أُتبِعت أو اقترنتْ بما يُلائم المشبّه به مثل:

أرى زيداً يكشّر عن أنيابِهِ ويعضّ (العضّ مما يلائم الوحش المكشر عن أنيابه وهو المشبه به).

ـ وتكون الاستعارة مجرّدة إذا أُتبعت أو اقترنت بما يُلائِم المشبّه مثل:

شاعرُنا يُحلّق بقصائِدهِ حين ينظِمُ (النظم مما يلائم المشبّه وهو الشاعر المحلّق كالطير).

ـ وتكون الاستعارة مُطْلقةً[1] إذا خَلَتْ ممّا يلائم المشبّه به أو المشبَّه. مثل:

نَطَقَ الخطيبُ بالدُّررِ. (هنا، لا ترشيح يلائم المشبّه به، ولا تجريد يلائم المُشبّه).

---

(١) وتعدّ الاستعارة في حكم المطلقة إذا أُتبعت أو اقترنت بما يلائمُ الطرفين كليهما.

س ٨ ـ عرّف الاستعارة التمثيلية واضرب عليها بعض الأمثلة ممّا يوضّح التعريف.

ج ٨: الاستعارة التمثيلية تركيب بياني أو عبارة تُساق في غير ما وُضعت له في الأصل لأنّها تُشبه ما استعيرت من أجله. . وبالاختصار الشديد، هي تشبيهُ حالةٍ قائمةٍ بحالةٍ كانت، على وَجْه المثل.

ومن أمثلتها:

١ ـ لكلّ صارمٍ نَبْوَةٌ ولكلّ جَوادٍ كَبْوةٌ.

(في تعزية من أخفق مرّة واحدةً، وهاهُنا تشبيه حالة المُخْفق بحالة من نبا سيفه أو كبا جواده).

٢ ـ أَعْطِ القَوْسَ بارِيَها.

(في إسْناد العمل إلى من يتقنه، وهاهُنا تشبيه حالة من يُسْنَد إليه العملُ بحالةِ باري القوس البارع).

٣ ـ كما تزرعُ تحصُدُ.

(في تحميل النتيجة السيّئة أو الحسنة لمن لا يتوقَّعُها، وهاهنا تشبيه من يعمل سيّئاً أو حسناً بالزارع الذي يحصد نتيجة عمله أخيراً).

س ٩ ـ كيف تكون الاستعارة استعارةً تخييليّة؟ أجب باختصار مع المثال المناسب.

ج ٩: تكون الاستعارة تخييليّة إذا أُتبعت بتفصيلٍ من الترشيح الذي يلائم المشبّه به وكأنّ الاستعارة مستمرّة في أكثر من عبارةٍ. وهذا مثال:

أناخ ظلامُ الليل على صدري وكأنه لن ينقضي بطلوعِ الصباح ولا بإشراقة الشمس، فبدا ثقيلاً كالجبال.

(هاهنا استمرار في الخيال بما يؤكد ويفصل في صورة الليل الثقيل، على سبيل الاستعارة التخييليّة).

س ١٠ ـ مَثِّلْ لِكلٍّ من الاستعارة التصريحيّة والاستعارة المكنيّة، ببيتٍ من الشّعر ممّا تحفظ.

ج ١٠ :

أ ـ استعارة تصريحيّة : قال أحمد شوقي مخاطباً أمّة العرب :

قد قضى اللهُ أَنْ يُؤلِّفَنا[١] الجُرْحُ   وأن نلتقي على أشجانِهِ

ب ـ استعارة مكنيّة : قال حافظ إبراهيم يخاطب دُنياه :

إِيهِ يا دُنيا اعْبِسي أوْ فابْسِمي   لا أرى بَرْقَكِ إلاّ خُلَّبا[٢]

(١) يُؤلِّف: يجمع.
(٢) خُلَّب: خادع، لا يجلب المطر.

تمرينات على الاستعارة

س ١ ـ ما هما رُكنا الاستعارة؟ مثّلْ لهما من خلالِ ظهورهما في نصّ الاستعارة.

س ٢ ـ الكلام حقيقةٌ ومجاز؛ ما هو المجاز؟ ولماذا كانت الاستعارة بعضاً منه؟ أوضح إجابتك بالأمثلة المناسبة.

س ٣ ـ عرّف الاستعارة باعتبار المقارنة مع التشبيه.

س ٤ ـ ما هي أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين؟ أجب مع الأمثلة المناسبة.

س ٥ ـ ما هي أقسام الاستعارة بالاعتبار الصرفي الاشتقاقي؟ أجب مع الأمثلة المناسبة.

س ٦ ـ ما هي أقسام الاستعارة باعتبار التلاؤم مع طرفيها؟ اذكرها مع الإيضاح والتمثيل لكلٍّ منها.

س ٧ ـ هات مثالاً على الاستعارة التخييليّة.

س ٨ ـ هات مثالاً على الاستعارة التمثيليّة.

س ٩ ـ ما هو إجراء الاستعارة؟ اذكُرْ مثالين لاستعارتين مكنيّة وتصريحيّة ثم أجْرِ كُلاًّ من الاستعارتين.

س ١٠ ـ اقرُنْ كُلَّ استعارةٍ في العبارات الآتية بنوعها باعتبار الطرفين خاصة:

أ ـ قال رسول الله (ﷺ): **«عليكم بالدُّلْجة[١]، فإنَّ الأرض تُطوى بالليل»**.

ب ـ قال أحد الزهّاد: **«لا تخطبِ الدنيا فلن يُسْعدك الزواج بها»**.

(١) الدُّلجة: سَفَر الليل.

ج ـ أسفر الحظُّ عن وجهه وابتسم لنا.

د ـ ما احمرت الوُرود إلاّ من خجلِ الثَّناءِ عليها.

هـ ـ مرضَ قُرصُ الشَّمْس ساعة الغُروب.

و ـ المُقاتلُ يَجْرَحُ بسيفه، والكاتب يجرح بقلمه.

ز ـ دَعَوْتُ الكَرَم فأجابَني بعطاءٍ كبير.

ح ـ لا تخرّبْ دينكَ لتعمّر دُنْياك.

ط ـ ارتدِ الأَخْلاق تكُنْ كاسِياً في الدنيا والآخرة.

ي ـ طارَ الخبرُ في أنحاء المدينة.

ك ـ أبلِغْ نَفْسَك فِطامها قبل أن تجوع فتأكُلَك.

ل ـ قُلْ لهذا العَمود ينزاحُ من أمامي.

الكناية

تعريفها:

هي في معاجم اللغة تَرْكُ التصريح إلى ما وراءَهُ من مدلول، وهي عند البلاغيين:

كلامٌ يُطْلق ويُراد به لازمُ معناه.

أي إنّه المفهوم ممّا وراء الكلام بعد تأمّلٍ وتفكير، مع جواز إرادة المعنى الظاهر. تقولُ مثلاً: هو قائمٌ لَيْلَه صائم نَهَارَهُ. وأنت تكني بقيام الليل وصيام النهار عن التّقى والتزام العبادة بين قيام المصلّي وصيامِهِ. وتقول: هو نؤومُ الضُحى وأنت تكنّي بهذه العبارة عن الخمول والوسع بالنوم في وصف إنسانٍ كَسولٍ أو مُترف غير مضطرٍ للسّعي في سبيل الرِّزْقِ.

وثمّة فرقٌ بين الكناية والمجاز، بأنَّ المجاز كلامٌ يُطلق ويُراد به غير معناه الظاهر بينما يَجوزُ في الكناية إرادة المعنى الظاهر، وتقبّله على أنّه حقيقة، بمدلولٍ أعمق من الظاهر. فإذا قلنا: طار الفتى من الفَرَح. ليس هنالك طيران في الحقيقة وهذا مجاز لغوي أو استعارة. وإذا قُلْنا: بَدا الفتى عريضَ الابتسامة، فهنالك ابتسامة عريضة حقاً، والمستنتج منها أن صاحبها فرحان. وتؤكد هذا المعنى أو ذاك قرينةٌ لفظيّة أو معنوية.

كأن نقول في الحالتين:

لقد نجحَ، فطارَ من الفرحِ: استعارة.

لقد نجح، فَعَرُضَتْ ابتسامَتُهُ: كناية.

وكانت القرينة في الحالتين قرينة لفظية ظاهرة في عبارة: (لقد نجح) أمّا القرينة المعنوية فهي ما يُفْهم في سياق الكلام بوجهٍ عام كأن يكون الغرض مديحاً أو هجاءً أو وَصْفاً. . وهذا ما يفهمه القارئ أو السامع تلقائياً. .

وسبق أن مرّ بنا بيت الشاعر أبي تمام في رثاء أحد أبطال المعارك الكُرماء فبعد ذِكْرِ الوفاةِ ذكر معها وفاة الآمال لدى القُصّاد، وأعقبها بخبر قعودهم عن السَّفر يأساً من نوال عطائه بعد موته، قال أبو تمّام في رثاء محمّد بن حميدٍ الطوسيّ:

تُـوفّـيـت الآمـالُ بـعـد مـحـمّـدٍ   وأصبح في شُغْلٍ عن السَّفَرِ السَّفْرُ

هنا، في الشطر الأول استعارة أو مجاز، وفي الشطر الثاني كناية ظاهرُها إبطال السّفر وحقيقتها ولازم معناها أن القتيل المرثيّ كريمٌ مقصودٌ لذاتِه فإذا ماتَ قَعَدَ قُصّادُهُ ولم يُسافروا مشغولين بالحُزْنِ أو بهمومِ الحياة الأُخرى.

أرْكانُها:

إذا كان للتشبيه أركانُه الأربعة من (مشبّهٍ ومشبّه به وأداةٍ ووجه شبه)، وللاستعارةِ ركناها (المستعار لَهُ والمستعار)، فهل للكناية أركانُها؟

لم يحدّد البلاغيون القدماء ما للكناية من أركان ولكننا بشيءٍ من البحث والتعمّق نجدُ في الكناية ركنين تقومُ عليهما وهما:

أ ـ الدليل: وهو الكلام بمعناه الظاهر القريب، فلنا أن نأخذ بظاهره على أنه حقيقةٌ، ولكن المقصود ما وراءها وهو الركن الآخر.

ب ـ المدلول أو المُستَدلّ أو النتيجة، وهو المعنى الذي ينتهي إليه التفكير بظاهر العبارة وينتهي بنا إلى تقدير: صفةٍ أو مَوْصُوفٍ أو نِسْبةٍ مما يحدّد أقسام الكناية كما سنرى. وقد عرف المدلول باسمِ اصطلاحيٍّ آخر وهو لازمُ المعنى. فما هو لازمُ المعنى؟

لازم المعنى:

عرّفنا الكناية بأنها كلامٌ يُطلق ويُرادُ بهِ لازمُ معناه. وشيئاً فشيئاً يأخُذُ لازم المعنى شَكل المُصطلح المتعارف عليه وكأنه المعنى الأصلي والحقيقي للكلام. وهذا مثال للإيضاح:

يقولون: ألقى المسافرُ عصا التّرحال.

على أساس أن المسافر في القديم، ولا سيما المسافر على قدميهِ، لم يكن يستغني عن حمل العصا طول السّفَر. فإذا ألقى عصاه كان معنى ذلكَ انتهاء السّفَرِ بالوصول إلى المُستَقرّ.

وها نحنُ في عصر القطار والسيّارة والطائرة ما نزالُ نستخدمُ التعبير ذاته بمعنى الوصول والكفّ عن الرحلة، ذلك لأنّنا استغنينا بالمدلولِ عن الدليل وتمسّكْنا بلازم المعنى دون الكلام الظاهر مِن حملِ العصا وإلقاء العصا.

وفي القاموس العربيّ أشياء كثيرة من هذا القبيل، كانت في أصلها كنايات ومن أمثلتها:

١ ـ بعيدة مَهْوى القُرْط: بمعنى طويلة العُنق والقوام.

٢ ـ عريضُ الوسادة: بمعنى بليد.

٣ ـ طويلُ اليد: بمعنى مقتدر.

٤ ـ طاهر الثوب: بمعنى فاضلٍ تقيّ.

٥ ـ ثقيل الخُطا: بمعنى سمين مترهّل.

وعلى هذا فإنّ لازم المعنى قد يبقى وحده المقصود بالكناية بصرف النظر عن الدليل أو الكلام بمعناه الظاهر القريب. وفيما يتعلّق بصفات الخالق ـ جلّ وعلا ـ تمتنع إرادة المعنى الظاهر ويُؤخذ بلازم المعنى فقط، تنزيهاً للخالق العظيم عن إدراك صفاته أو إلحاقها بصفات المخلوق بتصوّرٍ ما، مهما تسامى هذا التصوّر. ومن هذه الكنايات التي يُكْتفى بلازم معناها وجوباً قوله تعالى:

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [سورة الزمر: ٦٧].

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [سورة طه: ٥].

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن: ٢٨].

ومع هذا، ليبقَ في ذاكرتنا أنَّ الفرقَ بين الكنايةِ والمجاز يتمثَّلُ في لازم المعنى الذي هو المُراد وحدَهُ في المجاز، فلا تصحُّ إرادةُ المعنى الأصلي أو الحقيقي للكلام بوجود القرينة المانعة، بينما تجوزُ إرادة المعنى الأصليّ أو الحقيقي للكلام في الكناية لعدم وُجود قرينةٍ مانعةٍ. ومُعظَمُ الأمثلة التي سُقْناها والتي سنسوقُها تؤكّد هذه القاعدة، انطلاقاً من تعريف الكناية بأنّها: **كلامٌ يطلق ويراد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى القريب أو الظاهر في معظم الحالات.**

أقسام الكناية:

تقسم الكناية بالنظر إلى (لازم المعنى) وما يستنتج منه إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

كناية عن صفةٍ، كناية عن موصوفٍ، كناية عن نسبةٍ.

أ ـ الكناية عن صفة:

وهي الكناية التي نخرج بها بصفةٍ تخصّ مذكوراً قبلها أو مخاطباً بها، أو تدلُّ على ما يصحّ الاتّصاف بهِ ليلحق بموصوفٍ أو يُسْتَحْسَن أو يُسْتقبح من مصادر الأفعال:

١ ـ هُوَ لا يُدْخِلُ لِسَانَه في حلقه: ثَرْثار.

٢ ـ أَنْت لا تُعادي نملةً: مُسالم.

٣ ـ هل يعجبك تقطيبُ الجبين؟ العُبوس.

ب ـ الكناية عن موصوفٍ:

وهي الكناية التي نخرج بها باسمٍ يدلُّ على ذاتٍ يمكن وصفها فمدلولها موصوف بعينه اشتُهر بما كُني عنه:

١ ـ شَغَلَتْ جار الضلوع: القلب.

٢ ـ رافقْني إلى حيثُ ينزل المسافر: الفندق.

٣ ـ ارفعِ المُرفرفَ على ساريته: العَلَم.

ج ـ الكناية عن نسبةٍ:

وهي الكناية التي يُراد بها نسبةُ أمرٍ حميدٍ أو مذمومٍ إلى ذي علاقةٍ فيكون المكنّى عنهُ هو النِّسْبة أو العلاقة نفسها من دون الصفة أو المَوْصوف. وغالباً ما تتمّ بها نسبةُ الأمر المعنويّ إلى شيءٍ ماديٍ محسوسٍ لنتذكر الخلاصة المُستفادة من هذه النسبة أكثر مما نذكر المنسوب والمنسوب إليه.

وهذا النّوع من الكناية يمكن إجراؤهُ أحياناً مُجرى الاستعارة إذا أُحْسِن الإجراء بتبيان العلاقة بين طرفين، دَوْرُهما دَوْرُ المشبّه والمشبه به أو دَوْر المُسْتعار له والمستعار. ويغلب إجراؤها مكنيّةً كأن نقول:

زيدٌ، العِنادُ مُعشّشٌ في رَأْسِهِ.

ففي هذه العبارة كنايةٌ عن نسبةٍ إذ جعلنا العناد وهو أمرٌ معنويّ يأوي إلى عُشّ الرأس ويُنْسَبُ إليه. أمّا إذا نظرنا إلى العِناد على أنه (مشبّه أو مستعار له) فيمكن إجراء العبارة مُجرى الاستعارة المكنيّة، حيثُ حَذَفَ المُشَبّه به وهو الطائر أو العصفور وأبقى شيئاً من لوازمه وهو التعشيش..

من أمثلة الكناية عن نسبةٍ، هذي العبارات:

١ ـ المَجْدُ فَوْق سَوارينا.

٢ ـ النجاحُ بَيْنَ وَرَقةٍ وَقَلَمٍ.

٣ ـ الحنانُ بينَ ضُلوعِ الأُمّ.

٤ ـ الكَرَمُ في راحَتَيْ حاتمٍ.

٥ ـ الأُنْسُ مُخَيِّم في رُبوعنا.

٦ ـ اللُّطفُ في انفراجة شَفَتَيْكِ.

٧ ـ ألقى الأمان حِجابه.

٨ ـ اجعل التفوّقَ نَصْبَ عَيْنيكَ.

٩ ـ الفضيلةُ مطوى ثيابِكَ.

١٠ ـ تحت سقفِ مدرستنا مكارِمُ الأخلاقِ.

المُلحقاتُ بالكناية:

تلحق بالكناية بأقسامها الثلاثة التي ذكرناها أشكالٌ من الكناية تختلفُ وظائفها بنوعٍ من التخصيص والدقّة فهي ليست الكناية بالمعنى العام (لفظ يراد به لازم معناه) وإنّما هي ذات وظائف؛ كالتّعريض، والتلويح، والإيماء، أو الإشارة، والرّمز. وفيما يلي استعراض لهذه الأشكال من الكناية على أنّها من الملحقات بها:

أ ـ **التّعريض**: شكل من أشكال الكناية يُتّخذ بقالبِ الحكمة أو القول المأثور، أو إبداء الرأي وذلك لتحاشي إغضاب السامع أو لتحاشي خَدْشِ الحياء لديه. وكأنّهُ يتمُّ بمنطقِ المَثَل القديم: «إياكَ أعني واسمعي يا جارة» ومن أمثلة التعريض قولك لمن أبدى استياءً:

(إرضاءُ الناسِ غايةٌ لا تُدرك)، وقولك لمن يخطب قريبةً لك: (ومن يخطب الحسناء لم يُغلها المَهر)[1] وكأنك تقول لهُ: لا تستكثِر مَهرَها لأنها حسناء تستحقّ أغلى مَهر..

ب ـ **التلويح**: ومعناه إبعادُ المسافة ما بين لفظ الكناية وبين المكنى عنه، فكأنه نتيجة مأخوذة عن نتيجة مأخوذة عن نتيجة وهكذا. ومن أمثلة ذلك ما قالوه عن الرجل الكريم الكثير الضُّيوف، بأنّهُ جبانُ الكلب. وهذا تلويحٌ عديد الوسائط ما بين ظاهر الكلام والمراد منه، أي بين الكناية ولازم معناها:

---

(١) هذا هو شطر بيت معروف لأبي فراسٍ الحمداني وتمام البيت:

تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا ... ومنْ يَخطبِ الحَسناءَ لم يُغلِها المَهرُ

كلبه جبان، لتعوّده رؤية الضُيوف فما يزالُ يُزجر كي يكفّ عن النباح، حتى غدا جباناً لا يهرُ ولا ينبح، وبما أن كلبَهُ جبان وطرّاقه كِثارٌ، فهو رجل كريمٌ مضياف.

ج ـ **الإيماء أو الإشارة**: وهي كناية قليلةُ الوسائط لا تتوالى فيها المُقدمات والنتائج كما رأينا في التلويح، وهذه أمثلةٌ على الإيماء أو الإشارة:

١ ـ دَخَلْتُ دارَكَ فعرفتُ الأمانَ.

٢ ـ وصلتُ إليكَ فوصلتُ إلى مقصدي.

٣ ـ أرى الجُودَ يَسيرُ حيثُ تسيرُ.

٤ ـ إذا زُرْتَه زُرْتَ المُنى.

٥ ـ إذا همّ[1] فقدْ وَصَلَ إلى ما يريدُ.

فنحن قد استنتجْنا مُباشرةً ودون إطالةٍ في المقدمات والنتائج كُلاً من الصفات التالية التي أُلحِقَتْ بمقصوديها:

القوة، الجاه العريض، الجُود، التمكّن والمقدرة، العزم الشديد.. وذلك بمجرّدِ الإيماء أو الإشارة.

د ـ **الرَّمْز**: الرّمزُ لُغَةً هو أن تشير إلى القريبِ إشارةً خفيّةً بالعين أو بالشّفة أو الجانبِ الواحد دون الآخر. وقد ذكروا للرمز أمْثلةً سبقَ إدخالُها بين الكنايات. ولعلّ هيكل اللفظ الكلامي هو المهم باختصاره الشديد فلا يجاوز الكلمتين. وقد ذكروا من الرُّموز بهذا المُستوى الرُّموز التالية بما تومئ إليه:

١ ـ مفتوح العين: يقظ، حَذِر.

---

(١) هَمّ: عَزَم بهمّته.

٢ ـ كثيرُ الابتلاع: مرتش، طمّاع.

٣ ـ ملتوي العُنق: ذليل.

٤ ـ عريض الوسادة: بليد.

٥ ـ جافي العبارة: قاسٍ، شديد.

وهكذا نرى ضُروباً من الكنايات أَوردناها تحت عنوان: الملحقات بالكناية لأن لها خصوصيّات في الاستعمال، ولا شيء يمنعُ من عدِّها في الكنايات بأقسامها، عن صفةٍ، وعن مَوْصُوفٍ، وعن نِسْبةٍ.

تطبيقات على الكناية

س ١ ـ عرّف بالكناية تعريفاً موجزاً، وسُقْ شاهداً مما تحفظ على هذا التعريف.

ج ١: الكناية كلامٌ يُطْلَقُ ويرادُ بها لازمُ معناه، ويُراد بلازم معناه المُستنتج مِنْهُ مع جواز إرادة المعنى الظاهر للكلام.

تقولُ الشاعرة الخنساء في الثناء على شمائل أخيها صَخْرٍ بعد موتِهِ مِنْ قصيدة رثاء:

طـويـلُ الـنـجـادِ، رفـيـعُ الـعِـمـادِ كـثـيـرُ الـرَّمـادِ إذا مـا شـتـا

هاهنا ثلاثٌ من الكنايات:

١ ـ طويلُ النِّجاد: شجاعٌ.

٢ ـ رَفيعُ العِماد: سَيِّدُ القوم.

٣ ـ كثيرُ الرَّمادِ: كريم.

س ٢ ـ ما هو لازم المعنى في الكناية؟ أوضح إجابتك ببعضِ الأمثلة.

ج ٢: لازم المعنى هو الرُّكْن الثاني من الكناية ومدلولها، ويُقْصدُ بِهِ المُسْتَنتجُ من الكلام وهو الغَرضُ البلاغيُّ مِن الكنايةِ. فإذا قلت:

هُوَ طويلُ الباعِ: كان لازمُ المعنى صفة الاقتدار بطول الباع (ما بين الذراعين).

أو قُلْتَ: هو نادِرُ المثال: كان لازم المعنى صفةَ الامتياز بندرة المثال أو الشبيه.

أو قُلْتَ: هو مكفوف اليد: كان لازم المعنى صفة العَجز. فيمن كُفَّتْ يَدُهُ عن أيِّ عَمَل.

س ٣ ـ عدِّدْ أقسام الكناية وهاتِ مِثالاً على كُلٍّ منها.

ج ٣: أقسام الكناية ثلاثةٌ هي:

أ ـ كنايةٌ عن صِفةٍ.

ب ـ كنايةٌ عن موصوفٍ.

ج ـ كنايةٌ عن نِسْبةٍ.

وهذه أمثلةٌ على كُلٍّ منها:

أ ـ ارتقى إلى أعلى درجةٍ: كناية عن صفة.

ب ـ سافَرَ إلى بَلَد الأهرام: كناية عن موصوف.

ج ـ العِزُّ يَتَوَّجُهُ: كناية عن نسبة.

س ٤ ـ بيِّنْ نَوْعَ الكناية (صفة، موصوف، نسبة) في كُلٍّ من الأمثلة والشواهد الآتية:

أ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [سورة الأحزاب: ١٠].

ب ـ قال رسول الله (ﷺ): «من رأى مِنكُمْ مُنكراً فليقوِّمْهُ بيدِهِ، فإن لم يَسْتطِعْ فبلسانِهِ، فإنْ لم يَسْتَطِعْ فبقلبِهِ، وذلك أضْعَفُ الإيمانِ».

ج ـ قال المتنبّي في هجاءِ أتباعِ كافور الإخشيديّ بمصر:

ما يقبِضُ الموتُ نَفْساً من نُفوسِهِمُ   إلاّ وفي يَدِهِ من نَتْنِها عُودُ

د ـ وقال المتنبي فيما أوقعه سيفُ الدولة بأعدائِهِ الرّوم:

فمسّاهُمْ وبُسْطُهُمُ حَريرٌ   وصبَّحَهُمْ وبُسْطُهُمْ ترابُ

هـ ـ وقال أبو نُواس في ممدوحه:

فما جازَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دونَهُ   ولكنْ يسيرُ الجودُ حيث يَسيرُ

و ـ وقال الشاعر العربيّ في معرضِ الفخر:

فَلَسْنا على الأعْقابِ تدمى كُلومُنا   ولكنْ على أقْدامِنا تَقْطُر الدِّما

ز ـ قال الشاعرُ البحتريّ وقد طَعنَ ذئباً فقتلَهُ:

فأتْبَعْتُها أُخرى[١] فأضْلَلْتُ نَصْلَها[٢]   بحيث يكون اللبُّ والرُّعْبُ والحِقْدُ

ح ـ قال الشاعرُ يمدح أَحَدهُمْ:

اليُمْنُ[٣] يَتْبَعُ ظِلَّهُ   والمَجْدُ يَمْشي في رِكابِه

ط ـ وقال الشاعر امرؤُ القيس من قصيدته المعلّقة:

وقد أغتدي[٤] والطيرُ في وُكُناتِها[٥]   بمنجردٍ[٦] قيد الأوابدِ[٧] هَيْكَلِ[٨]

ي ـ وقال أحمد شوقي في حبّ الوطن:

وَطني لو شُغِلتُ بالخُلْدِ عَنْهُ   نازَعَتْني إليهِ في الخُلْدِ نَفْسي

ج ٤: أنواعُ الكناية في الأمثلة والشواهدِ تِباعاً على الترتيب:

أ ـ زاغتِ الأبْصار: كناية عن الذُّعرِ والاندهاش. (صفة).

بلغت القلوبُ الحناجر: كناية عن شدّة الهول والفزع (صفة).

ب ـ بلسانه: كناية عن النُّصح بالأقوال. (صفة).

بقلبه: كناية عن الاعتقاد في السّر دون العَلَن. (صفة).

ج ـ في يده عود: كناية عن الاشمئزاز لخسّة النفوس. (صفة).

---

(١) أُخرى: أراد بها طعنةً أُخرى.

(٢) نصلها: نصل السكّين وهو حدها الجارح.

(٣) اليُمْن: البركة والخير.

(٤) أغتدي: أمضي صباحاً.

(٥) وكناتها: أوكارها.

(٦) المنجرد: صفة الجواد القليل الشعر.

(٧) قيد الأوابد: يسبقُ وحوشَ الفلاة فتبدو كأنها مقيّدة.

(٨) هيكل: ضخم.

د ـ وبُسُطُهُم حريرٌ: كناية عن الترف والنّعمة (صفة).

وبُسُطُهُمْ تُرابٌ: كناية عن الهلاك. (صفة).

هـ ـ يسيرُ الجُودُ حيث يَسير: كناية عن نسبة.

و ـ تدمى على الأعقاب: كناية عن الهزيمة، (صفة).

على أقدامنا تقطر الدِّما: كناية عن الشجاعة ومواجهة الحدث، (صفة).

ز ـ بحيث يكونُ اللبُّ والرعبُ والحِقْدُ:

كناية عن موصوف وهو القلب.

ح ـ اليُمْن يتبعُ ظِلَّه: كناية عن نِسْبة.

المجد يمشي في ركابِهِ: كناية عن نسبة.

ط ـ والطيرُ في وكناتها: كناية عن التبكير في الغزو صباحاً (صفة).

ي ـ نازعتْني إليه نفسي: كناية عن معزّة الوطن. (صفة).

س ٥ ـ ضع إلى جانب كُلِّ بيتٍ من الأبيات الشعرية الآتية، أحَدَ ملحقات الكناية من (تعريضٍ وتلويحٍ وإشارةٍ ورمزٍ) طِبْقاً لما تجده فيه.

أ ـ قال المتنبي وهو مفارقٌ بلاطَ سيف الدولة إلى مصر:

إذا الجُودُ لم يُرزَقْ خلاصاً من الأذىٰ فلا الحَمْدُ مَكْسُوباً ولا المالُ باقيا

ب ـ وقال الشاعر القديم يفخر بِشيمهِ النبيلة:

وما يكُ فيَّ من عَيْبٍ فإنّي جبانُ الكلبِ مَهْزُول الفَصيلِ[١]

ج ـ وقال الشاعر في ذمِّ قَوْم:

بِيضُ المطابخِ لا تَشْكو إماؤهُمُ[٢] طَبْخَ القُدورِ ولا غَسْلَ المناديلِ

---

(١) الفَصيل: ولد الناقة. ويبقى مهزولاً إذا عُقِرت أمّهُ الناقة وقُدّمت طعاماً.

(٢) الإماء: الجواري الخادمات، جمع أَمَة.

د ـ وقال أبو تمّام الطائي في مدحِ أبي سعيدِ الثّغريّ:

أَبـيـنَ فـمـا يَـزُرْنَ سِـوى كـريـم   وحَـسْـبُـكَ أَنْ يَـزُرْنَ أبـا سـعـيـدِ

هـ ـ وقال الشاعر في هِجاء أَكُولٍ:

يا شُجاعاً في اللَّهْمِ[1] صُلْتَ جريئاً   في قِصاعٍ على الخِوانِ[2] وِساعِ

وتـشـمَّـرْتَ وانـتـبـذْتَ[3] مَـكـانـاً   هـو أنـأى مـمّـا يـراهُ الـدّاعـي

و ـ وقال أبو فراس الحمداني في عتاب سيف الدولة:

إذا الـخِـلُّ[4] لـم يَـهْـجُـرْكَ إلاّ مَـلالـةً   فَـلَـيْـسَ لَـهُ إلاّ الـفِـراقَ عِـتـابُ

ز ـ وقال المتنبّي بعد مُغادرة حلب يشتكي جَوْر سيف الدولة في معاملته:

ولو كان ما بي من حبيبٍ مُقنَّعٍ[5]   عَذَرْتُ، ولكنْ من حبيبٍ مُعَمَّمِ[6]

ح ـ وقالَ بشّارُ بن بردٍ لأحدِ ممدوحيه:

يَسْقُطُ الطّيْرُ حيث يَنْتَثِرُ الحَبُّ   وتُـغْـشَـى[7] مـنـازِلُ الـكُـرَمـاءِ

ط ـ وقال الشاعر الحُطَيْئة في هجاءِ الزِّبرقانِ بن بَدْرٍ:

دَعِ الـمـكـارِمَ لا تَـرحَـلْ لِـبُـغْـيَـتِـهـا[8]   واقعُد فإنّك أنت الطاعِمُ الكاسي[9]

ي ـ وقالَ النابغةُ الذبيانيُّ يُبْدي خشيته من بطشِ الملك النعمان:

نُـبِّـئْـتُ أَنَّ أَبـا قـابـوسَ[10] أَوْعَـدَني   ولا قَـرارَ[11] عـلـى زَأْرٍ مـن الأَسَـدِ

---

(١) اللَّهم: ابْتلاع الطعام.
(٢) الخِوان: المائدة.
(٣) انتبذت: اعتزلت وانفردت.
(٤) الخِلّ: الصديق.
(٥) المُقنّع: كناية عن المرأة.
(٦) المعمّم: ذو العمامة، كناية عن الرجل.
(٧) تُغشى: تُزار وتطرق.
(٨) لِبُغْيتها: لِطلبها.
(٩) الطاعم الكاسي: المُطْعَم المكسُوّ.
(١٠) أبو قابوس: كنية الملك النعمان.
(١١) القرار: الأمن والطمأنينة.

ج ٥ : ملحقات الكناية في الأبيات على التوالي والترتيب:

أ ـ تعريض بسيف الدولة بأنه يجود مع المنّ والأذى فيضيع المال بلا فائدة.

ب ـ جبان الكلب: تلويح. مهزول الفصيل: تَلْويح.

ج ـ بيضُ المطابخ: تلويح. لا تشكو. . . . : تَلْويح.

د ـ حَسْبُكَ أن يَزْرَنَ أبا سعيدٍ: إيماء أو إشارة إلى كريم.

هـ ـ يا شجاعاً في اللُّهم: رمز للشَّرِهِ المِبطان.

و ـ . . الفراق عتاب: تعريض بسيف الدولة الذي استحق الفراق.

ز ـ ما بي من حبيبٍ معمَّم: تعريض بسيف الدولة المحبوب المسبِّب لغضب المتنبي.

ح ـ يَسْقُط الطير حيث ينتثر الحبُّ: تلويح.

ط ـ دع المكارمَ. . فأنت الطاعم الكاسي: تعريض بالمهجوّ الزبرقان.

ي ـ لا قرار على زأرٍ مِنَ الأَسَد: تعريض ببطشِ النعمان وصَوْلتِهِ.

س ٦ ـ هل يَجوزُ فَهمُ الكناية على أنّها من الحقيقة؟ أَوْضح ذلك من خلالِ بعضِ الأمثلة.

ج ٦ : إن معظمَ الكنايات يُمكنُ الأخذُ بلفظها على أنه وجهٌ قريبٌ للحقيقة وإنْ كانَ المرادُ الأبعد منه، أو المُسْتَنتجَ بما ندعوهُ (لازم المعنى). وفيما يلي بَعضُ الأمثلة التي يجوز فيها ظاهر الكلام على أنه حقيقة:

١ ـ كثير الرَّماد ← لازم معناها كريم ← الرماد كثير لكثرة الطبخ.

٢ ـ بعيدةُ مهوى القُرط ← لازم معناها طول العنق ← طول حقيقي ببعد المسافة.

٣ ـ هو فارغ الجيب ← لازم معناها الإفلاس ← فراغ الحبيب حاصل.

٤ ـ البطل مُشارٌ إليه بالبنان ← لازمُ معناها الشُّهْرة ← الإشارة إلى البطل حاصلة حقاً.

٥ ـ تراه خَشِنَ الثوب ← لازم معناها الفقر ← خشونة اللباس من واقع الفقير.

س ٧ ـ اذكُر خمسة نماذج للكناية عن نسبةٍ من عباراتٍ بليغةٍ مشهورةٍ وغير مشهورة.

ج ٧:

١ ـ الجنّةُ تَحْتَ أَقْدامِ الأُمهات.

٢ ـ كانَ عُمرُ يَعْمُرُ قَلْبَهُ بالإيمان.

٣ ـ أَقَامَ ميزانَ العَدْلِ بَيْن الناس.

٤ ـ دَرَجَ الإنصافُ على بِساطِهِ.

٥ ـ اسْتَقَرّ الأمانُ بَيْن جَفْنَيْهِ.

س ٨ ـ اذكر خمساً من الكنايات البليغة ممّا وقعتَ عليه من الحديث النبوي الشريف مع بيان نوعِ الكناية في كُلّ حديثٍ.

ج ٨:

أ ـ قال رسولُ الله (ﷺ): **«من أبطأَ بِهِ عَمَلُهُ لم يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»**.

ب ـ وقال رسولُ الله (ﷺ): **«أكثِروا من ذِكر هاذِم[1] اللّذات»**.

ج ـ وقال رسول الله (ﷺ): **«الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخير إلى يوم القيامة»**.

د ـ وقال رسولُ الله (ﷺ): **«إيّاكُم وخضراءَ الدِّمَن»**.

هـ ـ وقال رسول الله (ﷺ): **«لا يؤمنُ أحدكُمْ حتى يكونَ هَواهُ تَبَعاً لما جِئْتُ بهِ»**.

أما نوع الكناية في كُلٍّ من الأحاديث السابقة فهي بالنظر إلى لازم المعنى، على التوالي والترتيب:

أ ـ كناية عن صفة مَرّتَيْن: سوء العمل، وعُلُوّ النَّسَب.

ب ـ كناية عن موصوفٍ وهو الموت.

(١) هاذم اللّذات: قاطع اللذات، وعنى به الموت.

ج ـ كناية عن نسبة الخير إلى الخيل.

د ـ كناية عن موصوف، وهو هُنا المرأة الجميلة في منبت السُّوء.

هـ ـ كناية عن نسبة الهوى إلى الدين القويم مما يصحّحُه.

س ٩ ـ هاتِ خمسة أمْثِلة وشواهد على الكناية عن موصوف واذكر الموصوف وَراءَ الكناية.

أ ـ قال الشاعرُ العربيُّ:

رُبَّ مــن تــرجــو بــه دَفْــعَ الأذى   ســوف يــأتــيــكَ الأذى مــن قــبــلــهْ

ب ـ وقال الشاعر:

إنّ مــن يَــسْــكُــن لَــحْــداً   لا يُــرجّــى مِــنْــهُ فَــضْــلُ

ج ـ وقال آخر:

الفَـضْـلُ فَـضْـلُـكَ لا نـظـيرَ لِقَـدْرِهِ   أعْـيَـتْ مـنـالَـتُـهُ ذَوي الـتـيـجـانِ

د ـ أنْفِق ما في الجيب يأتِكَ ما في الغَيْب.

هـ ـ أبناءُ النّيل أشقاءُ لأبناءِ بَردى والفُرات.

و ـ لا يَسْبِقُ السّيّارةَ ذو حافرٍ، ولا ذو خُفٍّ.

ج ٩:

أ ـ من ترجو به دفع الأذى (الصديق): موصوف.

ب ـ مَنْ يَسْكُن لحداً (الميّت): موصوف.

ج ـ ذَوُو التيجان (الملوك): موصوف.

د ـ ما في الجيب (المال): موصوف.

ما في الغيب (الرّزق): موصوف.

هـ ـ أبناء النيلِ (المصريّون): موصوف.

أبناء بردى والفرات (السوريّون): موصوف.

و ـ ذو حافر (الحِصان): موصوف.

ذو خف (الجمل): موصوف.

س ١٠ ـ أوجِز رأيكَ في بلاغَةِ الكناية من خلال ما تبين لكَ من أشكالِها وأمثلتِها.

ج ١٠: الكناية فنٌ من البيان يؤدّى بشكلٍ من اللفظ ذي مضمون قريبٍ وآخر بعيدٍ. والمراد هو البَعيدُ باسم لازِم الفائدةِ.

تُعَدُّ الكناية أُسلوبَ الأذكياء والظُرفاء، تقولُ فيها ما تشاء دونَ خَدْشِ الذوقِ والحياء عند الآخرين، ودونَ استغضابِهِمْ.

ومن أمثلة ذلك قولُك للبخيل: ابسطْ يَدَك قليلاً.

وقولُكَ للشيخ الفاني الذي يتصابى: لقد فاتك القِطار.

وقولُكَ لمن تتحدّاه: لِتَرْكَبْ أَعْلى خُيولِكَ.

وقولُكَ للثرثار: أطفِىء مذياعَك لحظةً.

وقولُك لمنْ لا يَفهَمُكَ: هل نُغنّي في الطاحون؟!

ويلحقُ بالكناية أشكالٌ من التعريض والتلويح والإشارة والرّمز. وهي أدقُّ فَهماً وأبلغُ تأثيراً.

تمريناتٌ على الكِناية

س ١ ـ ما هما رُكْنا الكناية الأَساسيّان؟ هات مثالاً على الكناية وأشِرْ إلى رُكْنَيها من ظاهرٍ ومحذوفٍ.

س ٢ ـ عدِّدْ أقسامَ الكناية باعتبارِ لازمِ المعنى، ومثِّلْ لكلٍّ فيها بِمثالٍ واضح.

س ٣ ـ هل يصحّ اعتبارُ لازمِ المعنى مقصوداً وحدَهُ بالكناية من دون المعنى القريب أو الظاهر؟ متى يكونُ ذلك؟ وضِّحْ إجابتَكَ بشاهِدٍ من القرآن الكريم على صفات ذي الجلال سبحانه وتعالى.

س ٤ ـ أشِرْ إلى الكنايات الواردة فيما يلي وبيّن نَوْعَ كُلٍّ منها (كناية عن صفة، عن موصوفٍ، عن نسبة).

أ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [سورة الشورى: ٣٢].

ب ـ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٩].

ج ـ وقال رسول الله (ﷺ): «إنّما أنا ابنُ أمةٍ[1] كانت تأكُلُ القديد[2]».

د ـ وقال الشاعرُ يَمْدحُ المدعُوّ بابنِ الحَشْرَج:

إنّ السّماحة والمُروءةَ والنّدى ... في قُبّةٍ ضُرِبَتْ على ابنِ الحَشْرَجِ

---

(١) الأعلام: الجبال.
(٢) أمَة: امرأة.
(٣) القديد: اللحم المجفف.

هـ ـ وقالَ حسّانُ بن ثابت يمدحُ الغساسِنة:

يُغْشَوْنَ[1] حتّى ما تَهِرُّ[2] كِلابُهُمْ | لا يَسْألونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ

و ـ وقال الشاعرُ مادِحاً:

هُوَ البحرُ مِنْ أيِّ النواحي أتَيْتَهُ | فلُجَّتُهُ المعروفُ والجُودُ ساحِلُهُ

ز ـ وقال الشاعر يمدحُ:

لا تُمسِكُ المالَ كفٌّ مِنْ تَدفقِها | كادَ الفراتُ، ولم يقدِرْ، يُجاريها

ح ـ وقال شاعرٌ مُهاجِر:

مَوْطنُ الأرْزِ ملءِ عيني وقلبي | أينما رُحتُ فالهوى لُبنانُ

ط ـ وقال كعْبُ بن زُهير:

كلُّ ابْنِ أُنثى وإنْ طالَتْ سلامَتُهُ | يوماً على آلةٍ حدباءَ[3] مَحْمولُ

ي ـ وقال الشاعرُ العربيّ:

أهيمُ بذاتِ الخِدْرِ[4] قَدْرَ عَفافِها | وأجْمَلُ ما في الدُّرِّ[5] حينَ يُصَانُ

س ٥ ـ هاتِ مثالاً على الكناية من قبيل التعريض.

س ٦ ـ هاتِ مثالاً على الكناية من قبيل التَّلويح.

س ٧ ـ هاتِ مثالاً على الكناية بغايةِ الإيماء أو الإشارة.

س ٨ ـ هاتِ مثالاً على الكناية بغاية الرَّمْز.

س ٩ ـ استخدم الكناية في الدَّلالةِ على ثلاثٍ من المُدُنِ المشهورةِ أو البُلْدان.

س ١٠ ـ استخدمِ الكنايةَ في الدّلالةِ على ثلاثةٍ من أعْضاء الجِسْم في الإنسان.

---

(١) يُغْشَوْن: يُزارون.

(٢) تَهِرّ: تصوّتُ دون نباح.

(٣) لجّة الماء: كتلتُه ومعظمه.

(٤) الآلة الحدباء: النَّعْش.

(٥) الخِدر: حجرة العذراء أو المرأة المصون.

(٦) الدرّ: اللؤلؤ الثمين.

القسم الثاني

علم البديع

تعريف علم البديع:

البديع لُغةً هو الشيء المُبدَع، أو المُختَرع، فهو بمعنى اسم المفعول مِن الفِعل أَبْدَع، وإن كان وَزْن (فعيل) في الصرفيات يَحتملُ معنى اسم الفاعل، مثل: (عليم) بمعنى عالِم، ويحتملُ معنى اسم المفعول مثل: (جريح) بمعنى مجروح.

أمّا بالمصطلح البلاغيّ فهو العِلْم الذي تعرف بِهِ وُجوهُ تحسينِ الكلام مِنْ جِهتي اللفظِ والمعنى. وعلى هذا قُسِمتْ أبحاثهُ إلى قِسْمين هما:

- المُحسّنات اللفظيّة وتتناول وجوه تحسين اللفظ وتزيينه.
- المُحَسّنات المعنويّة وتتناولُ وجوهَ تحسينِ المعنى وتزيينهِ.

وإذا كان علمُ البيان منطلقاً من الذّهن والخيال في سبيل عرض المعنى وتبيانه، فإنّ علم البديع ينطلق من التفنّن وإظهار البراعة في تقليب وجوه الكلام كما تتبرّج الحَسْناء بوسائلها المختلفة.

وتذكُرُ كتبُ البلاغة قديمها وحديثُها أنّ واضِع هذا العلم هو عبدُ الله بنُ المعتزّ المتوفى عام ٢٩٦هـ، والمرجّح أن بدايته كعلمٍ لا كاستعمال، كانت مع ابنِ المعتز في كتابهِ «البديع»، ولكن رجال اللغة ظلّوا يكتشفون الموجودَ من فنونه، ويضيفون إليه المستجدّ منها حتى تضخّم بتفريعاتِهِ إلى حدٍّ كبيرٍ. وصار الإلمامُ به أمْراً صَعْباً للغاية، مما حدا بنا وبغيرنا من المؤلفين إلى تحكيم الذوق، والاختيار المناسب.

كان الشُعراء والنّظامون في العصور الوسطى معنيين بإبهار الأنظار بما عندهم من التفنُّن البديعيّ، فنظموا فيه قصائد عُرِفتْ بالبديعيّات، ولأنها كانَتْ مجترّة

مُتكلّفة حَطَّ بها هذا الاجترار وهذا التكلّف إلى مُستوى الرّداءة أو عدم التقبُل، فلم يكتب لها الاستمرارُ، وباتتْ في مخازنِ الكتب كالجُثثِ المحنّطة.

وبجهدٍ جهيد حاوَلْنا تقريبَ علم البديع من التقبُل والمعاصرة، من خلال اختيار بعضٍ من كُلٍّ مما لا يَعْسُرُ على الأفهام، ولا يخلو من الاستساغة. وفضّلنا أن نبدأ بالمحسنات اللفظية قبلَ المعنوية لأن اللفظ أوّلُ ما يُواجه المُتلقي من النصّ المسموع أو المقروء. كما أنّنا جعلنا علم البديع في موقعٍ متوسّطٍ بين علوم البلاغة لكونهِ أقربَ إلى المُلاحظةِ والالتقاطِ من علم المعاني القائم على الذّهنيّات والعقليّات المُجرّدة، وكأنّه من المنطق وليسَ من البلاغة.

المُحَسِّنات اللفظيّة:

نتناول من هذه المحسّنات البديعية اللفظيّة عَشراً باعْتبارها الأَهمّ والأَدْرج استعمالاً، وهي على التوالي:

السَّجْع ـ الجِناس ـ التّوازن ـ الازْدواج ـ الترصيع ـ الاقتباس ـ لُزومُ ما لا يلزم ـ ردُّ العَجز على الصَّدْر ـ ما لا يستحيلُ بالانعكاس ـ المُعابثة.

المحسنات المعنوية:

نتناول من هذه المحسنات المعنوية ما يلي:

١ ـ الطباق.

٢ ـ المقابلة.

٣ ـ التّورية.

٤ ـ حُسْنَ التعليل.

٥ ـ مُراعاةَ النظير.

٦ ـ المُشاكلة.

٧ ـ المَدْح بما يشبه الذم وعكسُه.

٨ ـ الطيُّ والنّشر.

٩ ـ المُغايرة.

١٠ ـ تجاهُل العارف.

١١ ـ أسلوب الحكيم.

١٢ ـ ائتلاف اللفظ مع المعنى.

١ ـ السَّجْع

أ ـ تعريفه:

هُوَ تَوافقُ الفاصلتين في آخر ما تنتهي كُلٌّ مِنهما مِنْ حروف، وذلك بما يُشبه الرويّ في الشَّطْر الأخيرِ من كل بَيْتٍ في القصيدة الواحدة.

ويكون السَّجْعُ أقربَ إلى البلاغة فضلاً عن التزيين إذا جاءَ لفظُهُ في خدمةِ المعنى بلا تكلُّف.

قال تعالى في سورة الكَوْثَرْ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾. وذلك بالقراءة الفصيحة بالوقوف على ساكِنٍ في كُلِّ فاصلةٍ.

وقال رسول الله (ﷺ): «رَحِمَ اللّهُ عبداً قال خيراً فَغَنِمْ، أو سَكَتَ فَسَلِمْ».

ومن كلامِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالب في «نَهجِ البلاغة»[1] قَوْلُه: «اعْجَبُوا لهذا الإنسانِ، ينظرُ بِشَحْمٍ، ويتكلَّمُ بِلَحْمٍ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ، وَيَتَنَفَّسُ من خُرْمٍ».

والسَّجع فَنٌّ معروفٌ، وأسلوبٌ متَّبع في النَّثر الجاهليِّ من خُطَبٍ وحِكَمٍ وَمَواعِظَ ووصايا. وقد اتخذهُ الكُهّانُ خاصّةً حتى نُسِبَ إليهم فقيلَ: «سَجْعُ الكُهّان». وأشهر من التزموا بِسَجْع الكهّان الكاهنُ قُسّ بن ساعِدَة الإياديُّ؛ ووصلتْنا عنه خطبةٌ مشهورة أثبتنا بعضاً منها بَيْنَ النماذج الأدبية للنثر المَسْجوع.

---

(١) نهج البلاغة: كتاب جُمعتْ فيه خُطب الإمام علي وحكمه وأقواله من عمل الشريف الرضيّ المتوفى ٤٠٦هـ.

ويلاحظ أنَّ السَّجعَ الذي بلغ أوْجَهُ وازدهارَهُ في مقاماتِ بديع الزمان والحريريّ قد أوشكَ أن ينقرضَ في عصرنا، فهو لا يأتي إلا مُصادفةً، قد يتحاشى الأديبُ تكرارَها، وإنْ تَعمَّدهُ فمن قَبيل تقليد المقامات، أو من قبيلِ الإطراف والتفكُّه.

ويُسمّى النثر الخالي من السَّجع نثراً مُرسلاً، وهو السائدُ اليوم.

ب ـ نماذج مِنَ السَّجع في النَّثر الأدبي:

١ ـ قال قُسُّ بن ساعدةَ الإياديّ من خطبةٍ له:

«أيها الناسُ اجْتمعوا، ثم اسْمَعُوا وعُوا، مَنْ عاشَ ماتَ، ومن ماتَ فاتَ، وكلُّ ما هُوَ آتٍ آت، مَطَرٌ ونباتٌ، وآياتٌ مُحكماتٌ، وليلٌ داجٍ[١] وَنهارٌ ساجٍ[٢] وسماءٌ ذاتُ أبراج.. ما لي أرى الناسَ يذهبُونَ ولا يَرْجِعون؟ أرَضُوا فأقامُوا؟ أمْ حُبِسوا فناموا؟..».

٢ ـ ونُسِبَ إلى الإمامِ عليّ بن أبي طالبٍ قولُهُ في ذمِّ الدنيا:

«دارٌ بالبلاءِ مَحفوفةٌ[٣]، وبالغَدْرِ معروفةٌ، لا تدومُ أحوالُها ولا يَسْلَمُ نُزّالُها[٤].. العَيْشُ فيها مَذْموم، والأمانُ فيها معدوم..».

٣ ـ وقالَ شَبيبُ بن شَيْبَة[٥] يُعزّي الخليفة المهديَّ في ابنتهِ:

«أعْطاكَ اللّهُ على ما رُزِئْتَ[٦] أجْراً، وأعْقَبكَ ـ يا أميرَ المؤمنين ـ صَبْراً، ولا

---

(١) داج: مظلم.
(٢) ساج: هادئ مستمر.
(٣) محفوفة: مُحاطة.
(٤) نزّالُها: أهلها المقيمون فيها.
(٥) خطيب بليغ أقام بالبصرة توفي ١٧٠هـ.
(٦) رُزئت: أصِبْت.

أَجْهَدَ اللّهُ بلاءكَ بِنَقْمةٍ[1]، ولا نَزِعَ مِنْكَ [من بَعْدِها] نِعْمة . . ».

٤ ـ وجاءَ في المقامة «القرديّة» لبديع الزمان الهمذانيّ[*]:

«حدّثنا عيسى بن هشام قال: بينا أنا بمدينة السّلام، قافلاً من البيت الحرام، أميسُ مَيْسَ الرّجْلة[2]، علَى شاطئ دِجْلة، أتأمّلُ تلك الطّرائف، وأتقصّى تلك الزّخارف، إذ انْتهيتُ إلى حَلْقةِ رجالٍ مُزدحمين يَلْوي الطّربُ أعْناقَهُم، ويشقّ الضحِكُ أشداقَهُم، فساقني الحِرْصُ إلى ما ساقَهُم، حتّى وَقَفْتُ بِمَسْمَعِ صوتِ رَجلٍ دون مرأى وَجْهِهِ، لِشدّةِ الهَجْمَة، وفَرْطِ الزّحمة، وإذا هو قرّادٌ[3] يُرْقِصُ قِرْدَهُ، ويُضحكُ مَنْ عِنْدَهُ» . .

٥ ـ وجاءَ في المقامة «الصّوريّة» لأبي محمّدٍ الحريريّ[**]:

«حكى الحارثُ بن هَمّام قال: «ارتحلْتُ من مدينة المنصور إلى بلدة صُور، فلمّا حَصَلْتُ بها ذا رِفْعةٍ وخفض[4]، ومالِكَ رَفْعٍ وخفض، تُقْتُ[5] إلى مِصْرَ توقانَ السقيمِ إلى الأُساة[6]، والكريمِ إلى المُواساةِ . . ».

٦ ـ ومن السّجع الحديث الذي جاءَ عَفوياً بلا كلفة، قولُ الأديبة ميّ زيادة[7] ترثي

---

(١) النقمة: خلاف النعمة، الغضب.

(*) هو أحمد بن الحسين، أبو الفضل الملقّب ببديع الزمان، يعود إليه فضلُ اختراع المقامة وهي أقصوصة مسجوعة الأسلوب، ذاتُ روحٍ خفيفة. ولد في همذان سنة ٣٥٨هـ وتوفي في هراة سنة ٣٩٨هـ.

(٢) الرّجلة: نبت دقيق الساق.

(٣) القرّاد: محترف ترقيص القرود.

(**) ولد القاسم أبو محمد الحريري في ضاحية البصرة سنة ٤٤٦هـ، نظم الشعر، قلّد الهمذانيّ في مقاماته؛ كانت وفاته سنة ٥١٦هـ.

(٤) الخفض: النعمة والرفاه.

(٥) تقت: اشتقتُ.

(٦) الأُساة: ج آسٍ وهو الطبيب.

(٧) ميّ زيادة: أديبة لبنانية عاشت في مصر، تعدّ من رائدات النهضة النسائية الحديثة، توفّيت سنة ١٩٤١م.

طائرها المُغرِّد:

«..طائرٌ صغيرٌ نَسَجت أشعةُ الشَّمْسِ ذَهَبَ جناحَيهِ، وانحنى الليلُ عليه فترك من سَوادِهِ قُبلةً في عَيْنيهِ، ثم سطتْ عليه يَدُ البشر فسجنتْهُ في قفصٍ كان عُشَّهُ في حياتِهِ، وكانَ نعشَهُ في مماتِهِ..»

٢ ـ الجِناس

أ ـ تعريفه:

اجتماعُ لَفظَين مُتشابهين في نُطقهما مختلفَيْنِ في معناهما ضمن عبارةٍ واحدةٍ، سواء أكان اجتماعُهما في الشِّعر أم في النثر.

قال أحدهم شعراً:

عَضَّنا الدَّهرُ بِنابِهْ   لَيتَ ما حَلَّ بِنا بِهْ

وقال أَحَدُهم نثراً: حَلَلْنا رَحْبةَ رَحْبةً[1].

ويقالُ للجِناس تاماً إذا تَماثلَتِ الحروف مِنْ أربعةِ جوانب هي: نوعُ الحروف، ضبطُها أو تَشكيلُها، عَدَدُها، ترتيبُها، ضِمْنَ الكلمتين المُتجانستَيْن، وقد يجمَع التجانسُ أكثر من كلمةٍ في طرفِ الجناس الواحِد أو في كِلَيْهما كما وَرَد في البيت السابق:

بِنابه = ب + نابِه.

بنا بهِ = بنا + بِهِ.

أما إذا اخْتلّ جانبٌ من هذه الجوانِب الأربعة في التّماثُل فيكونُ الجِناسُ ناقصاً، كما في الأمثلة التالية:

ـ دَعِ الحُسامَ للأُمور الجِسام.   (اختل نوع الحروف).

ـ لا يَحْسُنُ الخُلْفُ من الخَلَفِ. (اختل تشكيلها).

---

(١) رحبة الأولى: فِناء الدار وساحتها. ورحبة الثانية: صفة بمعنى واسعة.

ـ لقد هَاذَيَ وتمادى. (اختل عددها).

ـ بِيضُ الصفائح[1] تُغْنِي عن سُودِ الصّحائف[1]. (اختل ترتيبها)

وقد عُدَّ الجِناسُ من المحسّنات اللفظيّة لأنه يَصْطنع مُلابَسَةً طريفةً بين كلمتين، يُفترضَ أن تكونا بمعنى واحد، فإذا مَعْنياهما مخْتلفان، ويقلُّ جَمالُ الجِناس عندما يأتي مُتكلّفاً مُسْتجَرّاً على حسابِ المعنى وعندما يُستَكْثَر مِنه في نَصّ واحدٍ.

ب ـ نماذِج من الجِناس التامّ والجناس الناقص:

١ ـ قال أبو العلاء المعرّي:

لم نَلْقَ غيرَكَ إنساناً يُلاذُ بِهِ[2] فلا بَرِحْتَ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إنسانا[3]

٢ ـ وقال أحَدُهم:

إذا رَمَاكَ الدَّهرُ في مَعْشَرٍ قدْ أجْمعَ الناسُ على بُغْضِهِمْ

فدارِهِمْ[4] ما دمْت في دَارِهِمْ وأرْضِهِمْ[5] ما دُمْت في أرْضِهِمْ

٣ ـ وقال آخَرُ مُجنّساً:

طَرَقْتُ البابَ حتّى كلَّ[6] متْني فلمّا كَلَّ مَتْني كَلَّمَتْني

٤ ـ وقالَ رسولُ الله (ﷺ):

«الْخَيلُ مَعْقودٌ بنواصيها[7] الخَيْرُ إلى يومِ القيامة».

---

(١) الصفائح: قصدَ بها السُّيوف، والصَّحائف: قصد بها الكُتُب.

(٢) يُلاذُ بِهِ: يُحْتمى.

(٣) إنسان العين: سَوادُها وبؤبؤها.

(٤) دارِهِم: كن مُدارياً لهم ولطيفاً معهم.

(٥) أرضِهِمْ: فعل أمر من الإرضاء والمصانعة.

(٦) كلَّ متني: تعبَ ظهري.

(٧) النواصي: جمع ناصية وهي مقدمة الرأس.

٥ ـ وقال عبّاسُ بن الأحنف(*):

حُسامُكَ[1] فيهِ للأحبابِ فَتْحٌ[2] ورُمْحُكَ فيهِ للأعداءِ حَتْفُ[3]

٦ ـ وقالَ ابنُ الفارِض(**):

لو زارَنا طَيْفُ ذاتِ الخالِ[4] أحيانا ونحنُ في حُفَرِ الأجداثِ[5] أحيانا[6]

(*) عبّاس بن الأحنف: شاعر بغداديّ عاصر الخليفة الرشيد: اشتهر بالغزل، وكانت وفاته عام ١٩٢هـ.

(١) الحسام: السيف.

(٢) فتح: نَصْرٌ.

(٣) الحتف: الهلاك.

(**) ابن الفارض: عمر بن عليّ، شاعر متصوف عاش في مصر. توفّي سنة ٦٣٢هـ.

(٤) الخال: حسنةٌ في الوجه كالشامة السوداء.

(٥) الأجداث: القبور.

(٦) أحيانا: بعثنا من الموت.

٣ ـ التّوازُن

أ ـ تعريفه:

هو أن تتوافقَ كلُّ جُملتينِ أو فاصلتين من الكلام في الوَزْنِ، وإنْ لم تتوافقا بالمساجعة والتّقفية أي في أواخر الحروف:

قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ[1] مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ[2] مَبْثُوثَةٌ﴾ [سورة الغاشية: ١٥ و١٦].

لاحظت التوافق في الوزن بين (مصفوفة ومبثوثة) على اختلاف الحرف الأخير فيهما (فاء وثاء) في مادة الأصل (صفّ، بثّ) فهذا توازُنٌ، من شأنه تحسينُ اللفظ عند النطق به، وإشاعةُ ضربٍ من الموسيقى اللفظيّة تُشْبهُ الشّعْر وليست من الشّعْر، فهي موسيقى خفيّةٌ جَذّابةٌ للأسْماع والنفوس، وخصوصاً إذا طالَ نَفَسُها وتكرّر كما في عديدٍ من سُوَر القرآن الكريم المكّية ومنها: القارعةُ والغاشيةُ وسواهما. وهذا نصّ جميل ومتوازن من سورةِ الليل وهي مكّيةٌ أيضاً، قال تعالى: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ[3] ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ . .﴾ [سورة الليل: ١ ـ ٧].

وفي حين يجملُ التوازن في النص النثري فيغدو رشيقاً جذّاباً نجده يَقْبُحُ في الشّعر والنّظم، لأنه يُقْحمُ الوزنَ في الوزن، والموسيقى في الموسيقى فتبدو عليه الكلفةُ والاصطناع، كقول أحد النّظامين:

---

(١) النّمارق: الوسائد.
(٢) الزرابيّ: البُسُط.
(٣) شتّى: مختلف بين إنسانٍ وآخر.

أنـــابَ وثـــابَ وقـــامَ فـــرامَ   وَصَـالَ فـنـالَ، كـمـا الأقـويـناء

وعلى كلِّ حال، يبقى التوازنُ في الأساليب النثرية هو الأنسب ويحتاجُ إلى خبرةٍ من الناثر، يعرفُ بها متى يُبْديهِ ومتى يحجبُه في فقرات الكلام. وقد يجمعُ بين التوازن والسَّجْع إذا تفنّن.

ب ـ نماذج من النّثر (مَعَ تَوازُنِ الفَواصِل):

١ ـ قال عمرو بن سعيد بن العاص(*) يثني على يزيد بن معاوية يوم عُقدتْ له البيعةُ بالخلافة أمامَ مجلسٍ من القوم:

أمّا بعْدُ، فإنَّ يزيدَ بنَ مُعاوية، أملٌ تأملُونه، وأَجَلٌ تأْمنونَهُ.. سُوبِقَ فَسَبقَ، ومُوجِدَ فمجَدَ(١)، وقورِع سَهْمُهُ ففازَ..»

٢ ـ وقال زيادُ بن أبيه(**) من خطبتهِ البَتراءِ:

«رُبَّ مُبتئسٍ بقدومنا سَيُسَرُّ، ومسرورٍ بقدومَنا سيَبْتئِسُ، أيُّها النّاسُ، إنّا قد أصبحْنا لكم ساسَةً، وَعنكُمْ ذادةً(٢)، فَلَنا عليكُم السَّمْعُ والطاعةُ فيما أَحْبَبْنا، ولكم علينا العَدل فيما ولينا..».

٣ ـ وقال أبو عثمانَ الجاحظُ(***) من أسلوبه المتوازن وهو يتحدث عن الكِتاب:

«والكتابُ وِعاءٌ مُلِيءَ عِلْماً، وظَرْفٌ حُشِيَ ظَرْفاً.. إنْ شئتَ ضحِكْتَ من نَوادِرِه، وإنْ شئت عجبْتَ من فَرائِدِه، إن شِئْت ألهَتْكَ طرائِفُهُ، وإنْ شِئْتَ

(*) لقبُه الأشدَق الأموي، كان وليّ عهدٍ لمروان بن الحكم، خرج على عبد الملك فقُتل عام ٧٠هـ.
(١) مَجَدَ: سبق غيره في المجد.
(**) زياد بن أبيه: سياسيّ داهية وخطيب وقائد من أنصار بني أمية توفي سنة ٥٣هـ.
(٢) ذادة: مُحامون ومدافعون.
(***) أبو عثمان الجاحظ: اسمه عمرو بن بحر الكنانيّ، أشهر كتاب العصر العباسي، وصاحبُ مؤلفات مشهورة منها: البيان والتبيين، والحيوان، والبخلاء.. توفي سنة ٢٥٥هـ.

أَشْجتْك[1] مواعِظُهَ، ومَنْ لَكَ[2] بواعظٍ مُلهٍ[3]، وزاجِرٍ مُغرٍ، وبِناسكٍ فاتكٍ، وبناطقٍ أخْرَسَ؟

.. والكتابُ هو الجليسُ الذي لا يُطريك[4]، والصديق الذي لا يُغريك والرفيقُ الذي لا يملُّك.. يطيعك بالليل كطاعتِهِ بالنهار، ويطيعُكَ في السّفر، كطاعتِهِ في الحَضَر[5]..».

٤ ـ وجاء في أحد كتب الإنشاء في موضوع طاعة الوالدين:

«تقرّبْ إليهما بالمودّة، وعامِلْهما بالمبرّة، ولا تشعرهما بأنك تردُّ جميلاً، فأنت تردُّ القليلَ القليلَ، لمن أعطاكَ الكثيرَ الكثيرَ.. وأكبرُ دَيْنٍ تَرُدُّهُ، سيصبح قَرْضاً تَعدُّهُ، على خلفٍ لا تراه ولكنه مقبل للحياة».

---

(١) أشجتْك: أحزنتك بالجد والموعظة.
(٢) من لك؟: من أين لك؟
(٣) مُلهٍ: اسم فاعل من الإلهاء كالتسلية.
(٤) يُطريك: يمدحك تملّقاً.
(٥) الحَضَر: هنا، الحضور والإقامة بخلاف السّفر.

٤ ـ الازدواج

أ ـ تعريفُه:

هُو ترافُقُ مُتجاورين من لفظٍ ولفظ، أو عبارةٍ وعبارةٍ تنتهيان بفاصلتين متشابهتين كما في السَّجْع مع ورودها مثنى مثنى لتحقيق الازدواج. وهذان مثالان:

ـ من جَدَّ وَجَد، ومَنْ صَبر ظَفَرَ. (ازدواج لفظين).

ـ اتَّخذتُ الكتابَ أنيساً، إليه أَظَلُّ جليساً. (ازدواج عبارتين)

قال بديعُ الزمان الهمذاني وقد زاوجَ بين لفظين في عبارتين: إنّ بَعْدَ الكَدَرِ صَفْواً، وبعد المَطَرِ صَحْواً.

وقد حاولَ المُغرمون بالبديع مثلُ الحريريّ خليفةُ بديع الزمان الهمذاني ومقلِّدُه في فنّ المقامات، حاولوا لَفْتَ الأنظار وزيادة الإعْجاب ببراعتِهم، فَزاوَجوا بين كلِّ ثلاثةٍ أو أربعةٍ من الألفاظ. قال الحريريُّ في تقريظ أحد الخطباء البلغاء في زمانه:

«هو يطبعُ الأسْجاعَ بجواهرِ لفظِه، ويقرعُ الأسماعَ بزواجر وَعْظِه». فها هنا ازدوجَتْ حروفُ (ع، ع، ر، ظ) مع نظيرها في العبارة التالية.

وبشيءٍ من التحرّي نجد هذا النوع من التحسين البديعي عند كتّابنا القدامى كالجاحظ ومن جاء بعده، وخاصّةً، من أصحاب المقامات. وقد حظيت تحسيناتهم بالازدواج وغيره ببعض الاستظراف في حينها، ولكنها ما لبثت أن أصبحتْ ضمن المبتذل المملول والمنبوذ.

وفي النثر العربي القديم، على وجه العموم، قد نجد التوازن والازدواج مجتمعين في عديدٍ كثير من النصوص حتى كانا من خصائص النثر في الفترة العباسيّة وما بعدها وليس لنا أن نحكم عليها استجادةً، أو استقباحاً إلاّ على ضوء إصابة المعنى، ولمطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ولا يخفى أن الأسلوب المُرسَلَ الخالي من هذه المحاولات البديعية والمحسّنات المتكلّفة هو الأسلوب الأحدثُ والمستساغ والعمليّ في التأثير والتأثّر..

ب ـ نماذج من الازدواج

١ ـ ما فاتَ ماتَ، وما حالَ زال.

٢ ـ ليسَ الاتّقاءُ بِشَيْنٍ، ولَيْسَ الابتلاءُ بِزَيْنٍ.

٣ ـ بلادي، تُرابُكِ خصْبٌ نضيرٌ، وجوُّكِ رَطبٌ مَطيرٌ.

٤ ـ رأيتك ملءَ العُيونِ، وعطفك فَيْءَ الجُفونِ.

٥ ـ من جار اسْتجار، ومن حارَ استَخار.

٦ ـ قال أبو حيّان التوحيدي(*) من رسالة له إلى ابن العميد(**):

«حلَّ بيَ الْوَيلُ، وسالَ بي السَّيل.. فأين أنا ممّن يرى البخْل كُفراً صريحاً، ويرى الإفضالَ ديناً صَحيحا؟ أين أنا عن سماءٍ لا تفتُرُ[1] عن الهَطَلان، وعن بَحْرٍ لا يقذِفُ إلاّ باللؤلؤ والمَرْجان.. [وذاكَ]، لِمَ لا أقصِد بلاده؟ ولم لا أقتدح زنادة[2]؟ ولم لا أسْكُنُ رَبْعَهُ[3]، ولم لا أستدعي نَفْعَهُ؟..».

(*) أبو حيان التوحيدي من كبار أدباء العصر العباسي وكتّابه، عاش فقيراً يمتهن حرفة النسخ بخط يده، له كتاب الإمتاع والمؤانسة. توفي عام ٤٠٠هـ.

(**) من متألقي كتّاب ووزراء العصر العباسي، توفي سنة ٣٦٦هـ.

(١) لا تفتر: لا تكلّ ولا تقف.

(٢) الزناد: حجر تقتدح به النار. وقدح زناده كناية عن تجربته.

(٣) ربْعَه: دياره.

٥ ـ التَّرْصيع والتَّصْريع

أ ـ تعريف:

الأصلُ في الترصيع أنّه الزينة برصف الجواهر وفي العُرف البلاغي، هو ضربٌ من المحسّنات اللفظيّة يكون بتوازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أو تقارُبها.

ففي الترصيع ركُنان:

الأول: توازن الألفاظ.

الثاني: توافق الأعجاز (نهايات الكلمات) أو تقاربها.

وهذا مثالَ على الترصيع مع توافق الأعجاز:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [سورة الانفطار: ١٣ ـ ١٤].

في الشاهد المذكور توفُّر:

تَوازنُ الألفاظ: إنّ الأبرارَ، الفجّارَ، لفي، نعيم، جحيم.

توافق الأعجاز: نعيم، جحيم.

فهذا ترصيعٌ بليغ من محسّنات اللفظ القرآني. ولا يُسْتبعد الترصيع إذا كانَ التوازنُ والتوافق على مستوى متقارب كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الصافات: ١١٧ ـ ١١٨].

مُستبين ـ مستقيم: لفظتان تنتهيان بنونٍ وميم وَهُما حَرْفانِ متقاربانِ نُطْقاً.

وفي توازن الألفاظ عندنا هذا التقارب:

آتَيْناهُما، هَدَيْناهُما

الكتابَ، الصِّراطَ

المُستَبين، المُستقيم

وهذا التقارب يبقي الآيتين في إطار الترصيع البديعي كما عرّفناه ومثّلنا لَهُ.

وقد نتساءَلُ: هل يكون الترصيع في الشعر كما يكون في النثر؟ والجواب أن ترصيع الجُمل في بيتٍ من الشعر ممكنٌ بشيءٍ من الصعوبة لأنه يُدْخِلُ وزناً في وزنٍ، وقد ذكروا من أمثلته بيت أبي تمام الوارد في بائيته المشهورة. يقولُ فيه:

تَدْبيرُ مُعْتَصِمٍ، باللهِ منتقِمٍ ... لِلّهِ مُرْتَقِبٍ، في اللهِ مُرتَغِبِ

على أنَّ الإجادةَ في الترصيع نثراً وشِعْراً لا تكون إلاّ بموافقة اللفظِ للمعنى دونَ تكلُّفٍ ظاهر، وشَرْطها تحقّق الإطراب في موسيقى اللفظ، وفي العبارة المرصّعة بُجُمْلتها.

واستمراراً للتعريف نأتي إلى تعريف التصريع، فما هو التصريع؟

التّصريع: اصطلاحٌ بديعي مأخوذ لفظُه من المِصْراع وهو الشَّطْرُ من البيتِ الشِعرِيّ، بتوافق المصراعين أي شطري البيت في الرويّ، وهو الحرف الأخير المتكرّر من القصيدة. وأمثلتُه كثيرةٌ في مطالع القصائِد. قال أحمد شوقي:

سلامٌ مِنْ صَبا بَرَدى أرَقُّ ... ودَمْعٌ لا يُكَفْكَفُ يا دِمشقُ(*)

فالبيتُ هُنا مُصَرّع ورويّه القافُ المضمومة، وهو مَطْلعٌ.

وقال حافظ إبراهيم:

نَبّآني إنْ كنتُما تَعْلَمانِ ... ما دهى الكَوْنَ أيُّها الفَرقَدانِ(**)

والبَيْتُ هُنا مُصَرّعٌ، وَرويُه النونُ المَكْسورةُ، وهو مَطْلع.

(*) مطلع قصيدته في نكبة دمشق وقصفها من قبل الفرنسيين عام ١٩٢٥م.

(**) مطلع قصيدته في زلزال مسّينا ١٩٠٨م.

وفي ذاكرتِنا من القصائد القديمة كالمعلّقات وما جاء بَعْدها العديد من أبيات المَطالع المصرّعة. وهذا التّصريع يُحسّنُ المَدخَل إلى القصيدة كلّما طالتْ. وقد تُعْرَفُ القصيدة بمطلعها أو بجزءٍ منهُ. وهذا ما يؤكّد أهمّيةَ التّصْريع الذي يقومُ على الرويّ مكرّراً مرّتين فنقولُ: بائيّة أبي تمّام، وسينيّة البُحتري ويائيّة ابن الفارضِ..

٦ ـ الاقتباس والتضمين

أ ـ تعريف:

الاقتباس والتضمين كلمتان تعني كُلٌّ منهما الأَخذ والإدخال ضِمْناً. وهما في فنِّ البديع بين المحسنات اللفظيّة التي تُزيِّنُ الكلام بما يُعتقد أنّهُ أجمَلُ أو أشهرُ أو أهمُّ من المُدْخَلِ إليه. ويكون الاقتباس أو التضمين في المنظوم شِعراً أو المؤدّى نثراً غير منظوم وذلك من أحد موارد ثلاثةٍ هي:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الحديث النبوي الشريف.

٣ ـ الشّعر المشهور.

ومن أمثلة الاقتباس من القرآن الكريم قول أحدهم:

لَسْتُ غُرّاً لكي أُصدّقَ أُنثى ... شَهِدَ اللهُ «كيدُكُنَّ عظيمُ»

ففي قوله «كيدكُنّ عظيم» اقتباسٌ من سُورة يوسُف، الآية ٢٨ وتمامُ الآيةِ: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

ومن أمثلة الاقتباس من الحديث النبوي الشريف قول الشاعر:

ولَسْتُ أقيمُ المالَ فَوْقَ مُقامِهِ ... «لأنّيَ في الدُّنيا غريبٌ وعابِرُ»

فهذا مُقْتَبس من قولِ رسولِ الله (ﷺ) يُوصي أحد أصحابِهِ: «كُنْ في الدنيا كأنّك غريبٌ أو عابرُ سبيل»[1].

---

(١) الحديث الأربعون عن ابن عمر (رضي الله عنه). انظر متن الأربعين النووية ص ١٢٣.

ومن أمثلة الاقتباس من الشِّعر قول الشاعر:

لأنـي أسـيـر فـي هـواكِ مُـسَـهَّـدٌ «دعوتُكِ للجَفْنِ القريحِ المُسَهَّدِ»[1]

فالشطر الثاني من هذا البيت هو الشطر الأول من مطلع قصيدة أبي فراس الحمداني التي جاءتْ في «روميّاته»، والبيت:

دعوتُكَ للجَفْنِ القريحِ المسَهَّدِ لديّ وللنوم القليلِ المُشَرَّدِ[2]

ويلاحَظ تهافُتُ الشعراء والنظّامين في عصر الدّويلات المتتابعة على التّضمين والاقتباس حتى عدّوا ذلك فنّاً عجيباً، ومفخرةً من المفاخر، فقال الشاعر مجير الدين بنُ تميم[3]:

أُطَـالِـعُ كُـلَّ ديـوانٍ أراهُ ولـم أَزْجُـرْ عـن التّضمينِ طَيْري

أُضَمِّنُ كُلَّ بيتٍ فيهِ مَعْنًى فشِعْري نِصْفُهُ مِنْ شِعْرِ غَيْري

وقد غلّبَ عُلماءُ البلاغة استعمالَ كلمة «الاقتباس» في حال الأَخْذِ من القرآن الكريم والحديث الشريف، لما فيهما من النُّورانيّة والبركة. وغلّبوا استعمال كلمة «التضمين» على أخذِ شاعرٍ من شاعرٍ إذا أخذ شِعْراً بنصِّهِ سواء أشارَ إلى صاحبِه أم لم يُشِرْ.

ب ـ نماذج من الاقتباس والتّضمين:

١ ـ قال ابن زيدون في رسالته الجدّية، مقتبساً من القرآن الكريم، ومضمّناً من الشعر العربي، وهو يعتذر إلى أبي الحزم بن جَهْور يستعطفه ليطلق سَراحه وهو سجين: «فكيفَ [تُعَاقبني] ولا ذنبَ [لي] إلاّ نميمةٌ أهداها كاشِحٌ[4]،

---

(١) القريح المسهّد: الجريح المؤرّق.

(٢) انظر ديوان أبي فراس الحمداني ص ٦٨ ـ طبعة دار الشرق العربيّ (بيروت لبنان).

(٣) هو محمد بن يعقوب بن عليّ شاعر دمشقي أقام في حماة في خدمة الملك المنصور توفي عام ٦٨٤هـ.

(٤) الكاشح: المبغض.

ونبأ جاء به فاسِق[1] . . وما ظنُّكَ بقومِ الصدق محمودٌ إلاّ منهم؟:

حَلَفْتُ فلم أترُكْ لنفسِكَ ريبةً — وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ[2]

٢ ـ وقال البَهاءُ زُهير[3] يحملُ على قَوْمٍ زارهم فلم يُخبِبهم:

سأدعو على الجُرْدِ[4] الجيادِ لأنّها — سَرَتْ فأتَتْ بي «وادياً غَيْرَ ذي زَرْعٍ»[5]

٣ ـ وقال أحَدُهُم في صفة محبوبته:

كَتَبَ الرحمَنُ على فيها: «إنا أعطيْناكَ الكوثَرَ»[6].

٤ ـ وقال الشاعر أبو تمام في الرثاء:

كانَ الذي خِفْتُ أن يكونا — «إنّا إلى اللهِ راجعونا»[7]

٥ ـ وقال شاعرٌ يندبُ حظَّه:

أصبحتُ أنْدُبُ حظاً لا يحالفني — «تجري الرياحُ بما لا تشتهي السُّفُنُ»[8]

٦ ـ وقال أحد الآباء يحبّبُ ولده بالعِلْمِ وطلَبِهِ:

«أُوصيك يا بني بطلب العِلْمِ من المهد إلى اللحد. فبالعلم تتحقَّقُ كرامةُ الإنسان إذْ يجلُّ قَدْراً عن الحيوان، وهو عُدّةٌ مِنْ عُدَدِ الدنيا مثلما هو عُدّةٌ من عُدَدِ الآخرة، واعلم أنّ من سلك طريقاً يلتمسُ فيه عِلماً سَهَّلَ الله له بِهِ طريقاً إلى الجنّة . .»[9].

---

(١) (نبأ جاء به فاسق) اقتباس من الآية/٦ من سورة الحُجُرات.

(٢) البيت تضمين من شعر النابغة الذبياني في الاعتذار إلى النعمان.

(٣) البهاء زهير: شاعر مبدع عاش في مصر في الحقبة الأيوبية. توفي ٦٥٦هـ.

(٤) الجُرْد: صفة الخيل قليلة الشعر وهي من أجود الخيل.

(٥) (وادياً غير ذي زرع) اقتباس من الآية/ ٣٧ من سورة إبراهيم.

(٦) سورة الكوثر، الآية: ١.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٨) الشطر من شعر المتنبي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه — تجري الرياح بما لا تشتهي السُّفُنُ

(٩) قوله: (من سلك طريقاً) إلى آخر النص، اقتباسٌ من الحديث النبوي الشريف. انظر متن الأربعين النووية الحديث السادس والثلاثين ص ١١٥.

٧ ـ لُزومُ ما لا يَلْزَم

أ ـ تعريفه:

هو ضرب من المحسّنات اللفظية يكون بأن يُسْبق الرّويُّ في الشّعر، أو الفاصلة المسجوعة في النثر، بحرفٍ يتكرّرُ أو بحرفين أو أكثر مِن غير لزومٍ أو ضرورة.

ويبدو أنَّ هذا الأسلوب من التحسين اللفظي قد انطلق من جهد أبي العلاء المعرّي في ديوانه «اللزوميات» وتبعه من بَعدِهِ آخرون حتّى مشارف العصر الحديث.. وهو كلفةٌ لا ضرورة لها، نستدلُّ على ذلك من تسميةِ «لزوم ما لا يَلْزم».

ولهذا الضرب من التحسين ـ إن كان فيه تحسين ـ غاية تتجاوز التحسين اللفظي إلى إظهار الإلمام والتبحُّر في القاموس العربي، إذْ يحتاجُ مطبّق هذا الضرب البديعي إلى رصيدٍ لغويٍّ كبيرٍ جِدّاً لينتقي من المفردات ما يناسب المعنى والمبنى في القصيدة أو في النص النثريّ، وقد يبدو هذا الضَّرب من التفنّن مُستلطَفاً وبليغاً إذا لم نشعرْ معهُ بالتكلّف وباستجْرار اللفظ البعيد.

ومن أمثلة هذا المحسّن البديعي قوله تعالى في سورة الضُّحى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ فبينَ (تَقْهَرْ، تَنْهرْ) توافق في الفاصلتين الرائيّتين أُلحِق بِهِ لزوم ما لاَ يلزم بوجود الهاء حرفاً سابقاً في الفاصلتين المتواليتين. (تقهرْ)، (تَنْهر).

ومن الأمثلة في شِعر المعرّي قولُه:

ظُهورُ الرّكائبِ عِنْدَ اللبيبِ[1] أولى بِهِ مِنْ ظُهورِ الطُّرُقْ
فإنْ راقَهُ مَنظرٌ مَسَّهُ بإثم[2]، ويُؤذيه إن لم يَرُقْ
إذا لم يُعِنْ أو يُغِثْ شاكياً فإنَّ الجلوس عليها خُرُقْ[3]

في هذه الأبياتِ التزمَ المعرّيُّ حرفَ الراء قبل القاف الساكنة والقاف رويّ الأبيات، ولا لزوم لالتزام الراء قبْلَها. وكانَ من الممكن أن يأتي بكلماتٍ أخرى يتحقق فيها الرويّ بالقاف الساكنة مِثْل: نُفُقْ، حُمُقْ، يُطِقْ..

ب ـ نماذجُ مِنْ لزوم ما لا يَلْزم:

١ ـ قال الحُسَيْنُ بن علي الطُّغرائيّ[4]:

أصالةُ الرَّأيِ صانَتْني عن الخَطَلِ وحِلْيةُ الفضلِ زانَتْني لدى العَطَلِ[5]

٢ ـ وقال أبو العلاءِ المعرّيُّ يدعو إلى تركِ نِتاجِ النّحل:

ودَعْ ضَرَبَ[6] النَّحْلِ الذي بَكَرَتْ لَهُ كواسِبَ مِنْ أزْهار نَبْتٍ فوائحِ
فما أحرزتْهُ كَيْ يكونَ لِغَيْرِها ولا جَمَعَتْهُ للنّدى والمَنائحِ[7]

٣ ـ وقالَ أحَدُهُم من أدبِ المقامات:

«وخَرَجْتُ التمسُ فَرَجاً، ولم أجدْ في خروجي حَرَجاً، ولا بأس أن يقالَ: انْهَزَمْ، ومثْلي مَنْ ارتأى فاعْتَزَمَ، وتَمَلْمَلْتُ أمامَ الصّحابِ، كمَنْ ضاقَتْ بِهِ

(١) اللبيب: الفطن الذكي.
(٢) الإثم: الذنب والمعصية.
(٣) الخُرُق: الحمق والطيش وضعف الرأي، ومثلها: الخَرَق.
(٤) الطغرائي: هو مؤيّد الدين الحسين بن علي الأصبهاني أتقن النظم والنثر، اشتهر بقصيدته (لامية العجم) قتل مظلوماً عام ٥١٣هـ.
(٥) الخطل: الخطأ. والعطل: الخلو من الزينة.
(٦) الضرب: العسل.
(٧) المنائح: الهدايا.

الرِّحابُ، ولمّا سُئِلتُ تَحَوْقَلْتُ[1] حَسيراً[2]، وكأنّي فككتُ بروحي أسيراً، وخرجْتُ من الطَّوْق، ونواظري إلى فَوْقُ..».

٤ ـ وقال أَحَدُهُمْ مُوصياً بالنظافة:

إذا لَزِمتَ الحَذَر، فاحْذَر من القذر، فربَّ جرثومةٍ فاشية، تصيبك بعلّةٍ غاشية[3]، وما بين تَداري وانبذَر[4] لا تُبقي ولا تَذَرُ[5]..

٥ ـ وقال أحدهم: «لم أر كالمنافقين، يُعَفَّرون[6] ويُنَفَّرون[7] في الدنيا، ويُكَذِّبون ويُعَذَّبون في الآخرة».

٦ ـ وقال صَفِيُّ الدين الحلّيّ[*] في الربيع:

وَرَدَ الربيعَ فَمَرْحَباً بُوروده[8] وبِنُورِ طلعته وَنَوْرِ[9] وُرودِهِ

---

(١) تحوقلت: تكلفتُ قول: لا حول ولا قوة إلا بالله.
(٢) حسيراً: آسِفاً.
(٣) غاشية: مهاجمة.
(٤) انبذر: انتشر، ضد تدارى.
(٥) لا تَذَر: لا تدع، وهنا: لا تدع حيّاً.
(٦) يعفّرون: يهانون.
(٧) ينفّرون: يُطردون.
(*) اسمُه عبد العزيز بن سرايا عاش ما بين العراق ومصر توفي في بغداد عام ٧٥٠هـ.
(٨) وروده: هنا، قدومه.
(٩) النّور: الزهر.

٨ ـ رَدُّ العَجُز على الصَّدْر

أ ـ تعريفه:

هذا الضرب من المحسّنات اللفظيّة يستند على المصطلح العروضي المعروف من أنّ:

العَجُز: يعني الشطر الثاني من بَيْتِ الشّعر.

الصدر: يعني الشطر الأول من البيت.

وردّ العَجُز على الصدر يَعْني ربط العلاقة بين شطري البيت بحيث يكون (العَجُز) أو الشطر الثاني من البيت كالنتيجة المنطقية للشْطْر الأوّل.

وإنّما عددنا هذا الضرب من المحسّنات البديعية من بين المحسّنات اللفظيّة، لأنّ اللفظ يتكرّرُ بشكلٍ أو بآخر بَيْن الشطرين.. وَهُنا تظهر البراعة في سَوْق اللفظ مع نظيره مع رابطٍ محكم العلاقة قدر المستطاع وتمثيلاً لهذا الردّ، رد العَجُز على الصَّدر عِندنا قول الشاعر:

تَمَتَّعْ مِنْ شَميمِ عَرارِ[1] نَجْدٍ ... فَما بَعْدَ العَشيَّةِ مِنْ عَرارِ

ولا يختصُّ هذا الفنّ من البديع بالشِّعرِ وَحْدَهُ، فإذا اشتَملَ الكلامُ المنثور على فقرتين أو عبارتين متلازمَتَيْن أمكن ردُّ العَجُز على الصدر فيهما، باعتبار العبارة الأولى صَدْراً، والعبارة التالية عَجُزاً، ويتمّ فيهما ردُّ العَجُز على الصَّدْر كما في البيت من الشّعْر وتتّصل العبارتان بواوٍ عاطفة واصلةٍ أو من دُونها في حين توفُّرِ

---

(١) العَرار: نَبْتٌ طيِّبُ الرائحة.

علاقةٍ منطقيّة، يحكمها نظام الفصل والوصل في علم المعاني.

قال تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧].

هنا، ردّ العَجُزَ على الصَّدر بالواو قَبْل لفظ الجلالة.

وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [سورة نوح: ١٠].

هُنا، ردّ العَجُز على الصَّدر من دونِ واو الوَصْل وذلك بحكم عودةِ الضمير في (إنّهُ) على (ربّكم) في صَدْرِ الكلام.

ب ـ نماذج من ردّ العَجُز على الصَّدر:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة الشعراء: ١٣٢ ـ ١٣٣].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة الروم: ٦ ـ ٧].

٣ ـ وقال المُقنَّعُ الكِنْديُّ(*):

لَهُمْ جُلُّ مالي[1] إنْ تتابعَ لي غِنًى ... وإنْ قَلَّ مالي لم أُكَلِّفْهُمْ رِفْدا[2]

٤ ـ وقال أبو بكرٍ الصِّدّيقُ(**) من خُطبةٍ لَهُ:

«ألا إنّ أقواكُمْ عندي الضعيفُ حتّى آخُذَ الحقَّ لَهُ، وأضعَفَكُم عندي القويُّ حتّى آخُذَ الحقَّ مِنْهُ».

٥ ـ وقالَ عنترةُ العَبْسيُّ في وصفِ جَوادِهِ الجريح في الحرب:

(*) المقنّع الكِنديّ: اسمُه محمّد بن عُميرة، ولقّب بالمُقنّع لاتخاذه القناع، لأنه كان أجمل الناسِ وَجْهاً. توفّي نحو سنة ٧٠هـ.

(١) جلّ مالي: أكثره.

(٢) رِفْداً: عَطاءً.

(**) عبد الله بن أبي قحافة، الخليفة الأوّل بعد رسول الله (ﷺ) توفي في المدينة المنورة سنة ١٣هـ.

لو كانَ يَدْري ما المُحاورةُ اشْتكى ... وَلكانَ لَوْ عَلِمَ الكلامَ مُكلِّمي

٦ ـ وقال أبو تمّام الطائي[1] يُخاطبُ الخليفة المُعتصم الذي فتح عَمّوريةَ من بلادِ الرُّوم:

رَمى بِكَ اللّهُ بُرْجَيْها[2] فَهَدَّمَها ... وَلَوْ رَمى بِكَ غَيْرُ اللهِ لَمْ تُصِبِ

(١) أبو تمّام الطّائي: حبيب بن أوس، من أشهر شعراء العصر العباسي، كان شاعر الخليفة المعتصم، وكانت وفاته حوالي سنة ٢٣١هـ.

(٢) بُرْجَيْها: مثنّى بُرْج وهو الحُصن لحماية المدينة أو ما وراءه من المباني والسّكان، في الزمن القديم.

٩ ـ ما لا يَسْتحيلُ بالانعكاسِ

أ ـ تعريف:

هو فَنٌّ من المحسّنات اللفظيّة، يكونُ بإيراد جُمْلةٍ أو عبارةٍ أو بيتٍ من الشِّعْر، يُقرأ طَرْداً وعَكْساً دون أن يتغيّر لَهُ لفظ ولا مَعْنى.

ومثل هذا التفنّن يُكلّف الكثير من الوقت والجهد الذهني بلا طائل، بل إن البيت أو العبارة التي لا تستحيل (لا تتغيّر) بانعكاسها تكون في معظم الأحوال عقيمة عسيرة التقبّل.

وهذه الطريقة من العبث اللفظي كان يجدر إلحاقها بالعنوان الذي شمّلنا بِهِ عدداً من مثيلاتها وأضرابها باسم (المعابثة اللفظية) تخلّصاً من الخوض في تفصيلات وعناوين كثيرة، لا تنفع الدارس غير المتخصّص في اللغة العربية وبلاغتها.

إنّ هذا الأسلوب من المحسّنات اللفظيّة ولد في العصر الوسيط، وتفشّى في عصور الانحطاط حين انحطّ الإبداع في الشعر، واكتفى بظاهر الصياغة اللغوية ممّا يشبه الأحاجي والتسالي. وقد تنزّه القرآن الكريم الذي هو قدوة البلاغة والبلغاء عن العبث اللفظي. وعلى نُدرةٍ كنُدرةِ المُصادفات، وُجدتْ عبارة من قبيل: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [سورة المدثر: ٣] وهي ممّا لا يستحيلُ بالانعكاس. هذا على فَرض حذفِ الواو من أوّل الآية، وهو ممّا لا يجوزُ إلاّ في الكلام البشريّ، ولا يجوز التصرّف بالنصّ القرآنيّ مهما ضؤُلَ هذا التصرُّف.

ومن أمثلة (ما لا يستحيل بالانعكاس) قول الشاعر الأَرّجاني[1]:

مَـــودَّتُــهُ تَــدومُ لِــكُـــلِّ هَــوْلٍ   وهَـــلْ كُـــلٌّ مَــوَدَّتُـــهُ تَـــدومُ؟

فإذا قرأنا البيت طَرْداً من أوّله إلى آخرِهِ، ثم قرأناه عَكْساً من آخره إلى أوّلِهِ، وجدنا الألفاظ واحدة والمعنى واحداً ومن أمثلته في النثر قولُهم: «كُنْ كما أمكَنك»، ولو جرّبنا قراءةَ العبارة طرداً وعكساً لما تغيّر فيها شيء على وجه التقريب، مع بعض التجاوز في الهمزة والألف وفي ضبط كُلّ حَرْفٍ على حِدة. وليس الموضوع في منتهى الدّقة على كُلّ حال إنّما هو ضرب من العبث اللفظي البديعي.

ب ـ نماذج ما لا يستحيلُ بالانعكاس:

١ ـ قال الشاعر:

أيُّـــهــا الـــمـــغــرور فـــيــمـــن   يـــدّعـــي أَخْـــلَـــصَ خِـــلٌّ[2]

رُبَّ صِـــلٍّ[3] تَـــحـــتَ لِـــصٍّ   رُبَّ لِـــصٍّ تَـــحْـــتَ صِـــلٍّ

٢ ـ وقال غَيْرُهُ:

جَـــمـــيـــلُ أَوْصـــافِ   تَـــظُـــنُّـــه بَـــدْرا

لا تَـــدَّخِـــرْ سُـــؤْلاً   رُمْ[4] إذا مَـــــرَّا

٣ ـ وقال منها:

مَـــن اصْـــطَـــلَـــى نـــاراً   لـــم يـــأْمَـــنِ الـــحَـــرّا

---

(١) الأَرّجانيّ: اسمُه أحمد بن محمّد، ناصح الدين الأَرّجانيّ. ولدَ بأرّجان من بلاد فارس عام ٤٦٠هـ، وإليها نُسِب. وهو عربي الأصل من الأنصار. كانَ قاضياً وفقيهاً، له ديوانُ شعر ضخمٌ، صَدَر بشرح مؤلّف هذا الكتاب. وقد كانت وفاته في مدينة تُسْتَر من إقليم خُوزِستان عام ٥٤٤هـ.

(٢) الخِلّ: الصديق.

(٣) الصِّلّ: الحيّة الخبيثة، الثُّعبان.

(٤) رُمْ: فعل أمر ماضيه رامَ بمعنى: طَلَب وأبدى رغبتَهُ.

والـــعِـــشْـــقُ كـــانـــونٌ[1]		رُقَّ إذا قَـــــــــــــزا[2]

٤ ـ وقال أحدُهم:

لا تـــلـــتـــمـــسْ سَـــمـــكـــاً		تـــصـــطـــادُهُ غَـــبَـــشـــا[3]
كـــأنَّ رَغـــشـــتَـــهُ		شِـــغـــرٌ إذا رَعَـــشـــا
لَـــعَـــلَّـــه ظُـــفُـــرٌ		إنْ حُـــزْتَـــهُ خَـــدَشـــا[4]

٥ ـ وجاءَ في المقامة «القمريّة» لكاتبةٍ عصريّة:

«رَمَقَ دَعْدَ[5] قمرٌ، مِنْ خلف شبّاكِ النَّظر، فحسِبَتْهُ خيرَ مَنْ يليقُ، بمعشرِها الرَّقيقِ ولم تدْرِ أنَّ القلب الطليق، حُبسَ إذا سَبَحَ في الخيال، وظنّ خيراً في مَعْشر الرجال..».

٦ ـ وقال شاعرٌ في الموعظة:

الـــعُـــمْـــرُ مَـــحْـــدودٌ		لا تُـــكْـــثِـــرِ الـــعَـــذَا
يـــا أيُّـــهـــا الإنـــســـان		دُمْ إذا مَـــــــــــذَا[6]
لَـــيْـــلٌ عـــلـــى لَـــيْـــلٍ		هَـــلْ تُـــبْـــصِـــرُ الـــرُّشْـــدا؟!

(١) الكانون: وعاء الجمر، كان ممّا يتدفّأ به الناس.
(٢) قزّ: بَرَد حَرّهُ.
(٣) الغَبَش: الظلمة.
(٤) حزتهُ: أمسكتَ بهِ، وخَدَشَ: جَرحَ وآذى.
(٥) دَعْد: اسم امرأة.
(٦) مَذَ: استطال مداهُ.

١٠ ـ المُعابثة اللفظيّة

أ ـ تعريف:

ليس في كُتب البلاغة ومراجعها القديمة والحديثة ما يُسَمّى بالمعابثة اللفظيّة، من بين المحسّنات البديعية. إنّما هو مصطلح اخترعناه[1] وأطلقناه لنلخّصَ تَحْتَ عُنوانِهِ العديدَ من المحسّنات اللفظية، ممّا يصعبُ حصرُهُ وضَبْطُه. ففي كتاب «جواهر البلاغة»[2] أكثرُ من ستة عشر صنفاً من أصناف المحسّنات البديعية اكتفينا منها بِعَشْرةٍ فقط، وجمعنا تحت تسمية «المُعابثة اللفظية» عدداً من المحسنات اللفظية؛ كالتّصْحيف، والمُوارية، والتسْميط، والاكتفاء.

وكلُّ هذه المحاولات ضُروبٌ من العَبَث البلاغي البديعيّ لإثارة دَهْشةِ السامع أو القارئ والحصول على إعجابه في زمانٍ تفرّغَ فيه الناس لأمثالِ هذه الفنون والمعابثات. وها قد وَلّى الإعجابُ، وبقيَ التعجُّبُ ممّا يحوّلُ الفصاحة إلى سخافة، والبيان إلى تعْمية، والفنَّ إلى براعةٍ ساذَجة.

ومن قبيلِ التقريبِ فقط، سنسوقُ أمثلة على التصحيف، والموارية، والاكتفاء، والتّسْميط ولن نزيد عليها، ولن نتبعها بفقراتٍ خاصّةٍ بالنماذج والنصوص كما فعلنا ببقيّةِ المحسنات اللفظية، بدءاً من (السّجْع) وحتّى (ما لا يستحيل بالانعكاس).

---

(١) انظر كتابنا «علم البلاغة العربية» في ستّة عشر جزءاً، نشر دار القلم العربيّ بحلب لعام ١٩٩٧. الجزء ١٣ من المحسّنات اللفظية ص ١٠.

(٢) صاحبه أحمد الهاشمي والكتاب من مراجع البلاغة. انظر الطبعة الحادية عشرة ـ مصر ١٩٥٤م.

أمّا التصحيف: فهو استخدام كلماتٍ متقاربةٍ في رَسْمها الإملائيّ، لا تَختلفُ إلاّ بتنقيط الحُروف في العبارة الواحدة، وهذا مثال؛ قالُوا:

«إنَّ التّحلّي بالتّجلّي لا بِالتّخَلّي»

وهنا نلاحظُ أن البراعة كلّها كانت باستخدامِ حرفِ الحاء، مرّةً بلا تنقيط، ومرّتين بالتنقيط فإذا هو جيمٌ (التجلّي) ثمّ خاء (التُّخَلّي).

والمُوارَبة: هي حُسْنُ التخلّص على وجهٍ إملائيٍّ ذكيٍّ ومختصر. ومِنْ ذلك قَوْلُ الشاعر أبي نواس(*) في خطاب الخليفة هارون الرشيد:

لـقـد ضـاعَ شِـعْـري عـلـى بـابِـكُـمْ   كـمـا ضـاعَ عِـقْـدٌ عـلـى خـالِـصَـهْ(**)

فحين غضبَ الرشيد لهذا القول واستعادَه ليُعاقِبَ الشاعر رَواهُ أبو نواس مُوارِباً هكذا:

لـقـد ضـاءَ شَـعْـري عـلـى بـابِـكـم   كـمـا ضـاءَ عِـقْـدٌ عـلـى خـالِـصَـهْ

ويُقالُ إنّه محا تقويسة حرف العين وكان قد كتب هذا البيت على بابِ حُجْرةِ الجارية «خالصة» فإذا بالعَيْن تُقرأ هَمْزة، بضربٍ من المُوارِبة الحاذقة الذكيّة.

والاكتفاء: هو وقوفُ الشاعرِ أو الكاتبِ دون إتمام الجملة اكتفاءً بأنها معروفة الآخر دون كبير عناء من السامع أو القارئ. قال الشاعر العربيّ:

قـالَـتْ بـنـاتُ الـعَـمِّ يـا لـيـلـىٰ وإنْ   كانَ فَقيراً مُعْدِماً(1)؟! قالَتْ وإنْ..

فالوقوفُ عند (إنْ الشرطيّة) دُونَ شرطها وجوابها، اكتفاءً، اعتمادُهُ على فهم القارئ أو السامع لأنّ محبوبةَ الشاعر تُريدُهُ وتفضّله وإن كان فقيراً مُعدِماً.

(*) أبو نُواس: أبو عليّ، الحسن بن هانئ، فارسيّ الأصل، ولد بالبصرة، وطاف في بواديها فحصلت له لغة عربية فصيحة. اشتهر بشعر الخمريات والمجون، ونادم هارون الرشيد، ويقال إنه أقلع عن مجونه وتاب في آخر عمره. كانت وفاته عام ١٩٥هـ.

(**) خالصة: إحدى جواري الرشيد، كانت أثيرةً عنده، مما جعل أبا نواس يحسُدها ويقولُ فيها ما قال بعد أن أهداها الخليفة عقداً ثميناً.

(1) المُعْدِم: الذي لا يملكُ شيئاً.

أمّا **التّسميط**: فهو قِسْمة البيت من الشعر إلى أَسْماطٍ والسِّمْط: هو الخيط الذي ينتظم فيه الخرزُ أو اللؤلؤ من قبيل الزّينة. وفي البيتِ مضمومةٌ من الألفاظ تنتهي بحرفٍ يتكرَّرُ كما في فواصل السَّجْع ثلاثَ مرّات، وإن انتهى البيت برويٍّ مُخالفٍ. قالت الشاعرة جَنُوبُ الهُذَلِيّة[1] تندبُ مصرعَ أخيها:

وحَـرْبٍ وَرَدْتَ، وثَـغْـرٍ[2] سَـدَدْتَ وعِـلْـجٍ[3] شـدَدْتَ، عـلـيـهِ الـحِـبـالا

فالبيتُ المذكورُ رَوِيُّهُ اللام المُطلقةُ بالفَتْح، أمّا أَسْماطُه فينتهي كُلٌّ منها بتاءٍ حركَتُها الفَتْح.

وقال شاعرٌ يَمْدح:

إليكَ المَناصُ[4]، وفيك الخَلاصُ وَعَنْكَ القِلاصُ[5] تَجوبُ[6] القِفارا

فالبيت نظيرٌ لسابقِهِ، فيه ثلاثُ فواصلِ مُسَجَّعةٍ بحرفِ الصّاد المضمومة، حتى انتهت إلى الرّويّ وهو الراء المُطلقة بالفتح (القِفارا).. وهذا هو التسميط.

---

(١) جنوب الهُذليّة: شاعرةٌ جاهلية فُجِعتْ بمصرع أخيها فرثَتْهُ بقصائد عِدّة. انظر كتاب بشير يموت «شاعرات العرب في الجاهليّة والإسلام» من تحقيق عبد القادر محمّد مايو ونشر دار القلم العربي بحلب لعام ١٩٩٨ ـ ص ١٤٩ وما بعدها.

(٢) الثّغر: هنا، موضع الحماية.

(٣) العِلْج: الشديد الفظّ.

(٤) المناص: الملاذ والمخرج.

(٥) القِلاص: جمع قلوص وهي الناقة.

(٦) تجوبُ: تقطع وتجتاز.

تطبيقات على المُحَسّنات اللفظيّة

س ١ ـ عدّد أَشْهرَ المحسّنات اللفظيّة وهات مِثالاً على كُلٍّ منها:

ج ١: أَشْهَرُ المحسّنات اللفظيّة هي:

السَّجع ـ الجناس ـ التوازن ـ الازدواج ـ الترصيع ـ التصريع ـ الاقتباس ـ التضمين ـ لزوم ما لا يلزم ـ ردّ العَجُز على الصَّدْر ـ ما لا يستحيل بالانعكاس.

وفيما يلي أمثلةٌ عليها على التوالي والترتيب:

أ ـ السَّجع: قال تعالى في سورة العَلَق:

﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾.

ب ـ الجِناس: دبَّ الدبُّ فعاثَ في الأرض فساداً.

ج ـ التوازن: رُبَّ من سادَ وقاد لم ينلْ غير الوبال.

د ـ الازدواج: من جَدَّ وَجَدَ، ومن لجَّ وَلَج.

هـ ـ الترصيع: بالنّوايا الصافية، تصيبُ كُلَّ العافية.

و ـ التَّصْريع: قال حافظ إبراهيم:

لِمصرَ أم لربوعِ الشام تَنْتَسِبُ ... هُنا العُلا، وهُناكَ المَجْدُ والحَسَبُ

ز ـ الاقتباس: قال الشاعر:

إنْ فُزْتَ فَفُزْ بِتجارِ تُقَى ... «إنَّ الإنسانَ لَفي خُسْرٍ»[1]

---

(١) التضمين قرآنيّ من سورة العصر.

ح ـ التَّضمين: قال الشاعر:

إذا طَلَبَ المُؤمِنُ المُبتَغي «فَلا بُدَّ أنْ يَستَجيبَ القَدَرْ»[1]

ط ـ لُزومُ ما لا يَلْزَم: قال المعرّي:

أراني في الثلاثةِ مِنْ سُجوني فلا تَسألْ عن الخبرِ النبيثِ[2]

لِفَقدي ناظري ولزومِ بَيتي وكَوْنِ النَّفسِ في الجَسَدِ الخبيثِ

ي ـ ردُّ العَجُزِ على الصَّدر: قال الشاعر في ابن عم مسيءٍ:

سريعٌ إلى ابنِ العَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ وَلَيسَ إلى داعي النَّدى[3] بِسَريعِ

ك ـ ما لا يَسْتحيلُ بالانعكاس: قال أَحَدُهُمْ:

إنْ عزَّ أَنْ ترتقي فكُنْ كما أَمْسَكَنْكْ

س ٢ ـ بيِّن المُحَسِّن اللفظي في قول عبد الملك بن مروان يوصي أَوْلادَه:

«يا بنيّ تعلّموا العِلْمَ، فإنْ كنتُمْ سادةً فُقْتُمْ[4]، وإن كُنتُمْ وَسَطاً سُدْتُمْ، وإن كنتُمْ سُوقةً عِشْتُم».

ج ٢: هنا سَجْعٌ بدا في انتهاء أواخر الفواصل بحرف الميم، ولزم قبله التاء، وهو لزوم ما لا يلزم.

س ٣ ـ بيِّن المحسِّن البديعيّ في قولِ الشاعر:

إنْ لم تُقَرِّحْ[5] أَدْمُعي أجفاني مِنْ بَعْدِ بُعْدِكُمْ فما أجفاني!

ج ٣: هُنا جناس تام بين (أجفاني) بمعنى أغطية العين وبين (أجفاني) أفعل تعجب من الجفاء والقسوة.

---

(١) الشطر الثاني من بيت مشهور لأبي القاسم الشابي.
(٢) النبيث: الدفين.
(٣) الندى: الكرم والعطاء.
(٤) فُقْتُمْ: تفوّقتم على غيركم.
(٥) السُّوقة: عامّةُ الناس.
(٦) تُقرِّح: تُجرِّح.

وجناس ناقص بين (بَعْد) و(بُعْد)..

س ٤ ـ بيّنْ المحسّن اللفظي في قول القائل:

«لقد تَمَنَّيْتَ وتوانَيْتَ، ولزِمْتَ الأَمَلَ، فَخِبْتَ ولم تَنَلْ».

ج ٤: هنا، ازدواج بتجانس لفظين متجاورين: (تمنيت، توانيت) وسجع بين فاصلتين (أَمَل، تَنَلْ).

س ٥ ـ بيّن المُحسّن البديعي في قول رسولِ الله (ﷺ):

«شَرُّ الناسِ من أكل وَحْدَه، ومنع رِفْدَه، وضَرَبَ عَبْدَهُ».

ج ٥: هنا، أكثر من مُحسِّن لفظي:

سَجع، توازن، ازدواج.

١ ـ السجع بتكرار الدال بين الفواصل (وحده، رفده، عبده).

٢ ـ التوازن الجُملي (أَكَلَ وَحْدَه، منع رفده، ضرب عَبْده).

٣ ـ الازدواج (أكل وَحْده، مَنَع رِفْده، ضرب عَبْده).

س ٦ ـ ما نَوْع الجناس في قولِ القائل؟

عَضَّنا الدَّهْرُ بِنابِهْ ... لَيْتَ ما حَلَّ بِنا[1] بِهْ

ج ٦: هُنا جِناس تامّ بنابِه، بِنا بِهْ.

والتوافق في أربعة أركان: نوع الحروف، عددها، تشكيلُها، ترتيبها.

س ٧ ـ ماذا تجد في قول الشاعر من وجوه التحسين اللفظي:

ومَنْ كان بالبيض الكواعِبِ[2] مُغْرَماً ... فما زِلْتُ بالبيضِ القَواضِب[3] مُغرَما

ج ٧: هُنا؛ رَدّ العَجُز على الصَّدْر: (ومن كان.. فما زلتُ..).

---

(١) حلّ بنا: أصابنا.

(٢) الكواعب: الفتيات النواهد البارزة أثداؤهن.

(٣) القواضب: السّيوف القاطعة.

وجِناس ناقص بين: الكواعب والقراضب.

س ٨ ـ ماذا تجد في قول الشاعر من وجوه التحسين اللفظي؟:

أُناجي حبيباً لا يُحِسُّ بِلَوْعتي   أيا جَارتنا هل تشعرين بحالي

ج ٨: هنا، تضمين، أخذ الشاعرُ شَطْراً من بيت أبي فراس الحمداني:

أقولُ وقد ناحَتْ بِقُربي حمامةٌ   أيا جارتنا هل تَشْعُرين بحالي

س ٩ ـ ماذا تجد في قول الأرجاني الآتي من وجوهِ التحسين اللفظي:

مَوَدَّتُهُ تَدومُ لِكُلِّ هَوْلٍ   وهلْ كُلٌّ مودَّتُهُ تدومُ؟

ج ٩: هنا، نموذج للفن البديعي المعروف بـ(ما لا يستحيلُ بالانعكاس) ويلاحظ إمكان قراءة البيت طَرْداً وَعكْساً لتبقى حُروفُ الألفاظ كما هي بدلالتها، فالبيتُ لا يتغيّر بانعكاس قراءته.

س ١٠ ـ هاتِ مثالاً على أحَدِ وُجوهُ المُمَاثلةِ اللفظية من المحسّنات المعدودة بَيِّنها:

ج ١٠: قال الشاعر:

أقولُ لها لقد كُنْتُ المفدّى   لديكِ، تُجيبُ: ما زِلتا

هنا، اكتفاء، بِعَدم إيرادِ خبر الفعل الناقص: (المُفدّى)، لِكَوْنه مفهوماً.

تمرينات على المحسّنات اللفظيّة

س ١ ـ يقومُ علم البديع على نوعين من المحسّنات ما هما؟ سمّ بعضاً من كلٍّ منهما.

س ٢ ـ عدّد خمسةً من المحسّنات اللفظية، وخمسةً أُخرى من المحسّنات المعنويّة.

س ٣ ـ ضمّنِ السّجع والجِناس في عبارة واحدةٍ.

س ٤ ـ ما الفرقُ بين التصريع والترصيع، مَثّل لكلٍّ منهما بعبارة من النثر، وبيتٍ من الشّعْر.

س ٥ ـ ما الفرقُ بين الاقتباس والتضمين؟ مثّلْ لكلٍّ منهما بعبارة من النثر، وبيتٍ من الشّعْر.

س ٦ ـ هاتِ نموذجاً من الشعر على لزوم ما لا يلزم.

س ٧ ـ هاتِ مثالاً من الشّعر على ردّ العَجُز على الصّدْر.

س ٨ ـ استنتجْ مِن الأمثلة والشواهد التالية ما فيها من وجوه التحسين اللفظي، باختصار:

أ ـ قال رسولُ الله (ﷺ): «رحمَ اللهُ عَبْداً قالَ خيراً فغَنِم، أو سَكَتَ فَسَلِم».

ب ـ ومِنْ كلامِ العرب: مَنْ عزّ بَزّ ومن صبر ظفر.

ج ـ قالت الخنساءُ في رثاءِ أخيها صخرٍ:

طويلُ النّجادِ[1]، رفيعُ العمادِ[2] كثيرُ الرمادِ إذا ما شتا

د ـ وقال الشاعر:

أنستَ في ظنّيَ مليحُ «ما على ظنّي بَاسْ»[*]

هـ ـ وقال أبو العلاء المعرّي:

لا بُدَّ للرّوحِ أن تنأى عن الجَسَدِ فلا تُخيِّمْ على الأضغانِ والحَسَدِ

و ـ وقال ابنُ سَناءِ المُلك[**]:

رَحَلوا فلَسْتُ مُسائِلاً عن دَارِهِمْ أنا «باخِعٌ»[3] نَفْسي على آثارِهِمْ

ز ـ وقال عبدُ الله بن المعتزّ[4]:

وَدَعْ عَنْكَ المطامِعَ والأماني فَكَمْ أُمْنيَّةٍ جَلَبَتْ مَنِيّةْ

س ٩ ـ «الموارية» أسلوبٌ من المعابثة اللفظيّة. عرِّفْ بِها باختصار، مع ضربِ مثالٍ للإيضاح.

س ١٠ ـ قالَ أحَدُ الشعراء الأندلسيين يستطيبُ إقامتَهُ في حلب:

حَلَبْتُ الدّهرَ أشطُرَهُ[5] وفي حَلَبٍ صَفا حَلَبي

أشر إلى المُحَسّناتِ اللفظيّةِ في البيت السابق؟

---

(١) النجاد: محمل السيف.

(٢) العِماد: عمود البيت أو الخيمة.

(*) الشطر لابن زيدون الأندلسي.

(**) ابن سناء المُلك: اسمه هبة الله، كان قاضياً، نَظَمَ الموشّحات وأجاد فيها. توفي في مصر سنة ٦٠٨هـ.

(٣) باخعٌ نفسك: قاتِلُها بالغمّ. انظر سورة الكهف، الآية: ٧.

(٤) عبد الله بن المعتز: أبو العباس ابن الخليفة المعتز بالله. شاعر ظريف مبدع. وهو صاحب أول مؤلف في البديع وفنونه حتى عُد واضعاً له. بويع بالخلافة فلم تدم له إلا يوماً واحداً، وقتل عام ٢٩٦هـ.

(٥) الأشطُر: الضروع.

المحسنات المعنوية:

١ ـ الطِّباق

أ ـ تعريفه وأقسامه:

هو أن نجمعَ في الجملة الواحدة بين متضادّين في المعنى كالأبيض والأسْوَد والليل والنهار، والقوّة والضعف، مما هو محسوس وغير محسوس.

تقولُ مثلاً:

أصحو وأنام وأفكّر بالنجاح.

أصِلُ الليلَ بالنهار ولا أَملّ.

أثابرُ على الاجتهاد وأمقتُ الكَسَل.

هنا، جئتَ بثلاثة طباقات تُحسّنُ المعنى، وقد جمعتَ في كلّ عبارة من العبارات الثلاث بين متضادّين:

أصحو وأنام، الليل والنهار، الاجتهاد والكسل.

ويلاحظ أن الطباق قد يتمّ بالجمع بين النفي والإثبات فيتحقق بهما التضاد في المعنى كما تقول:

ينجحُ المُجِدُّ ولا ينجَحُ الكسولُ.

يملُّ الخامِلُ، ولا أمَلُّ.

اجتهدتُ ولم يجتهدْ.

نَجَحْتُ ولم ينجَحْ.

ففي الجمل الأربع السابقة تمّ الطباق ولكن اعتماداً على النفي وبه وقع التضاد

كما تلاحظ.

وعلى هذا الأساس قسّم البلاغيّون الطباق إلى قِسْمين:

١ ـ طباق إيجاب وهو ما تم بلا نفي ولا نهي.

٢ ـ طباق سَلْب وهو ما وقع فيه التضادّ بنفيٍ أو نَهْيٍ.

ومن أمثلة طباق الإيجاب:

قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [سورة الكهف: ١٨].

وقول رسول الله (ﷺ): «خيرُ الحالِ عينٌ ساهرةٌ[١] لعينٍ نائمة».

وقول الشاعر أبي تمّام:

السَّيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ   في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ واللّعِبِ[٢]

ومن أمثلة طباق السّلب:

قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ [سورة النساء: ١٠٨].

وقول رسول الله (ﷺ): «دَعْ ما يُرِيبُكَ[٣] إلى ما لا يَرِيبُكَ».

وقول الشاعر السّموأل[٤]:

ونُنكِرُ إنْ شِئْنا على الناس قَوْلَهُمْ   ولا يُنكرونَ القَولَ حينَ نقولُ

ب ـ أنواع الطباق:

يقعُ الطباق أو التضادّ بين لفظين في المعنى ويكون هذا التضاد بين أنواع من الألفاظ كما يلي:

١ ـ بين حرفٍ وحرف: هذه الحُجّةُ عَلَيك لا لك.

---

(١) عين ساهرة: كناية عن الكدّ والكدح في سبيل الرزق.

(٢) البيت مطلع قصيدة مشهورة مرّ ذكرها مع ترجمة الشاعر.

(٣) ما يريب: العمل الآثم.

(٤) السّموأل بن عادياء صاحب الحصن الأبلق بتيماء، شاعر جاهليّ مُجيدٌ. مات حوالى ٥٦٠م.

٢ ـ بين اسم واسم: أبوكَ قائمٌ وأنت قاعِدٌ.

٣ ـ بين فعلٍ وفعل: قُمْ لَهُ ثُمَّ اقعُدْ.

٤ ـ بين مُختلفين: قَبُحَ القُعُود إذا قامَ أبوك.

ج ـ نماذج بليغة من الطِّباق:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [سورة التوبة: ٦٧].

٢ ـ وقال رسول الله (ﷺ): «الصَّدقةُ تطفىءُ الخطيئةَ كما يُطْفىءُ الماءُ النارَ».

٣ ـ وقال الشاعر أبو العتاهية(*):

ضَيَّعتُ ما لا بُدَّ لي مِنْهُ بما لي مِنْهُ بُدُّ

٤ ـ وقال دعْبِلُ الخزاعيُّ(**):

لا تَعْجَبي يا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ المَشيبُ بِرَأْسِهِ فَبكى

٥ ـ وقال حافظ إبراهيم في رثاءِ سَعْد زَغلول(***):

حينَ قُلْتَ «انتهيتُ» قُلْنا «بدأْنا» نحمِلُ العِبْءَ وَحْدنا والصِّعابا

٦ ـ وقال أحمد شوقي ينصَحُ بني سُورية(****):

وقفْتُمْ بَيْنَ موتٍ أو حياةٍ فإنْ رُمْتُمْ نعيمَ الدَّهر فاشقوا

(*) أبو العتاهية: أبو إسحاق، إسماعيل بن القاسم. نشأ بالكوفة، وسكن بغداد. اشتهر بالزهد والقول فيه. توفي سنة ٢١١هـ.

(**) دِعْبِل الخزاعيّ: شاعر هجّاء خبيث اللسان. ولد بالكوفة وأقام ببغداد مات سنة ٢٤٦هـ.

(***) سعد زغلول: من الزعماء الوطنيين في مصر، وهو مؤسس حزب الوفد. توفي سنة ١٩٢٧م.

(****) في أحداثِ الثورة السورية على الفرنسيين عام ١٩٢٥م.

٢ ـ المقابلة

أ ـ تعريفها:

هي تناظر مُتضادَّيْن في المعنى مع متضادين آخرين على الترتيب مع جواز تقابل أكثر من مَعْنيين بشرط الترتيب نفسه، فهي بهذا المعنى طباق متكرّر ومتناظر.

قال تعالى في تنديم الكفّار: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [سورة التوبة: ٨٢]. هنا:

يَضْحكوا تُقابلها يَبْكوا أوّلاً بأوّل.

قليلاً تقابُلها كثيراً ثانياً بثانٍ.

على وجه المقابلة البديعية، فإن اختلَّ الترتيب على التناظر فليس ذلك مقابلة. فلو قلنا مثلاً:

زيدٌ يجلس ويصمت ويقومُ ويتكلّم فتلك مقابلة.

أما إذا قُلْنا:

زيدٌ يجلس صامتاً، ويتكلّمُ واقفاً.

فهذا طباق وليس مقابلة، بسبب عدم اجتماع التناظر والتضادّ بين الجُلوس والكلام كما هو واضح.

وقد وُجدت في الشعر العربي، وربّما في النثر البديعي أمثلةٌ للمقابلة بين ثلاثة وثلاثةٍ، وأربعةٍ وأربعةٍ من المعاني.

قال الشاعر:

ما أَحْسَنَ الدينَ والدُّنيا إذا اجتمعا   وأَقْبَحَ الكُفْرَ والإفلاسَ في الرَّجُلِ

هنا، مقابلة ثلاثية على توالي وتناظر:

أحسن، الدين، الدنيا؛ (بمعنى ألإقبال والغنى).

أقبح، الكُفر، الإفلاس.

وقال الشاعر أبو الطيّب المتنبي:

أَزورُهمْ وَسَوادُ الليلِ يَشْفَعُ لي   وأَنْثني وبياضُ الصبحِ يغري بي

هنا مقابلةٌ رباعيّةٌ على توالي وتناظر:

أزورُ، سواد، ليل، يشفع لي

أنْثني، بياض، صبح، يُغري بي

إنها أربعةُ أطرافٍ تُقابلُها أربعةُ أطرافٍ على الترتيب.. وقلّما يَجْتمعُ ذلك إلاّ بمزيدٍ من التكلّف، فإن اجتمع بلا تكلّفٍ فتلك ذروةٌ من المحسّنات المعنوية.

ب ـ نماذج على المُقابلة:

١ ـ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ[1] لِلْيُسْرَىٰ ۝٧[2]﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ[3] ۝١٠﴾ [سورة الليل: ٥ ـ ١٠].

٢ ـ قال رسولُ الله (ﷺ): «إنّ الصّدق يَهْدي إلى البِرّ[4]، وإنّ الكَذِبَ يَهْدي إلى الفُجور»[5].

٣ ـ وقال أيضاً: «اللّهُمّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً وأعطِ مُمْسِكاً[6] تَلَفاً».

---

(١) نُيَسّره: نقودُه ونَدلّه.

(٢) اليُسرى: الخير.

(٣) العُسرى: الشقاء.

(٤) البِرّ: الإحسان والخير.

(٥) الفُجور: المعصية والشرّ.

(٦) المُمْسِك: البخيل.

٤ ـ وقال النابغة الجَعْديُّ(*) في المديح:

فتىً تَمّ فيهِ ما يَسُرُّ صديقَهُ   على أنّ فيه ما يَسُوءُ الأعاديا

٥ ـ وقال الشاعر الأُمويّ جرير(**) في المديح:

وباسِطُ خَيْرٍ فيكُمُ بِيَمينِهِ   وقابضُ شَرٍّ عنكُمُ بشِمالِهِ

٦ ـ وقال الشاعرُ العبّاسيّ البحتريُّ(***) مادحاً قَوْماً:

فإذا حارَبوا أذَلّوا عزيزاً   وإذا سالَمُوا أعزُّوا ذَليلا

(*) النابغة الجَعدي: هو حسّانُ بن قيس الجَعْدي، أبو ليلى، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وعمّر طويلاً، كانت وفاته حوالى ٦٠هـ.

(**) جرير: أبو حَزْرة، جرير بن عطيّة التميميّ. مدح الحجاج والي العراق، ثم مدح خليفته عبد الملك بن مروان. تهاجى مع الفرزدق والأخطل بما عرف بِشعر النقائض. توفي ١١٠هـ.

(***) البُحتري: أبو عُبادة، الوليد بن عُبيد الطائي. ولد في مَنْبِج قرب حلب عام ٢٠٦هـ وتتلمذ في الشعر على أبي تمّام فلمّا تقدم فيه مدح الأمراء والخلفاء ولا سيّما المتوكّل. كانت وفاته سنة ٢٨٤هـ.

٣ ـ التَّوْرِيَة

أ ـ تعريفها:

التَّوْرية لغةً هي التَّخْبئة والمواراة. وفي المصطلح البديعي هي: لفظ لَهُ معنيان؛ معنى قريبٌ ظاهر، ومعنىً بعيدٌ خفيٌّ هو الذي يريده المتكلّم أو الأديبُ من كاتبٍ وشاعر.

وقد تُذكر مع اللفظِ المورّى به قرينة تساعِدُ على إدراك المعنى المُراد، أو تُتركُ إدراكه لفطنة السامِع. ومن أمثلة التّورية قول الشاعر:

لأنّــي أَعْــشَــقُ الــعَــيْــنَــيْــنِ ... لــم أَسْــلَــمْ مِــنَ الــعَــيْــنِ

التورية في كلمة (عَيْن) التي يُفْهم منها معنيان الأوّل القريب أنّها عين المعشوقة الجميلة، والثاني البعيد أنّها عين الحَسُود المُؤذِيةِ. وهو الذي أراده الشاعر بدلالةِ قرينةٍ في البيتِ التالي:

فَــزَلَّــتْ زَلَّــةً قَــدَمِــي ... أَصــابَــتْــنِــي بِــكَــسْــرَيْــنِ

وجاء في بعضِ نصائِحهم: «تواضَعْ فلا بُدّ للفَخّارِ أَنْ يَتَكَسّرَ». هنا، التورية في كلمةِ الفَخّار التي تَحْتملُ معنيين: الفخّار: كثير الفخر بنفسِه، من صيغ المبالغة. والفخّار: الذي هو الطين المشويّ السريع التقصُّف والانكِسار. والمعنى المراد هو الأوّل بدلالةِ قرينةٍ خفيّة وهي كلمة (تواضَعْ) والتواضُعُ ضدُّ الفَخْرِ بالنفس الذي هو عَيْب اسْتَدعى النُّصْحَ.

وقد يعمَدُ صاحبُ التورية إلى تكرار اللفظ المورّى به على سبيل الجِناس التام لإيهام السامع أو القارئ بخلافِ المعنى المظنون، فيجتمع في الكلام ضربان من

المحسنات البديعيّة:

١ ـ محسّن لفظي هو الجناس التام.

٢ ـ محسّن معنوي هو التّورية.

قال الشاعر:

إنْسانُ عَيْنِي مُذْ تَناءَتْ دَارُكُم   ما راقَهُ نَظَرٌ إلى إنْسانِ

فالإنسان الأولى التي تَعْني بؤبؤ العين تَجعلنا نتردد في فهم كلمة إنسان الثانية ويتوارى فيها المعنى.

وقد يعمدُ صاحب التورية أيضاً إلى الطباق بين اللفظ الذي فيه التورية وبين لفظ آخر لإيقاع السامع أو القارئ في الوهم والتّعمية فيستبعد المعنى المقصود بالتورية.

قال سِراجُ الدينِ الورّاق(*):

أصُونُ أديمَ وَجْهي عن أُناسٍ   لِقاءُ المَوْتِ عِنْدَهُمُ الأديبُ

ورَبُّ الشّعْرِ عِنْدَهُمُ بغيضٌ   ولو وافى بِهِ لَهُمُ حبيبُ

هنا، طباقٌ بين لَفْظي (بغيض وحبيب)، وبِهِ قد صُرِفَ النظر عن التفكير بأن المقصود بالتورية هو اسم الشاعر أبي تمام (حبيب بن أوس الطائي) في حين أنه هو المعنى البعيد المُراد.

وتبقى التورية في جميع أحوالها لغةً خاصّةً للتفاهم بين الأديب البارع والسامع الذكيّ المثقّف.

ب ـ نماذج من فنّ التورية:

١ ـ قال نصيرُ الدين الحَمّامي(**) في أحدِ شعراء زمانه:

(*) سراجُ الدين الورّاق: شاعر مصري بارع في البديعيات ولد عام ٦١٥هـ وتوفي عام ٦٩٥هـ.

(**) نصير الدين الحمّامي: شاعر مصريّ احترف اكتراء الحمّامات. كان ذكياً نابغاً. توفي عام ٧١٢هـ.

أَبْـيـاتُ شِـعـرِكَ كـالـقُـصـو ـرِ ولا قُـصـورَ بِـهـا يَـعُـوقْ
ومِـنَ الـعـجـائـبِ لـفـظُـهـا حُـرٌّ وَمَـعْـنـاهـا رقـيـقْ

٢ ـ وقال ابن نُباتة المصريُّ(*) في وصفِ نَهر:

والـنَّـهـرُ يُـشـبـه مِـبْـرَداً فَـلأجْـلِ ذا يَـجْـلـو الـصَّـدىٰ

٣ ـ وقال أبو الحُسين الجزّار(**):

كَيْفَ لا أشْكُر الجِزارة ما عِشْـ ـتُ حِـفـاظـاً وأهـجـرُ الآدابـا؟
وبـهـا صـارتِ الـكِـلابُ تُـرَجّـيـ ـني وبِالشِّعرِ كُنْتُ أرْجو الكِلابا

٤ ـ وقال سِراجُ الدين الورّاق:

كـم قَـطَـعَ الـجـنـودُ مـن لِـسـانٍ قَـلَّـدَ مِـنْ نَـظْـمِـهِ الـنُّـحـورا
فـهـا أنـا شـاعِـرٌ سِـراجٌ فـاقـطـعْ لـسـانـي(١) أزِدْكَ نُـورا

٥ ـ وقال ابن دانيال(***) وكان طَبيباً للعُيون:

يا سـائـلي عن حِرفتي في الوَرى واضَـيْـعـتـي فـيـهـمْ وإفـلاسـي
مـا حـالُ مَـنْ دِرْهَـمُ إنـفـاقِـهِ يـأخُـذُهُ مِـن أعـيُـنِ الـنّـاسِ

٦ ـ وقال الشاعر يمدح ويعاتب:

يـا سـيّـداً حـازَ لُـطْـفـاً لَـهُ الـبـرايـا عَـبـيـدُ
أنْـتَ الـحُـسَـيْـنُ ولـكِـنْ جَـفـاكَ فـيـنـا يـزيـدُ(٢)

(*) ابن نباته: هو جمال الدين بن نباته، من أهمّ شعراء العصر المملوكيّ عاش بين ٦٨٦ ـ ٧٦٨هـ.
(**) أبو الحسين الجزّار: شاعر بارع الطريقة عاش في مصر واضطر إلى هجر الشعر ليعمل جزاراً.
(***)ابن دانيال: شاعر وطبيب اسمه شمس الدولة الموصلي، توفي في مصر عام ٧١٠هـ.
(١) لسان السّراج: فتيلُهُ.
(٢) استغلّ الشاعر جفاء العلاقة بين يزيد بن معاوية والحسين بن علي.

٤ ـ حُسْنُ التعليل

أ ـ تعريف:

إذا عَرَفْنا أنّ التعليل معناه بيان السّبب في ظاهرةٍ معيّنة، كان حُسْنُ التعليل بالمصطلح البلاغي هو إبطالُ علةٍ وادّعاء علةٍ غيرها هي الأَحْسَن في رأي المدّعي من شاعرٍ وناثِر. وتكون غايتُه من ذلك غايةً بلاغيّة يحسّنُ بها المعنى لغاية الإطراف والإدهاش والإثارة.

فَحُسْنُ التعليل هُوَ ضربٌ من المُغالطة الطريفة في الحقيقة المعروفة أو المتعارف عليها كأن تقولَ في الثناء على رجلٍ كريم:

«ما أمطرتِ السّماءُ هذا اليوم إلاّ لأنها تُباريك».

هُنا، جعلتَ علّة الإمطار لا في اجتماع الغيوم وهبوب الرّياح إنّما في تحمّس السّماء لتقليد الرجل الكريم ومباراته في تدفق كفّه، وهذا هو حُسْن التعليل بما يُرْضي القائل والمقول له الذي وُجّهَ إليه مِثْلَ هذا الكلام.

وحُسْن التعليل يكونُ في النثر، كما يكون في الشّعر.

قال حافظ إبراهيم[1] في رثاءِ الزعيم المصري سَعْد زغلول:

وكانوا قد شيّعوهُ على عَربةِ مدفع:

حَمَلوهُ على المدافعِ لمّا ... أعْجَزَ الهامَ[2] حَمْلُهُ والرِّقابا

---

(١) حافظ إبراهيم من كبار شُعراء مصر توفي ١٩٣٢م، وقد سبقت ترجمته مع ترجمة سعد زغلول.
(٢) الهام: جمع هامة وهي الرأس.

هنا، يدّعي الشاعرُ أن جثمان الفقيد ما حُملَ على مدفع إلاّ لأنه أثقل وأعظمُ قدْراً من أن تحمله الأكتافُ والرّقاب. والواقع أن تشييعَ الزعماء على المدافع هو من المراسم والأعراف المتّبعة في جنائز هؤلاء.

ب ـ نماذج من حُسْن التعليل:

١ ـ قال الشاعر يمدح أحدهم ويقارنه بتدفق النّيل وجريانه:

ولا جرى النـيـلُ إلاّ وَهْـوَ مُـعْـتـرِفٌ بِسَبْقِكُمْ، فلِذا يمشي على مَهَلِ

٢ ـ وقال آخر في الرِّثاء:

وما اسـوَدَّ حِـبْـرٌ فـي الـدواة بـلَـوْنِـه ولـكـنّـه حُـزْنٌ كـظـيـمٌ[1] مُـؤَبَّـدُ

٣ ـ وقال ناصحُ الدين الأَرَّجاني[2] في المدح:

أبْدى صنيعُكَ تَقْصيرَ الزّمانِ ففي وَقْتِ الرّبيعِ طُلوعُ الوَرْدِ مِنْ خَجَلِ

٤ ـ وقالِ شاعِرٌ في الرثاء يخاطب الفقيد:

بَكَتْ فقدَكَ الدُّنيا قديماً بِدَمْعِها فكان لها في سالفِ الدّهر طُوفانُ[3]

٥ ـ وقال شاعرٌ يشتكي الفقر والحاجة:

وما حَـنَـتِ الأيّامُ ظَـهْـري وإنّـمـا أَرَدْتُ الـتـقـاطَ الـرِّزْقِ وهـو عَـنـاءُ

٦ ـ وقال أحدُ كتّابِ المقامات:

«.. فلمّا طَلّقْتُ[4] غَرَري[5]، وأَخَذْتُ حَذَري، كتمتُ سرّ الانتسابِ،

---

(١) كظيم: مخبوء مكبوت.
(٢) الأرجاني: شاعر سبقت ترجمته. توفي ٥٤٤هـ.
(٣) طوفان: يشير إلى طوفان نوح.
(٤) طلّقتُ: تركْتُ.
(٥) غَرَري: انخداعي وتغافلي.

وأخَذْتُ حَبْلَ الاكتِساب، فإذا القَوْمُ مِنْ حولي صُمٌّ[1] بُكْمٌ[2] عُماة، لا لأني لديهم مَجْهولُ القَدْر، بل لأني شَمْسُ الظُهْرِ ولا يُسْتَبْعَدُ أن أُصيبَ الأنظارَ بالبُهْرِ[3]...».

---

(١) صُمّ: جمع أصمّ، وهو الذي لا يَسْمع.
(٢) بُكْم: جمع أبكم، وهو الذي لا يُحْسن الكلام.
(٣) البُهْر: حرّ وسط النهار.

٥ ـ مُراعاةُ النَّظير

أ ـ تعريفها:

إحدى المحسّنات البديعيّة المعنويّة (مراعاة النظير) وهي الجَمْعُ بَيْن النظير ونظيره أو الشبيه وشبيهه في عبارةٍ واحدةٍ على وَجْه أنّ أحدهما يُذْكَرُ بالآخر أو هُوَ مِن فصيلته في المعنى والدلالة كقولك لأحدهم معاتباً:

«لمّا شريتُ مودّتَك خَسِرتُ وما رَبِحْتُ»

فلمّا كان الشراءُ رِبحاً وخسارة، كانَ إيراد الخسارة والرِّبح في هذه العبارة مراعاةً للنظير بعد الشراء. وتلتقي مراعاة النظير مع الاستعارة المرشّحة في عِلم البيان التي يُتْبع المجاز فيها بما يُلائم المشبّه به نحو قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾[سورة البقرة: ١٦].

فالاشتراء مستعار للاستبدال، وذكر الربح والتجارة ترشيحٌ يتبع المُسْتعار أو المشبّه بهِ.

وقد تتمّ (مراعاة النظير) في المعنويّات أو في الماديّات الحسيّة أو بالجَمْعِ بينَ الأمرين المعنويّ والمادّي. والمهمّ هو التّناسب أو وحدة المناسبة، وبتعبير آخر المهم التقاء العناصر في المضمون الواحد من خِلال لفظتين فأكثر.

قال الشاعر في وصف منظرٍ من مناظر الطبيعة:

الطّيْرُ يقرأُ، والغَديرُ صحيفةٌ، والرّيحُ تكتُبُ والغَمامُ ينقّطُ

هُنا روعي النظراء بالجمع بين القراءة والكتابة والصحيفة أو الورق، والتنقيط بمدادٍ من مطر السماء. وكلُّ هذه العُدد والمفردات من عدد المدرسة ومفردات

وصفها. وكان المنطلق في حسن التعليل من استعارة بيانيّة هي: (الطير يقرأ) وهي التي يمكن إجراؤها (مكنيّةً) مع ضمّها إلى استعارتين بعدها، وهما (الريحُ تكتُبُ)، (الغمامُ ينقط) وليسَ هذا فيما يدخل في البديعيّات، لولا حرصنا على بيان العلاقة بين فنٍّ وفنٍّ من وُجوه البلاغة العربيّة.

ب ـ نماذج من مراعاة النظير:

١ ـ قال أحد الكتّاب المعاصرين:

إذا نظرتُ إلى وَجْه شابٍّ في ذَرْوةِ شبابِه، تذكّرتُ خريفي بربيعهِ، وخِفْتُ عليه الصَّيْفُ يأتيه مُبَشِّراً بالخريف.. ألا ليتَ الفُصولَ الأربعةَ من فُصولِ العُمْر، تُختصَرُ في فصلٍ واحد هو الربيعُ وليس سِواهُ..».

٢ ـ قال طاهر الزَّمَخْشري[1]:

في يدي المِجْدافُ يعصِفُ بالمَوْ ... جِ ويلهو الشِّراعُ بالأهوالِ
وسفيني يخوض في غمرة الأيْـ ... ـامِ حَرْباً أعْملْتُ فيها نِبالي

٣ ـ وقال الشاعر يمدحُ:

وجهٌ سَناهُ قِبْلةٌ[2] وشُعاعُها ... للدِّفءِ والتَّكبير[3] والأنْوارِ

٤ ـ وقال أبو العلاء المعرّي في الرّثاء:

غَيْرُ مُجْدٍ في ملّتي واعتقادي ... نَوْحُ باكٍ ولا ترنُّمُ شادِ
أبكَتْ تلكُمَ الحمامَةُ أمْ غنْـ ... ـنَتْ على فَرْعِ غُصْنِها الميّادِ

٥ ـ وقالَ شاعر يعتذِرُ لإخْفاقِهِ:

إنّ للسَّيفِ نَبْوةً ويميني ... مقبضُ السَّيفِ قُوّةً وذِراعا
لبسَ الدّهرُ دِرْعَهُ فاتّقاني ... ورماني بما لَدَيْهِ تِباعا

(١) طاهر الزمخشري: شاعرٌ سعوديٌّ معاصر.
(٢) القبلة: وجهة المسلمين في الصلاة، وتكون شمسُها في المواجهة.
(٣) التكبير: كناية عن الصلاة، تبدأ بالتكبير: (الله أكبر).

٦ ـ وقالَ كاتبٌ مُعاصرٌ[١]:

وأحياناً؛ أُهاجرُ بذاتي الغريبة، بعيداً عن دنيا الناس، فأركَبُ قِطارَ العواطِفِ، على قُضْبانِ الأفكارِ، ولا أترجَّلُ في محطّةٍ لا ألْقى فيها وَجْهَ حبيبتي التي اسمُها «الحرّيّة».

(١) عن «خواطر متسلّلة» بقلم صاحب التأليف: قدري مايو.

٦ ـ المُشاكَلَة

أ ـ تعريفها:

هي أن يُعَبَّرَ عن الشيء بلفظٍ غير لَفْظِهِ لوقوعه في صُحبته في الجملة أو العبارةِ نَفْسِها.

ويغلبُ أن تُستعمل المُشاكلة على وجه الجواب الذكيّ أو السُّخرية، وكأنها تعلّم الطَّرَفَ المُخاطَبَ بها ما هو أَجْدر بالقول من قولِهِ.

ومن قبيل المُشاكلة ما أجاب به أحدُهم عندما سئل: هل تُحبُّ رياضة تسلّق الجبال؟ فقال «أحبُّ تَسَلُّق السنوات إلى آخر العمر بأمانٍ وسلام». فقد استخدم كلمة التسلّق على سبيل المشاكلة بين السؤال والجواب لينبّه السائل إلى أنّ عُمْره لا يَسْمح له بممارسةِ هذه الرياضة الخطرة.

ومن قبيل المشاكلة أيضاً، ما حُكي عن شاعرٍ بائسٍ خفيف الظلّ من أنّ أَصْحابَهُ أرسلوا يدعونَهُ للمنادمة والشّراب وقتَ السّحر في البَرْد، وقالوا له: ماذا تختار من الطعام لِيُصْنع لك؟ فكتبَ إليهم هذين البيتَيْنِ:

أصحابُنا قَصَدُوا الصَّبوحَ بِسَحْرةٍ ... وأتى رَسُولُهُمُ إليّ خَصيصا

قالُوا: اقْترِحْ شَيْئاً نُجِدْ لك طَبْخَهُ ... قُلْتُ اطْبُخوا لي جُبّةً وقميصا

ب ـ نماذج من المُشاكلة:

١ ـ قال الشاعرُ في اعتداده بالجار قبل الدار:

مَنْ مُبلغٌ أَفْناءَ[1] يَعْرُب كُلَّها ... أنّي بَنَيْتُ الجارَ قَبْلَ المَنْزِلِ

(١) الأفناء: العامّة بلا تحديد.

٢ ـ وقال عمرُو بن كُلْثومِ التَّغلبيُّ(*) مِنْ قصيدتِهِ المُعلَّقة:

ألا لا يَجْهَلَنْ[1] أحَدٌ عَلَيْنا فنجهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الجاهِلينا

٣ ـ وقال أبو الفَتْح البُسْتي[2] في الحِكْمة:

زيادةُ المَرءِ في دنياه نقصانُ وربحُه غيرَ مَحْضِ[3] الخَيْرِ خُسْرانُ

٤ ـ وقالَ أبو الفُتوحِ السُّهْرَوَرديّ(**) يَوْمَ مقتله:

أنا عُصْفورٌ وهذا قَفَصي طِرْتُ مِنْهُ فتخلَّى زَمَنا

٥ ـ وقالَ أَحَدُ النُّحاةِ مُداعباً أميرهُ ونديمَهُ:

«سألتَني عن الممنوع من الصرف، فاعلمْ أني أنا هو الممنوعُ من الصرف إذا كنتُ في مَجْلِسِك، يصرفُني الحياءُ وتمنعُني المحبّةُ».

٦ ـ وقالَ شاعر في مداعبةِ صديقهِ واسمُه «ربيع»:

ما دُمْتَ «ربيعاً» فامْنَحْني في طَلْعَتِهِ بَعْضَ الأزهارْ
ما أجْمَلَها شكلاً لَوْناً ما أطْيَبَها، والطِّيبُ يُزارْ

(*) عمرو بن كلثوم: شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات اعتز بانتمائه إلى قومه بني تغلب على بني بكر وفاخرهم ويقال إنه قتل عمرو بن هند ملك الحيرة رداً على مهانة لحقت بأمّه ليلى. مات سنة ٦٠٠م.

(١) الجهل: هنا، الشدّة والبطش والاعتداء.

(٢) البُسْتي: شاعرٌ حسنُ النظم ولع بالحِكَم. كانت وفاته عام ٤٠٠هـ.

(٣) محض الخير: الصافي من الخير.

(**) هو شهابُ الدين يحيى بن حبش، شاعر صوفيّ عاش في حلب، قُتل بوشايةٍ من حسّاده عام ٥٨٧هـ.

٧ ـ المَدْحُ بما يُشْبِهُ الذَّمّ وَعَكْسُهُ

أ ـ تعريف:

من المحسّنات المعنوية ما يُسَمّى:

تأكيد المدح بما يُشبه الذمّ.

وهو ذِكْرُ الحسنة على أنها عَيْبٌ في الممدوح فإذا بالمدح يزداد تأكيداً ووُضوحاً على قاعدة «والضدُّ يُظْهر حُسْنَهُ الضدُّ».

ويكون هذا الأُسْلوب باستخدام الاستثناء بإحدى أدواته (إلاّ، غير، سوى) أو الاستدراك بإحدى أداتيه (لكنْ، لكنّ) أو ما ينوب منابَهُ (على أنَّ).

وقد اشتهر استعمال النابغة لهذا الأسلوب في مدح الغساسنة قائلاً:

ولا عيبَ فيهمْ غَيْرَ أنَّ سُيوفَهُمْ ... بِهِنّ فُلولٌ[1] مِنْ قِراعِ[2] الكتائبِ

هُنا، ادّعى الشاعر أن الممدوحين أفضل الناس لولا عيب واحد هو أنّهُمْ مقاتلون شجعان تثلّمتْ سيوفهم لكثرة الضرب بها.

وقد يأتي تأكيد المدح بما يشبه الذمّ على عكس مضمونه فيكون ما يُسمّى:

تأكيد الذمّ بما يُشْبِهُ المَدْحَ

ويكونُ باستثناء صفةٍ من جُملة سَيّئات تلحق بالمهجوّ فإذا بها سيّئة أسوأ من سابقاتها مما يزيدها تأكيداً وتكونُ أبلغ في تأكيد الذمّ. تقول مثلاً:

---

(١) الفلول: الثلمات في حدّ السّيف.

(٢) القِراع: القتال والنزال.

زيدٌ كُلُّه مثالِبُ (عُيوب) إلا أنّه أعْوَر.

فهنا جَعَلْتَ الرجل المعيبَ زَيْداً بؤرةً للعيوب والمثالب وعُدْتَ لتنفي عنه أَحَدَ العيوب بالاستثناء فإذا بالمستثنى عيب قَبيحٌ وهو العَوَر. وكأنك بكلامِك لا تؤكّد إلاّ عليهِ من بينِ عُيوبِ زَيْد.. قالَ الشاعرُ يذمُّ أَحَدَهُمْ:

خَــلا مِــنَ الـفَـضْــلِ غـيــر أنّــي أراه فــي الــحُــمْــقِ لا يُــجــارىٰ

فهذا تأكيدٌ للذمّ بما يُشْبِه المدح.. فبينما كنا ننتظر صفة فاضلةً بعد (غير) الاستثنائية، جاءت صفةُ الحُمْق الذي هو الجنون والطيْش لتؤكد الذمّ بشرّ الصفات:

(أراه فــي الــحُــمْــقِ لا يُــجــارىٰ).

ب ـ نماذج مِنَ تأكيد المَدْح بما يُشْبه الذّمّ وعَكْسِهِ:

١ ـ قال الشاعرِ في ممدوحِهِ:

ولا عَـيْـبَ فـيـهِ غـيـرَ أنّـي قَـصَـدْتُـهُ فـأنْـسَـتْـنِـيَ الأيّـامُ أهْـلاً وَمـوطِـنـا

٢ ـ وقال آخرُ في المَدْحِ:

فـتًـى كَـمُـلَـتْ أوصـافُـهُ غـيـر أنّـهُ جَوادٌ، فـمـا يُبْـقـي مِنَ الـمـالِ بـاقِـيا

٣ ـ وقال ثالثٌ في مَدْحِ قومٍ أولي مَعْروفٍ:

ولا عَـيْـبَ فـي مـعـروفِـهِـمْ غَـيْـرَ أنّـهُ يُـبَيِّنُ عَـجـز الـشـاكـرينَ عن الـشُّـكْـرِ

٤ ـ وقال أحدُهم يؤكّد الذّمّ بما يُشبه المدح:

ولا خَـيْـرَ فـيـهـم، غـيـر أنَّ نـفـوسَـهُـمْ مِنَ الـشُّـحِّ كـادتْ أن تـكـونَ بـلاقِـعا[1]

٥ ـ وقال آخر عَنْ مَهْجُوِّه:

---

(١) بَلاقِع: جمع بلقع وهو القَفْر المُجْدِب.

لئيمُ الطِّباعِ سِوى أنّهُ   جَبانٌ يَهونُ عليهِ الهوانُ

٦ ـ وقال أحَدُهم يَهجو:

هو الكلبُ إلاّ أنّ فيه مَلالَةً   وسُوءَ مُراعاةٍ، وما ذاكَ في الكَلْبِ

٨ ـ الطّيّ والنَّشر

أ ـ تعريف:

يُرادُ بالطيِّ والنّشر أن يذكر متعدِّدٌ من الألفاظ لكلٍّ خاصّة يذكر بها من بَعْد على الترتيب أو من غير ترتيب، فكأن نشرَ الكلام وقد طُوِيَتْ حسناتُهُ أو عيوبُه يليهِ نَشْرٌ وتفصيلٌ لهذه الحسنات أو العيوب. فالطيُّ والنّشر باختصارٍ شديد:

وجوهُ كلامٍ تُطوىٰ خصائصها ثم تُنْشَر

وهذا ضربٌ من المُحسّنات المعنوية يَحْسُنُ أن يُساقَ في علم المعاني لأنّه يتعلّق بالإسنادِ بشكلٍ أو بآخر.

وللطيِّ والنشر علاقةٌ بفهم السامع أو القارئ وثقافته، فهو يُدْرِك العلاقات بين المنشور والمطويّ والمطويّ والمنشور، بحيثُ لا يفوته المعنى العام وإنْ اختلَّ الترتيب بعض الشيء. وهذه أمثلة للإيضاح:

أَعْملُ ليلاً ونهاراً، فأَدْرسُ وأكسِبُ بكدِّ يميني.

هنا، عملُ الليل نُشِرَ بعد طيٍّ فَفُهِم أنه الدراسة، وعمل النهار نُشرَ بعد طيٍّ، فَفُهِم أنه كسب الرزق بعمل اليد، ويلاحظ أن الترتيب قد رُوعي بين النشر والطيّ ففهم أن الدراسة مقترنة بالليل، وعمل اليد مقترن بالنهار على الترتيب الموافق لما جاء في أوّل الكلام.

وربما اختلّ الترتيب بين المطوي وما يتبعه من نشر، فاستطاع السامع أو القارئ إدراك العلاقة بينهما كما في قَوْلِنا:

«بالصلاةِ والصومِ والعبادةِ والعَملِ، نرتزقُ ونتقرّبُ إلى الله».

فمن الواضح أن التقرّب إلى الله يكون بالعبادات، والارتزاق يكون بالعمل.

هذا، وبوجه عام، يأتي الطيّ ليتبعه النشر بصرف النظر عن ترتيب ما يُنشر.

ب ـ نماذج من الطيّ والنّشر:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [سورة القصص: ٧٣].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [سورة الإسراء: ١١].

٣ ـ قال رسولُ الله[(١)] (ﷺ):

«ألا أدُلُّك على أبواب الخير؟: الصّومُ جُنّةٌ[(٢)]، والصَّدَقَةُ تُطفىءُ الخطيئة كما يُطفىء الماءُ النار، وصَلاةُ الرَّجُل في جوفِ الليل..».

٤ ـ وقال الشاعر يمدح:

عطاءٌ وَمَنْعٌ، فالعطاءُ معيشةٌ ... ومَنْع الأذى فَضْلٌ على كُلِّ مُفْزَعِ[(٣)]

٥ ـ وقال الشاعر في الغزل:

خدودٌ وأَحداقٌ[(٤)] وفتنةُ ناظِرٍ ... ورودٌ وإطلاقٌ[(٥)] ومَصْرَعُ عاشقِ

٦ ـ وقال آخر في وصف محبوبِهِ:

فلَحظُه وَمُحيّاهُ[(٦)] وقامتُهُ ... بَدْرُ الدُّجى وقضيبُ البانِ والراحُ[(٧)]

---

(١) عن حديثٍ لِمُعاذ بن جبل. انظر متن الأربعين النووية ص ٩٩.
(٢) الجُنّة: بضمّ الأوّل، السّتر والوقاية. التّرس.
(٣) المُفْزَع: المخوّف المطرود.
(٤) الأحداق: العيون.
(٥) الإطلاق: إطلاق سهام النّظَر.
(٦) المُحيّا: مَقْبَلُ الوَجْه، الطلعة.
(٧) الراح: الخمرة.

٩ ـ المُغايَرَة

أ ـ تعريفُها:

المُغايرة، من التغيير، هي ضربٌ من المحسنات المعنوية يُشْبه المعابثة ويقوم على مدح الشيء ثم ذمّه إثباتاً للمقدرة على التعبير إيجاباً وَسَلْباً.

وقد شاع هذا الضَّرب من المُحسّنات في أدب المقامات عند بديع الزمان الهمذانيّ والحريري ومن جاء بَعْدهما..

وليس للمغايرة من اعتبار في الأدب، والنّصوص الجادّة قديمها وحديثها. ولا تكون إلاّ استخفافاً بالمضمون الذي هو الهمّ الأساسيّ للمعبِّر شعراً أو نثراً.

ب ـ أمثلة على المغايرة:

وحَسْبنا أن نسوق مثالاً عليها ممّا جاءَ في المقامة الدينارية للحريري إذ مَدَحَ الدينار وذمّه شِعْراً.

جاء في مَدْحِ الدينار:

أكْـرِمْ بِـهِ أَصْـفَـرَ راقَـتْ صُـفْـرَتُـهْ   جَـوّابَ آفـاقٍ تـرامَـتْ[1] سَـفْـرَتُـهْ
مـأثُـورةٌ[2] سُـمْـعَـتُـهُ وشُـهْـرَتُـهْ   قـد أُودِعَـتْ سرّ الـغـنى أَسِـرَّتُـهْ[3]
وقـارنَـتْ نُـجْـحَ الـمسـاعي خطرَتُهْ[4]   وحُـبِّـبَـتْ إلـى الأنـام غُـرَّتُـهْ[5]

(١) ترامت: تباعدت.
(٢) مأثورة: مشهورة مرويّة على الألسن.
(٣) الأسِرّة: معالم الوجه.
(٤) خطرتُه: خطوته بالمكان.
(٥) غُرّتُهُ: وجهه الصبوح.

كـأنـمـا مِـنَ الـقُـلـوبِ نُـقْـرتُـهْ[1] بـهِ يَـصُـولُ[2] مَـنْ حَـوَتْـه صُـرَّتُـهْ
وَمُـشْـرَفٍ لـولاهُ دامـت حَـسْـرتُـهْ وجَـيْـشِ هَـمٍّ هَـزَمَـتْـهُ كَـرّتُـهْ[3]
لـولا الـتُّـقـى لَـقُـلْـتُ: جَـلَّـتْ قُـدْرَتُـهْ

وجاء في ذمّ الدينار على سبيل (المُغايرة) مِنْ مدحٍ إلى ذمّ:

تَـبّـاً[4] لَـهُ مِـنْ خـادعٍ مُـمـاذِقِ[5] أصْـفَـر ذي وجـهـيْـنِ كـالـمُـنـافِـقِ
يـبدو بِـوَصْـفـيْـنِ لِـعَـيْـنِ الـرّامـقِ[6] زيـنـةِ مـعـشـوقٍ ولَـوْنِ عـاشِـقِ
وحُـبُّـه عـنـدَ ذَوي الـحـقـائـقِ[7] يَدْعُو إلى ارتكاب سُخْط[8] الخالِقِ
لـولاه لـم تُـقْـطَـعْ يَـمـيـنُ سـارِقٍ[9] ولا بَـدَتْ مَـظْـلـمـةٌ مِـنْ فـاسِـقِ
واهاً لِمَنْ[10] يقذفه مِنْ حالقٍ[11] قـالَ لَـهُ قَـوْلَ الـمُـحِـقِّ الـصـادقِ
لا رأيَ فـي وَصْـلِـكَ لـي فـفـارِقِ

---

(١) نقرته: صياغته ونقشه.
(٢) يصول: يُهاجم ويتمكن.
(٣) كرّته: هُجومه وحملته.
(٤) تبّاً له: هلاكاً له وخسراناً.
(٥) المماذق: المرائي الكذوب في الودّ الغشّاش.
(٦) الرامق: الناظر.
(٧) ذوو الحقائق: أهل العلم والعرفان.
(٨) السُّخط: الغضب.
(٩) يمين السارق: يده اليمنى.
(١٠) واهاً له: عبارة استحسان بمعنى ما أطيبه.
(١١) من حالق: من عالٍ أو جبلٍ.

١٠ ـ تجاهُلُ العارِف

أ ـ تعريفه:

هو ادّعاء البليغ بأنه يجهل الحقيقة وهو عارِفٌ لها وذلك لغايةٍ في نفسِه أو للتظارُف أو التوبيخ لسامعه أو المبالغة في مدحٍ أو صفة. ويبقى الجمال في هذا الأسلوب في نقل التقرير إلى سؤال أو استفهام، وهذا ما يختص علم المعاني بالنظر فيه كما سنرى لاحقاً.

ومن أمثلة تجاهُلِ العارف قول المعلّم لتلاميذه، من قبيل التّوبيخ، في عدّة مقامات:

هل خُتِم على أفواهِكُمْ؟

هل حَلَلْتُم في مقهى أمْ في مَلْعب؟

هل حُرِمتْ عليكُم الفطنة؟

لم لا تأتون بوسائدكم معكم؟

وينفع تجاهلُ العارف في البلاغة والتأثير في مجالات كثيرة، منها المدح: (إسمُك حاتم؟) أو الهجاء والسخرية: (ما عرفناك أذئبٌ أم غزال؟!) أو إبداء الحزن واللوعة (أما زال عندي قلب بين ضلوعي؟)..

ولا يتمُّ تجاهلُ العارف بنجاحٍ في التأثير إلاّ إذا جاء من قِبَل بليغٍ ذي خبرة بالأساليب واستعمالاتها.

ب ـ نماذج مِنْ «تجاهل العارف»:

١ ـ قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [سورة محمد: ٢٤].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [سورة الطور: ٣٥].

٣ ـ وقال زُهَيْرُ بنُ أبي سُلْمى[1] في هجاء قوم:

وما أدري وسَوْفَ إخالُ[2] أدري ... أقَوْمٌ[3] آلُ حِصْنٍ أم نساءُ؟!

٤ ـ وقالت ليلى بنت طريف[**] (الفارعة) في رثاء أخيها:

أيا شَجَر الخابورِ[4] ما لكَ مُورِقاً ... كأنَّكَ لم تَجْزَعْ[5] على ابنِ طريفِ؟!

٥ ـ وقال البُحتريُّ[6]:

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرىٰ[7] أَمْ ضَوْءُ مِصْباحِ؟ ... أم ابْتِسامتها بالمنظرِ الضاحي[8]؟

٦ ـ وقال الشاعر في المديح:

أَوَجْهُكَ في هذا الضِّياءِ أم البَدْرُ ... وكفُّكَ في هذا العَطاءِ أم البَحْرُ؟

---

(١) زُهير بن أبي سُلمى: من فحول الشعراء في الجاهلية من أصحاب المعلقات، اشتهر بالمدائح والحِكم، وأعجب بشعره الخليفة عمر بن الخطاب.

(٢) إخالُ: أحسب وأظنّ، وساقها من قبيل السخرية.

(٣) قَوْم: رجالٌ.

(**) ليلى بنت طريف: أخت الوليد بن طريف الخارجي ولقبها (الفارعة) شاعرة مجيدة اشتهرت برثاء أخيها الوليد وقد قتل في خروجه على الرشيد عام ١٧٩. كانت وفاتها نحو سنة ٢٠٠هـ. انظر «شاعرات العرب» من تحقيق المؤلف عبد القادر محمد مايو ص ٢٣٩.

(٤) الخابور: نهر بالجزيرة من بلاد الشام.

(٥) لم تجزع: لم تحزن.

(٦) البحتري: الوليد بن عبادة الطائيّ. شاعر عبّاسي. توفي سنة ٢٨٤هـ. وقد سبقت ترجمته.

(٧) سرىٰ: سافرَ لَيْلاً.

(٨) الضاحي: المُشرِق كالضحى.

١١ ـ أسلوبُ الحكيم

أ ـ تعريفُه:

هو تلقّي المخاطَب بجوابٍ لم يكن يترقّبُه بِحُسْنِ تخلُّصٍ يدلّ على حِكمةٍ وذكاء.

سُئل أحدُ الصحابة الكرام: أنت أكبرُ أم رسول الله (ﷺ)؟ فأجاب «هو أكبرُ منّي وأنا ولدتُ قبلَهُ» وذلك كراهةً منه لأن يقول «أنا أكبرُ من رسولِ الله (ﷺ)» فجوابُ هذا الصحابيّ من قبيل «أُسْلوبِ الحكيم».

وسُئل أحدُهُم في مجلسٍ من الكتّاب الناثرين: «أيّهما تفضّل الشعر أم النثر؟» فأجاب: «الشّعر ديوانُ العرب». وسئل آخر: «أيّهما تحبّ أمّك أم أباك؟» فأجابَ: «الفتوى لرسول الله (ﷺ)» وهو يشير إلى الحديث المأثور حين سأله أحد الصحابة «من أَوْلى الناس بِحُسْن صحابتي؟» فأجابه رسول الله «أُمّك» وسأله ثمّ مَن؟ فقال: «أمّك» وسأله ثم من؟ فقال «أُمّك»، ذكرها ثلاثاً قبل أن يقول: «ثم أبوك».

وهكذا نرى أن هذا الأسلوب من المحسّنات البديعيّة هو أبلغ الأساليب عند رغبة المخاطب في الإعراض عن الخوض في موضوعٍ معيّن، أو خشيته من مواجهة مكلّمه بالحقيقة عاريةً، أو عند رغبته في استرضاءِ من أمامَهُ ومُجاملتهِ بما يَسُرّهُ.

وسوفَ تتضح لنا هذه المواقف من خلال الأمثلة والشواهد التي نَسوقُها على «أُسْلوبِ الحكيم».

ب ـ نماذج من «أسلوب الحكيم»:

١ ـ قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٩].

٢ ـ وهدَّدَ الحَجّاج[١] رَجُلاً بالسّجنِ وقيد الحديد قائلاً: «لأحملنّك على الأَدْهَم[٢]» فأجاب الرجلُ يصرفُهُ عن العقوبة إلى المكافأة: «مِثْلُ الأمير يحمِلُ على الأَدهمِ والأشهَبِ[٣]».

٣ ـ حُمِل إلى خالد بن الوليد رجلٌ من أهل الحيرة حين فتح العراق فسأله خالد: فيم أنت؟ قالَ: في ثيابي. قال: علامَ أنت؟ قال: على الأرض. قال: كم سِنُّكَ؟ قال: اثنتان وثلاثون. فقال خالد: ما بالك يا رجل، أسألُكَ عن شيءٍ وتجيبني بغيرِهِ؟ قال الرجلُ: إنّما أَجَبْتُ عَمّا سألْتَ.

٤ ـ قال شاعِرٌ في صاحبٍ لَهُ اسْتَقْرضَهُ ديناراً، فاعْتَذَرَ:

وَلَقَدْ أَتَيْتُ لِصاحِبي وسألتُهُ ... في قَرْضِ دينارٍ لأَمْرٍ كانا
فَأَجابَني: واللهِ داري ما حَوَتْ ... عَيْناً[٤]، فقلتُ لهُ: ولا إنسانا[٥]

٥ ـ وقال أحدُهُمْ في رثاءِ فقيدٍ:

وقالوا: قضى[٦] قُلْنا: قضى حاجةَ العُلا ... وقالوا: مضى، قُلْنا بِكُلِّ فَخارِ

٦ ـ وقالَ شاعِرٌ في حُبِّ الوالِدِ لِولدِهِ:

جاءَني ابْني يَوْماً وكُنْتُ أراهُ ... لِيَ رَيْحانَةً ومَصْدَرَ أُنْسِ
قالَ: ما الرُّوحُ؟ قلْتُ: إنّكَ رُوحي ... قالَ: ما النّفْسُ قُلْتُ: إنّكَ نَفْسي

---

(١) الحَجّاج: هو الحجّاج بن يوسف الثقفي، كان والياً على العراق وخراسان للخليفة عبد الملك بن مروان الأموي، ثم للوليد من بعده. كان قاسياً شديد البطش. توفي عام ٩٥هـ.

(٢) الأَدْهَم: القيد الحديديّ.

(٣) الأدهم والأشهَب: من صفاتِ وألوان الخيل؛ الأسْوَد والأبيض الرماديّ.

(٤) عَيْناً: نُقوداً مضروبةً كالدراهم والدنانير.

(٥) إنساناً: هنا تورية بديعيّة، أرادَ واحد الناس، وليس إنسان العين، وهو البؤبؤ.

(٦) قضى: قضى نحبه أي ماتَ.

١٢ ـ ائتلاف اللّفظِ مع المعنى

أ ـ تعريفه:

هو أن يقع اللفظ والمحسّن البديعي في خدمة المعنى فيتحقق بينهما الانسجام ليحوز النص المسموع أو المقروء على إعجاب السامع أو القارئ. وقديماً اتفق النقاد على أن:

اللفظ جَسَدٌ وروحُه المعنى.

فكما أن الجسد لا يحرّكه إلا الرُوح فكذلك اللفظ لا يطلقه نحو التأثير والإدهاش المعجب سوى ما يؤدّيه من معنى. وقد عرّف البلاغيون هذا الضرب من التحسين المعنوي بقولهم: **أن تكونَ الألفاظُ مُوافقةً للمعاني**، وضربوا أمثلةً من عند الشعراء الفحول كجرير والفرزدق والأخطل في العصر الأموي، وبشّار بن بُرد وأبي تمام والبحتريّ وغيرهم في العصر العباسيّ. على أن ضَرْبَ الأمثال من الشّعر والنثر البليغَيْن معينٌ لا ينضب، ولا ينتهي ما دامت الكلمة، وما دام الإنسان يحرّك لسانه بالكلام، ويُجْري قلمه على الورق. ويلاحظ أنّ المُصطلحَ الحديث للّفظ والمعنى هو: الشّكل والمضمون. وهذان يحققان شموليّة أوْسع من كلمتي اللفظ والمعنى، وذلك لأن الشّكل يقعُ في عدّة عناصر منها: المفردات، الجمل والعبارات، المحسّنات بما فيها الموسيقى اللفظية إلخ...

كذلك المضمون يقع في عدة عناصر منها: الأفكار، العواطف، الخيال التصويري المجازي وغير المجازي، إلخ...

وكلا العنصرين الكبيرين (الشكل والمضمون) يجب أن يجمعهما التلاؤم الذي

هو بالمعنى العام: **ائتلاف اللفظ مع المعنى.**

ومن هذا المعنى الكبير الذي هو محسّن المحسّنات ينطلق النقد الأدبي لأعمالِ المبدعين، وهو خطّ الحدود بين التراث والمعاصرة، ولا بدّ من اجتيازه لمن يُسافر بين النّصوص.. ونتوقف عند هذا الحدّ من الكلام تحت عنوان (ائتلاف اللفظ مع المعنى) لأن كتابنا معنيٌ بالبلاغة العربية في حدودها المنهجيّة.

ب ـ أمثلةٌ وشواهد:

ومن أجل التنوير والإيضاح، نقف عند أمثلةٍ وشواهد من شِعْر بشّار بن برد[1] لسببين:

الأوّل: التفات كتب البلاغة إلى هذه الأمثلة والشواهد.

الثاني: حقيقة أن بشار بن برد يمثّل رأس جِسْر ومَعْبر بين جاهليّة الشّعر العربيّ، وتجهّمه اللغوي، وبين حضريّة الشعر وانطلاقه في أرض معبّدة أسهمت في تعبيدها الأمم والعناصر الداخلة في الإسلام.

ومرّةً أخرى نقول بضرورةِ الوقوف عند حدٍّ اصطلاحي لضرب الأمثلة.

حين أراد بشار بن برد أن يتغزّل، ويُغري بشعره جارية حسناء مثل عبدة، وهو الرجل المجدور الضخم المستقبح، وجدناهُ يرقق ألفاظه ومعانيه بتمام الانسجام، وبمثلِ هذا الكلام:

لـم يَـطُـلْ لَـيْـلـي ولـكـن لـم أنَـمْ ... ونفىٰ عنّي الكرى[2] طَيْفٌ[3] ألَمْ
نَـفْـسـي ـ يـا عَـبْـدُ ـ عـنّي واعـلـمي ... أنّـنـي ـ يـا عـبـد ـ مـن لـحـمٍ ودَمْ

---

(١) بشار بن برد: شاعر فارسي الأصل من فحول الشعر العباسيّ في بداياته. يمثل جسر انتقال بين القديم والحديث في عصره، كان غزلاً ماجناً مولعاً بالخمرة، اتهم بالزندقة فأمر المهديّ بجلده فمات عام ١٦٨هـ.

(٢) الكرى: النوم.

(٣) الطيف: خيال الحبيب.

إنّ في بُرْدَيّ[١] جِسْماً ناحِلاً لو تَوَكّأْتِ عليهِ لانْهَدَمْ

وحينَ أراد تمثيل قوّة الجيش المنتصر لممدوحه الظافر، وجدناه يقول:

وجَيْشٍ كجنحِ اللّيلِ يَزْحَفُ بِالحَصا وبِالشَّوْكِ والخطّيّ[٢] حُمْرٌ ثعالبُهْ[٣]
غَدَوْنا لَهُ والشمسُ في خِدْرِ[٤] أُمّها تُطالِعُنا، والطَّلُّ[٥] لم يجرِ ذائبُهْ
بِضَرْبٍ يذوقُ الموتَ من ذاق طَعْمَهُ وتُدْرِكُ من نَجّى الفرارُ مثالِبُهْ[٦]

ولم يَفُتْهُ تصوير الغضب مع الاعتزاز، بألفاظ ضَخْمةٍ وعباراتٍ فخمةٍ:

إذا ما غَضِبْنا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً[٧] هَتَكْنا[٨] حجابَ الشَّمْس أو قطرتْ دَما
إذا ما أَعَرْنا سَيِّداً من قبيلةٍ ذُرا مَنبَرٍ صلّىٰ عَلَيْنا وَسَلّما[٩]

ونجدُ بشاراً نَفْسَهُ من يقولُ مُداعباً جاريتَهُ ربابةَ:

رَبابَةُ ربَّةُ البَيْتِ تَصُبُّ الخلّ في الزَّيْتِ
لَها عَشْرُ دَجاجاتٍ وَدِيكٌ حَسَنُ الصَّوْتِ

وقد لُوحظ الفرقُ بين الأسلوبين بين شعره الجاد وبين شِعر المداعبة، وخُوطِب في ذلك فقال عن شعره في ربابة: هذا عندها أفْضَلُ من مُعلّقة امرىء القيس. ويبدو أنّ مُعلّقة امرىءِ القيس كانت هي القُدْوة، لكلّ شعرٍ فصيحٍ بليغ:

لاحظ: الغضب، حجاب الشمس، الدّم، ذرا المنبر إلخ. . .

ولاحظ في المقابل: الخَلّ، الزّيْت، الدّجاجات، الديك، الصوت. .

---

(١) في بُرْدَيّ: في ثوبيّ.
(٢) الخطّي: الرّماح.
(٣) ثعالبُ الرّماح: نصالُها الجارحة.
(٤) الخِدْر: حجرة المرأة. وكنّى بتعبيره عن التبكير.
(٥) الطَّلّ: النّدى وقت الصباح.
(٦) المثالب: العيوب، ومنها الجبن والفرار.
(٧) مضريّة: عربية أصيلة. مُضر: جدّ العرب العدنانيّة.
(٨) هتك الحجاب: كشفهُ.
(٩) صلى وسلّم: كناية عن المدح والثناء.

أفلا ترى أن الألفاظ المتناثرة تكادُ تنطق وتعبّرُ عن مضمونٍ أرادَهُ الشاعر؟..

ذلك هُوَ: ائتلافُ اللفظ مع المعنى ومناسبة كل منهما للآخر. وسنكتفي بما ضربناه أمثالاً من شِعر بشّار بن برد، وإلاّ اضطررنا إلى فتح ديوان الشعر العربيّ قاطبةً، وهذا ما لا نَسْتطيعه في حيِّز هذا الكتاب، إنّما نُحيلُ إليه فقط..

وينطبقُ ما قلناه في الشعر وتوافق لفظه ومعناه على ما نقوله في النثر، ونصوصُهُ من عبد الحميد إلى ابن المقفّع إلى الجاحظ إلى ابن العميد وغيرهم تُشكّلُ بحراً لا يُحصى لَهُ مَدَدٌ ولا عَدَدٌ.

تطبيقات على المُحَسّنات المعنويّة

س ١ ـ عرّف الطّباق تعريفاً موجزاً، واذكر مثالاً لطباق الإيجاب، ومثالاً لطباق السّلب.

ج ١: الطّباق: هُوَ الجمعُ بين الشيء وضِدّه في الجملة الواحدة وطباق الإيجاب يكون خالياً من النفي والنهي مثل:

الطّفل يبكي ويضحكُ.

وطباق السلب هو المشتمل على نفيٍ أو نهي بهما يتمّ التضادّ مثل:

افْتَحْ أُذُنَيْكَ ولا تَفْتَحْ فمك (نهي).

أخوكَ من كانَ مَعَكَ لا عليك (نفي).

س ٢ ـ هات مثالاً على المقابلة يكون فيها التقابل بين عنصرين وضدّيهما:

ج ٢: نهارُ الشتاء قصير ونهارُ الصيفِ طويل.

س ٣ ـ استخدم التورية البديعية في عبارة بليغة.

ج ٣: إن كُنتَ من العِظام فلن يفنى لك ذِكْر فوق الأرض.

س ٤ ـ اقرأ البيتين التاليين وبيّنْ ما فيهما من المحسنات المعنويّة:

أحارِبُ، لكنْ لا حُسامَ بِقَبْضتي ولا رُمْحَ بل عنّي اللّسانُ يُحارِبُ

فإن قيل هل أحرزْتَ نَصْراً أَجَبْتُهُمْ ضحايا لِساني أذْؤُبٌ وعقارِبُ

ج ٤: هنا في البيتين:

١ ـ مراعاة نظير في قوله: حسام، رمح، أحارب. .

٢ ـ حُسْن تعليل في قوله: ضحايا لساني أذؤب وعقارب.

س ٥ ـ هات عبارتين تؤكد فيهما المدح بما يشبه الذم، والذمّ بما يشبه المدح.

ج ٥: لا يؤخَذُ عليكَ إلا الصّدق وطيبة القلب «هنا، مدح بما يُشْبِهُ الذمّ».

عَدُوُّكَ جبانٌ إلاّ أنه مغرورٌ بك. «هنا ذم بما يشبه المدح».

س ٦ ـ استخدم «أُسلوبَ الحكيم» في صرفِ السّائلِ عن دَخْلِ أبيكَ من المال.

ج ٦:

ـ كم دَخلُ أَبيك في اليوم؟

ـ دَخْلُه الضُّيوف وخَرْجُهُ المعروف.

هنا، جواب باستخدام أسلوب الحكيم.

س ٧ ـ استخرج ما تَجِدُهُ في النص الآتي من المحسنات المعنوية:

قيلَ لمستعطٍ يسألُ الناسَ: امدحْ هذا الدينار فهو لك.

قال: نِصْفه دينٌ فلا عجب أن نتمسّك بهِ، وقيل له ذمّ ديناراً آخر فهو لك. قال نِصفه نار فلا عجب أن نزهد فيه.

وأخذ الدينارين وخرج، فقيلَ لَهُ: ما لك تَخرج بالدينارين؟ فأجابَ سَلوا عنهما الجزّارَ والبقّالَ.

ج ٧:

١ ـ في مدح الدينار ثم ذَمِّه مِن قبل المُتسوّل، فنٌ بديعي اسمه المغايرة.

٢ ـ في إجابة المستعطي: سلوا عنهما الجزار والبقال، فن بديعي اسمه تجاهل العارف.

س ٨ ـ هل تحفظُ بيتاً من الشّعر يمثّل ائتلافَ اللفظِ مع المعنى؟ اذكُرْهُ، وأشِرْ إلى مظهرِ هذا الائتلاف.

ج ٨: أحفظ بيتاً مشهوراً للنابغة الذبياني في الاعتذار إلى النعمان ملك الحيرة وبيان خوفه من سَطْوته:

فإنّك كاللّيلِ الذي هو مُدرِكي ... وإنْ خِلْتُ أنّ المنتأى عَنْكَ واسِعُ

هنا، جعل الليل رمزاً للإخافة بإظلامه وزحفه الذي لا مخلص منهُ وشبّه به الملك النعمان فأدّى معنى الخوفِ والاعتذار خير تأدية. وكانتِ المفردات في خدمة المعنى بلا إغراب ولا غموض.

س ٩ ـ مثّل لأربعةٍ من المُحسّنات البديعية المعنوية هي:

١ ـ التورية.

٢ ـ المشاكلة.

٣ ـ الطي والنشر.

٤ ـ مراعاة النظير.

ج ٩: الأمثلة على التوالي والترتيب هي:

١ ـ قال أحدهم لمحبوبته وكان اسمُها ليلى: أنا طول الليل أغنّي يا ليل.. (تورية).

٢ ـ قيل لأحدهم وقد حلّ ضيفاً على قوم: مُرْنا ماذا تشرب؟ قال: أما سَقَيتموني من لطفكم وحسن استقبالكم؟ (مشاكلة).

٣ ـ للكتاب منافِعُ لا تُحصى؛ يثقفُ، ويُعَلِّم، ويُسَلِّي، ويُغْني عن رِفاق السوء. (طيٌّ ونشر).

٤ ـ حسن الخلق شجرةٌ وارفة، ظلالها المودّة، وأزهارُها ابتسامات، وثِمارُها صداقاتٌ متجدّدة لا تنتهي. (مراعاة نظير).

س ١٠ ـ اجْمعْ بين الجِناس التام والتّورية في عبارةٍ واحدةٍ.

ج ١٠: كتب أحدُهم يقول:

«عزيزتي الصّغيرةُ دُنيا! بِكِ تَسامَتِ الدنيا عَن دُنْياها، فلا عَجَبَ أنْ أُحِبَّ مِن أَجْلِكِ كلّ دُنيا».

هُنا: جناس (دنيا، الدنيا).

تورية: (كُلّ دنيا).

تمرينات على المحسّنات المعنويّة

س ١ ـ سمِّ المحسّنات المعنوية فيما يأتي:

أ ـ اعْمَلْ صالحاً ولا تَعْمَلْ طالحاً.

ب ـ شتّانَ ما بين وَرْدٍ وَشَوْكٍ.

ج ـ إنْ كُنتَ صالِحاً فأصْلِحْ ما بينَكَ وبين جيرانِكَ.

د ـ لقنْتُه من التأنيب دَرْساً قاسياً بلا ورقةٍ ولا قلمٍ.

هـ ـ وَجَدْتُهُ جريئاً، ولكن في إيذاء الناس..

س ٢ ـ اكتب عبارتين قصيرتين فيهما مغايرة معنوية بالنظر إلى لُعبة كُرة القدم.

س ٣ ـ علّل هُطول المطر صباح العيد بحسن تعليلٍ من المحسّنات المعنوية.

س ٤ ـ استخدم الفِعل: (صَامَ) في مشاكلةٍ بديعيّةٍ ضمن عبارة بليغة.

س ٥ ـ ماذا تُسمّي ذِكْر الحسنة على أنها عيب من بين المحسنات المعنوية. هاتِ مثالاً عليها.

س ٦ ـ اذكرْ بيتاً من الشعر من محفوظاتك تمّ فيه ائتلاف اللفظ مع المعنى، واشرح هذا الائتلاف باختصار.

س ٧ ـ ضع كُلاً من الأسماء الآتية في طباقٍ بديعي ضمن عبارةٍ بليغة.

الصِّدق ـ الإحسان ـ المَودّة ـ النظافة..

س ٨ ـ ضع العبارة الآتية بعناصرها في مقابلةٍ بديعيّة.

أَصِلُ إلى المدرسةِ مبكراً، وأنا أَحْمِلُ حقيبتي..

س ٩ ـ انثرْ البيت التالي (حوّله إلى نثر) مُحافظاً على معناه واذكرِ ما في العبارة من

المحسّنات البديعية.

عطاؤكَ سَيْبٌ[1] وانتجاعُكَ[2] ديمةٌ[3] تَسِحُّ[4] بلا بَرْقٍ هُناكَ ولا رَعْدِ

س ١٠ ـ اجمع بين اثنتين من المُحَسّنات اللفظية واثنتين من المحسّنات المعنوية في بِضعِ جُملٍ تَصِفُ بها الربيع.

(١) سَيْبٌ: سيلٌ دافق. عطاء غزير.
(٢) انتجاعُكَ: قصدُك للعطاء.
(٣) الديمة: السّحابة الممطرة.
(٤) تسِحُّ: تمطرُ بغزارة.

القسم الثالث

عِلمُ المعاني

تعريف علم المعاني:

علم المعاني: فرْعٌ من فُروعِ عِلْم البلاغة العربية، ومحورُ اهتمامِه التركيب اللُّغوي باعتبار الجملة مؤلّفة من رُكنين هامّين هما: المُسند إليه، والمُسند في مقابل المبتدأ والخبر أو الفاعل وفعله في ميدان علم النحو.

فهو بالاختصار الشديد: علمٌ تُعرَفُ به أحوالُ التركيب اللفظي المطابق لمقتضى الحال بدلالة معناه ولهذا كان اسمُه وعنوانه «علم المعاني».

كان منطلقُ علم المعاني بلاغة القرآن الكريم الذي تحدّى بُلغاء العرب أن يأتوا بسورةٍ من مثله. ولم يلمس علماء البلاغة أركان علم المعاني المتوفرة في بلاغة القرآن الكريم إلاّ بعد أن قطعوا شوطاً بعيداً في دراسة علوم اللغة العربية الأُخرى، ولا سيّما النحو. وكان أوّلَ من سمّى «علمَ المعاني» بهذه التسمية، هو الإمامُ عبد القاهر الجرجانيُّ المتوفى عام ٤٧١هـ. وجاء ذلك في كتابه «دلائل الإعجاز» فالبحث عن المعاني ـ كما قلنا ـ هو بطبيعته بحث عن دلائل الإعجاز القرآني، وكان المؤلّف الفذّ عبد القاهر يقصد بكلمة «المعاني» معاني النّحو والبناء الجُمَليّ. وقد حامتْ أبحاثُ علم المعاني ابتداءً من «دلائلِ الإعجاز» وما جاء بعده في دائرة الشُّروحِ والاستدراكاتِ دون أن تصنع جديداً يُذكر. ومَسّتْ بِعَدْواها كُلاًّ من علمي البيان والبديع فإذا بالدليل الإعجازي يُستقصى ويُبحث عنه في الصورة الخيالية والحقيقة والمجاز، والمُحسِّن البديعي قبل أن تستقر أبحاث علم المعاني حول المراكز المعتمدة الآتية:

الإسناد ـ الذِّكْر والحذف ـ الخبر والإنشاء ـ التقديم والتأخير ـ القَصْر ـ الوصل والفصل ـ الإيجاز والإطناب والمساواة.

وتلك هي الموضوعات التي سوف نتناولها بالبحث تباعاً، على أن نتذكّر أنها كلّها تَصُبُّ في المعين البلاغي الأكبر وهو مطابقة الكلام لمقتضى الحال ليكون أبلغ تأثيراً.

١ ـ الإسناد

أ ـ تعريف الإسناد:

الإسناد مصدر صرفيّ للفِعْل أَسْند بمعنى نمى وألحق. أمّا المصطلح البلاغي فهو تحديد العلاقة بين ركني الجملة اسميّةً كانت أم فعليّة. ولم يفتنا أن نعلم مُسْبقاً العلاقة الوثيقة بين علم النحو وعلم المعاني.

فالجملة بالعرف النحوي إن كانت فعليّةً كان ركناها بوجهٍ رئيسي هما:

الفِعْل والفاعل كقولك: حلّق الطائرُ.

والجملة بالعرف النحويّ إن كانت اسمية كان ركناها بوجهٍ رئيسي هما:

المبتدأ والخبر، كقولك: الطائرُ محلّقٌ.

ونحن في الحالتين السابقتين أسندنا التحليق إلى الطائر من ضمن علاقة معروفة ومنطقيّة، هي التي يتقبلها علم المعاني ويعتمدها بتسمية كُلٍّ من الفاعل في الجملة الفعلية والمبتدأ في الجملة الاسمية بـ المُسند إليه وتسمية كُلٍّ من الفِعل في الجملة الفعلية، والخبر في الجملة الاسميّة بـ المُسْنَد.

ففي الجُملتين السابقتين:

حلّق الطائرُ:	مُسْنَدٌ، ومُسْند إليه.
الطائرُ مُحلّقٌ:	مُسْند إليه، ومُسْند.

وهذا ما سنعتمده في علاقات علم المعاني من الآن فصاعِداً.

ب ـ رُكنا الإسناد:

هما، المُسند إليه والمُسْنَد. ويأتي المسند إليه أوّلاً في الجملة الاسمية (العلم نافعٌ) بينما يأتي ثانياً في الجملة الفعليّة (ينفعُ العِلْمُ صاحبه). ولكن هل يقتصرُ دَوْرُ المسند إليه على تمثيل الفاعل والمبتدأ؟

إن المُسند إليه يكونُ في المواضع الآتية من الجملة العربية:

- مبتدأ ومِثالُه: **العِلْم منتَشِرٌ.**
- فاعل ومثاله: **انتشر العِلْمُ.**
- اسم لحرفٍ ناسخ ومثاله: **إنّ العلمَ منتشِرٌ.**
- اسم لفعل ناسخ ومثاله: **أضحى العلمُ منتشراً.**
- نائب عن الفاعل ومثاله: **نُشِرَ العِلْمُ.**

أمّا المُسْنَد فيكونُ على ما يلي:

- فِعْلاً تامّاً ومثالُهُ: **نهضتِ الأمّةُ.**
- خبراً لمبتدأ ومثالُهُ: **الأُمّةُ ناهضةٌ.**
- خبراً لحرفٍ ناسخ ومثالُهُ: **إنَّ أُمتنا ناهضةٌ.**
- خبراً لفعلٍ ناسخ ومثالُهُ: **أضحت الأمّة ناهضةً.**
- اسم فِعْلٍ ومثالُهُ: **هاتِ[1] يَدَكَ للنّهوض.**
- مَصْدراً نائباً عن فِعْله ومثالُهُ: **نُهوضاً إلى المجد.**

وقد استعرضنا مِنْ أوضاع المُسند إليه والمُسْند ما هو الأدْرَج والأشهر.

ج ـ أحوال المُسْنَد إليه:

١ ـ **تعريفُه وتنكيره:** يغلب أن يكون المسند إليه معرفةً كاسم العلم،

---

(١) هاتِ: اسم فعل أمر بمعنى أعطِ، وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنت. وهذا الفاعل المستتر هو المسند إليه بالعرف البلاغي.

والضمير، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والمعرّف بـ أل التعريف، والمعرف بالإضافة، والمعرّف بالنداء(*) أمّا إذا جيء بالمسند إليه نكرةً فيكون ذلك لإحدى الغايات البلاغيّة الآتية:

أ ـ التعبير عن الجهل بحقيقته على وجه الإطلاق: دخلَ إلى القاعة **طالبٌ**.

ب ـ التعبير عن النّوع: لِكلِّ مشكلة **حَلٌّ**.

ج ـ التعبير عن القِلّة: لم يَبْقَ في الجيب **دِرْهَمٌ**.

د ـ التعبير عن الكثرة: كم تخرّج **طلاّبٌ**.

هـ ـ التعبير عن التعظيم: له عندي **مقام**.

و ـ التعبير عن التحقير: ليس بيننا أدنى **علاقة**.

ز ـ التعبير عن الإفراد: **سَيفٌ** أَهونُ من سَيفَيْن.

٢ ـ تقديمه وتأخيره: يتقدّم المُسند إليه على المُسند في الجملة الاسميّة بحكم موقعه كمبتدأ، ويتأخر المسند إليه عن المسند في الجملة الفعلية بحكم موقعه كفاعل أو نائب للفاعل.. ومع ذلك هنالك حالاتٌ يتقدم فيها المسند إليه لتحقيق غاية بلاغية في إغناء المعنى أو إظهاره بمظهرٍ مخصوص.. وهذه بعضُ حالات تقديم المسند إليه لغايات مذكورة فيما يلي:

أ ـ التلذّذ بذكره: **الله الله خيرُ معين**.

ب ـ التشويق إلى المتأخّر: **الذي أُحبُّه وطني**.

ج ـ تعجيلُ المَسرّة: **أخوك مَنْ نجح**.

د ـ تعجيلُ المساءة: **الغَرَقُ مصيرُك**.

هـ ـ تعميم الحكم: **كُلُّ كاذِبٍ لا يُحْترم**.

و ـ نقض التعميم: **كلُّ ذلك لم يكُنْ**.

(*) تراجع (المعارف) في كتب النحو للاغتناء بالشرح والأمثلة.

د ـ أحوال المُسْنَد:

١ ـ تعريفهُ وتنكيرهُ: يُعرّف المُسْند (عدا الفعل) لعددٍ من الفوائد أو الأغراض، نذكر بعضها فيما يلي:

أ ـ التعريف بالمقصود: ذاكَ المديرُ.

ب ـ لإفادة قَصْره على المُسْند إليه جريرٌ الشاعرُ.

والقصد أن جريراً هو الشاعر غير منافسيه.

ج ـ التّلقيب: خالدٌ سيفُ الله.

د ـ التحديد حذر الوهم: حِصانُك السّابق.

وينكّر المُسْند (عدا الفعل) لتحقيق هذه الأغراض:

أ ـ بيانُ مكانته: أنت رئيسٌ علينا.

ب ـ القصر على صفةٍ: إنّما أنتَ واقفٌ.

ج ـ التضخيم: مثلُكِ هُمامٌ يُعتدُّ بِهِ.

د ـ التحقير: لَيْسَ ثراؤكَ ثَراءً.

٢ ـ تقديمهُ وتأخيره: يقدّم المُسْند عادةً كُلّما وقع فِعْلاً، لا خبراً لمبتدأ، ولا خبراً لأحد النواسخ.. فنقول مثلاً: هَجَم القائدُ. كما يتقدم المُسند إذا كان من الألفاظ التي لها الصدارة كأسماء الاستفهام. فنقول مثلاً: كيف الخلاصُ؟ متى الوصول؟ أين المفرّ؟..

أمّا تقديم المُسْند لغاية بلاغية فمن أغراضِهِ:

أ ـ التخصيص بالمُسْند إليه: لله الأَمْر من قَبْلُ ومن بَعْدُ.

ب ـ إفادةُ الإخبار لا الوَصْف: إليه المرجِعُ، عنده الحلُّ.

ج ـ التّشويق للمتأخّر (المُسْند إليه): خيرُ الرجال أبوك.

د ـ التحذير والتنفير: الكذبُ المعيبُ، الرِّياءُ المَمْجُوجُ.

هـ ـ التعجُّب: لله دَرّكَ!، لله أنتَ!

و ـ المدح والذمّ بنعم وبئس: نِعْم الصديق أنت. بئس الصاحب الخوّان.

ز ـ تعجيل المسرّة: من نصيبك الجائزة، في خيرٍ أنت.

ح ـ قَصْرُ المسند إليه على المُسْند: للّه الحَمْدُ. للوطن الانتماء.

هـ ـ الإسناد المُطلق والإسنادُ المُقيّد:

نعني بالإسناد المطلق اقتصار الجملة الفعلية أو الاسميّة على رُكني الإسناد (الفعل والفاعل، المبتدأ والخبر) من دون زيادةٍ عليهما بشيءٍ؛ نقول مثلاً:

نجحَ المُجِدُّ: هنا جملة فعلية اقتصرت على المسند والمسند إليه.

المُجدّ ناجِحٌ: هنا جملة اسمية اقتصرت على المسند إليه والمُسند.

فهذا هو الإسناد المطلق.

أمّا الإسناد المقيّد فهو الذي يشتمل على زيادةٍ لحقت بالمُسْند أو بالمُسْند إليه، لغاية الإيضاح والتخصيص بشكلٍ لا يُسْتغنى عنه. لاحظ ذلك:

قامَ أَبوكَ مُرَحّباً: خُصّصَ المسند الفعلي بالحال.

السيف المَسْلولُ مخيفٌ: خُصّص المُسند إليه بالوصف.

في المثالين السابقين لا يُستغنى عن التقيّد بالحال ثُمّ بالوصف وإلاّ تغيّر المقصود بالجملتين أو نقص مَدْلوله فيما إذا قلنا:

قامَ أَبوكَ . .

السيف مخيفٌ . .

ونلاحظ أن التقييد يلحق بالمسند إليه حيناً، وبالمسند حيناً آخر ولا مانع من أن يلحق بكليهما لخدمة غرض المتكلم من الكلام.

وهذه أمثلة على تقييد المُسند والمسند إليه في الجملة الواحدة:

ـ قامَ الرّجلُ الكريمُ مُرَحّباً.

ـ العَلَمُ المَرْفوع رَمْزٌ واضحٌ لعزّة الوطن.

ـ السّيف المسلول تهديدٌ مخيف.

ـ أضمرَ الرّجلُ الطيّبُ خيراً فلَقِي خيراً.

و ـ أشكال التقييد:

لتقييد المُسند والمسند إليه أشكال عديدة يَصْعبُ حَصْرُها، ولكننا سنعمد إلى تعداد بعضها بإيجاز بالغ مع اختيار المهمّ منها، وأهمّ ما يُقيد المُسْند الفعلي تعدّيه إلى مفعولٍ به أو أكثر، علاوةً على أنواع المفعول الأُخرى من مفعولٍ مطلق، ومفعول فيه، ومفعول لأجله، ومفعول معه إلخ... وسنكتفي بالمفعول به من بين المفاعيل الأخرى، وإذا علمنا أن معظم الأفعال أفعال متعدّية، أدركنا أن المفعول به جزءٌ من الإسناد الفعلي والاشتقاقيّ (عمل المشتقّ عمل فعله)، ولهذا سنخصّه بالبحثِ تحت عنوان مُسْتقل، ونبحث في أحواله من ذِكْرٍ وحذفٍ عند تناولنا (الذكر والحذف) في درسٍ لاحق.

ومِنْ أشكال التقييد التي تلحق المسند والمسند إليه هذه الأشكال:

١ ـ التقييد بالنعت أو الوصف: عنترة فارسٌ مشهورٌ. (تقييد المسند).

٢ ـ التقييد بالتوكيد: المُجِدُّ المجدُّ هو الناجحُ. (تقييد المُسند إليه).

٣ ـ التقييد بالعطف: صديقاي أحْمَدُ وعادلٌ. (تقييد المُسند).

٤ ـ التقييد بالبدليّة: أَعْجبني عُمَرُ عَدْلُه. (تقييد المسند إليه).

٥ ـ التقييد بناسخٍ حرفيّ: كأنّ العَدْلَ سيفٌ. (تقييد المسند إليه).

٦ ـ التقييد بناسخٍ فعليّ: كانَ الأَمْنُ سائداً. (تقييد المسند إليه).

٧ ـ التقييد بِشَرطٍ: لو زُرْتَني أكرمْتك. (تقييد المُسند).

٨ ـ التقييد بضمير الفصل: إنّ الصادق هو الناجي. (تقييد المسند إليه).

٩ ـ التقييد بالقَسَم: والله لأنجحَنّ. (تقييد المُسند).

١٠ ـ التقييد بالنفي: لن ينجحَ كَسولٌ. (تقييد المُسْند).

ز ـ فوائد التقييد:

لا يَلْجأ المتكلّم أو صاحبُ الكلام البليغ إلى تقييد المُسْند أو المسند إليه إلا لغايةٍ يحققها أو لحصولِ فائدةٍ أكبر من فائدة الكلام المطلق الإسناد، وقد دلّتْنا الأمثلةُ السابقة على هذه الحقيقة.

والحقُ أنّ فوائدَ التقييد لا يمكن حصرها في حالاتٍ ولا إحصاؤها، ويمكننا اختصارها في ثلاث فوائد تتفرع عنها الفوائد الباقية. وهذه الفوائد هي الآتية:

١ ـ التعيين: الجَوادُ الأدهم هو السّابق.

٢ ـ إثبات الحقيقة: المَطَرُ في أوانِهِ حياةٌ للأرض.

٣ ـ إلغاء الخطأ أو الوَهْم: لا دُخانَ بِلا نارٍ.

ومنها: لا جريمة بلا عقابٍ. لا غُولَ ولا عنقاء على الأرض. لا إنسانَ بلا قلبٍ. إلخ...

٤ ـ التّوجيه: غَنِمَ كثيراً مَنْ ضحّى قليلاً.

ولعلك لاحظت أن التقييد في الجمل السابقة كان على التوالي والترتيب: بالوصف أو النعت، بالحال، بالنفي مِراراً، بالمفعول المطلق..

ح ـ نماذج من الإسناد المُطلق والمقيّد:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٣].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النور: ٣٥].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [سورة الحشر: ٢٠].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٧].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة التوبة: ١١٨].

٦ ـ وقال رسولُ الله (ﷺ): «لا يُؤمن أحَدُكُم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يحبُّ لِنَفْسه».

٧ ـ قال المتنبّي في عتابِ سيف الدولة الحَمْداني:

يا أعْدلَ النـاسِ إلاّ في مُعـامـلـتـي ... فِيكَ الخصامُ وأنت الخَصْمُ والحَكَمُ

٨ ـ وقال أحمد شوقي:

ومـا نـيـلُ الـمـطـالـبِ بـالـتـمـنّـي ... ولـكـنْ تُـؤخَـذُ الـدُّنـيـا غِـلابـا

٩ ـ وقال ابن زيدون الأندلسي[1] مُخاطِباً محبوبَتَهُ ولاّدة:

إنّـي ذكـرتُـكِ بـالـزّهـراءِ مُـشـتـاقـا ... والأُفـقُ طَـلْـقٌ ووَجْـهُ الأرضِ قـد راقـا

١٠ ـوقال محمود سامي البارودي[2] في وَصْفِ نَفْسِه:

قَـلْـبي سـلـيمٌ، ونـفْـسي حُـرّةٌ، ويَـدي ... مَـأمـونـةٌ، ولِـسـانـي غَـيْـرُ خـتّـالِ[3]

---

(١) ابن زيدون: أحمد بن عبد الله بن زيدون، أبو الوليد، أصله من أسرة عربية عريقة من بني مخزوم. من أشهر شعراء الأندلس. أحب ولاّدة بنت المستكفي وتغزل بها، ودخل السجن بوشاية منافسه ابن عبدوس ولكنه فرّ منه واختفى إلى أن رضي عنه ابن جهور أمير غرناطة. مات في إشبيلية عام ٤٦٣هـ.

(٢) محمود سامي البارودي: وُلد في القاهرة عام ١٨٤٠. حفظ الشعر صغيراً وتخرّج من المدرسة الحربية ضابطاً. أيّد الثورة العرابية في مصر فَقُبِضَ عليه ونُفي إلى جزيرة سرنديب، وبلغه نبأ وفاة زوجته، فازداد حزناً في عزلته، وأُعيد إلى مصر، وكُفّ بصره في آخر عمره، وتوفي عام ١٩٠٤.
يُعَدّ البارودي من باعثي النهضة الشعرية الحديثة.

(٣) ختال: خدّاع.

٢ ـ الذِّكْرُ والحَذْفُ

أ ـ تعريف:

يُقْصَد بالذِّكر أن يُذكر ركنا الجملة في علم المعاني وهما المسند إليه والمسند، ويقصد بالحذف حذف أحدهما لغاية بلاغيّة.

إنَّ الأصل في التركيب اللغوي أن يذكر المُسْند والمسند إليه معاً، ولكننا نرى أنَّ بعض البلغاء قد استغنوا عن ذِكْر أحدهما فحُذف إمّا بوجود قرينةٍ تدلُّ عليه أو بغير قرينةٍ، وليست الغايةُ من الذكر أو الحذف إلاّ غاية جماليّة سنحاولُ رَصْدَها تباعاً بأحوالِ الذكر في المُسْنَد إليه والمُسْند، وأحوال الحَذْف في المُسند إليه والمُسْند، ومن ثم نعرّج على ذكر المفعول به وحذفه لأن المفعول به جُزْءٌ لا يتجزأ من المُسْند حين يكونُ فِعْلاً أو مُشْتقاً يعملُ عَمَلَ فِعْله..

ب ـ أحوالُ ذِكر المسند إليه:

عرفنا أن المُسند إليه هو المبتدأ أو اسم إنّ أو اسم كان في الجملة الاسميّة أو منسوختها بحرفٍ مشبه بالفعل أو بفعلٍ ناسخٍ (ناقص). وهو أيضاً الفاعلُ أو نائبه في الجملة الفعلية. والسّؤالُ الآن: إذا وُجِد المسند إليه مذكوراً، فما الغاياتُ التي يُذكر من أجْلِها؟

إنّها غايات كثيرة يهدف إليها المتكلّم أو الكاتب البليغ، ونستعرضُ بعضها من قبيل التمثيل ولَيْس من قبيل الاستقصاء ونحاول اختيار أهمها فيما يلي:

١ ـ زيادة التقرير والإيضاح: هذا أخوك، هذا عونُك ونصيرُك.

٢ ـ التلذّذ بالذِّكر:

أمي نشيدةُ خاطري أمي النداءُ المُستعاذ

٣ ـ التعريض بغباء السامع: يدكَ في يدي، وأنت أمامي..

٤ ـ تثبيت الشهادة أو الإقرار عن الذات: هُوَ من فعل ذلك أمامي.

وأنا شاهدتُه بأمْ عيني.

٥ ـ التعظيم: حَضَر سُمُوُهُ.

٦ ـ التحقير: سِيق المُجْرِمُ مُقيّداً بالأغلال.

ج ـ أحْوال حَذْفِ المُسْند إليه:

قد يُحذف المسند إليه إذا دلّت عليه قرينةٌ مذكورة أو مفهومة ويكون ذلك ضمن غاياتٍ عديدة سنذكر بعضها ونتركُ معظمها لفطنة من يستطيع تقديرها بفطنته:

١ ـ الحَذَر من فوات الفرصة: كقولك لمن تصطادُ معه: (عصفورٌ). مكان: (هذا عصفور).

٢ ـ التستر على الفاعل بعدم ذكر اسمه: كقولك: (لقد فعل ما فعل) مكان: (لقد فعل زيدٌ ذلك).

٣ ـ التعريض بالهجاء: كقولك دون إشارة: (خسيسٌ لئيم) مكان قولك للمهجوّ: (أنت خسيسٌ لئيم).

٤ ـ تقرير ما حصل: كقولك في لقاء صديق: (صِدْفةٌ من غير ميعاد) مكان قولك: (لقاؤنا صِدْفةٌ من غير ميعاد).

٥ ـ المُساجعة بين فاصلتين كقولك: (من حَسُن فِعْلُه، عُرِفَ أَصْلُهُ) مكان قولك (من حَسُنَ فِعْلُهُ، عَرَفَ الناسُ أَصْلَهُ).

٦ ـ الاستغناء بما كانَ ذُكر (العهديّة) كقولك عن طائرةٍ وَصَلَتْ إلى المطار: (حَطّتْ).. مكان قولِكَ: (حطت الطائرةُ على أرضِ المَطار).

٧ ـ الاستهوال لما وقع كقولك عن مصارع هائل: (هجم.. هجم) مكان قولك (هجم المصارِعُ)..

٨ ـ غايات أُخرى..

د ـ أَحْوال ذِكْر المُسْنَد (الفِعل.. الخبر):

يَحْسُن ذِكْرُ المُسْنَد لغاياتٍ منها:

١ ـ تأكيدُ أصالَتِهِ: الحقُّ يعلو ولا يُعْلىٰ عليه.

العلم خيرٌ من المال.

٢ ـ استبعادُ القرينة: دَأْبُه التقتير، ومالُه كثيرٌ.

فلا يتصوّر المعنى بقولنا: وماله تقتير.

٣ ـ دقّةُ الوَصْف: يداه قويّتان وبأسُه شديد.

٤ ـ إقناع المتردِّد أو المتسائل: من يحمي الوطن؟ يحميه أبطالُه.

٥ ـ تحقيق اقتران الفِعل بالزّمن: طَرَقَ الضيفُ البابَ ففتح صاحبُ البيت.

٦ ـ إفادة الوصفيّة على وَجْه الثبوت: يلومُ غيرَهُ وهو الملوم.

٧ ـ غايات أُخرى..

هـ ـ أحوالُ حَذْفِ المُسْنَد:

إن وجود المُسْند إليه قد يُشير إلى المُسْند ممّا يشجّع على حذف المسند والاستغناء عن ذكره لتحقيق غايات بلاغيةٍ تقوي المعنى وتزيده جمالاً: فلو تساءلتَ مثلاً: من الرازق؟ فإنّ خير جوابٍ يأتيك كلمةٌ واحدة: (اللّهُ) بحذف المسند، فذلك يغني عن قولك الله هو الرازق.. وفيما يلي نذكرُ حالات حذف المُسْند وغاياته دون استقصاءٍ لها:

١ ـ الاستغناء بوجود القرينة:

من نجحَ؟ أخي... (بحذف المسند: نجح).

٢ ـ الاحتراز من سوءِ الظّنّ:

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [سورة التوبة: ٣] (بحذف المسند: بريءٌ).

٣ ـ ضيق المقام عن التفصيل:

خَرَجْتُ فإذا النار . . . (بحذف المُسْند: مشتعلةٌ).

٤ ـ مراعاة القاعدة النحوية في حذف ما دلّ على كونٍ عام:

لولا المَطَرُ لانعدمتِ الحياة. (بحذف المسند: كائنٌ أو موجودٌ).

٥ ـ مراعاة السّماع أو المأثور من المحذوف:

رُبَّ أخٍ لم تَلِدْه أُمُّكَ. (محذوف المسند: كائنٌ أو مخلص).

٦ ـ أحوالٌ وغايات أُخرى . .

و ـ حَذْفُ المفعول بِهِ:

يُعَدُّ الفِعْل المتعدّي في علم النحو عامِلاً في المفعول به والعلاقة بينهما علاقةٌ وشيجةٌ وغير منفصلة ما دامت علاقة عاملٍ بمعموله، ومعمولٍ بعاملهِ. أمّا في بلاغة علم المعاني فالفعل التّام في جميع أزمنته وأحواله هو مُسْندٌ وتاليه فاعله مُسْندٌ إليه أمّا المفعول به فهو قَيْد من قيود المُسْند أو الفِعل. إذ هناك فارق كبير بين فعلٍ لازم مكتفٍ بفاعله، وفعلٍ متعدٍّ. ولهذا السبب اهتمّت كتبُ البلاغة بحالتي المفعول به من ذِكْرٍ وحَذْفٍ علماً بأن المفعول به قد يتعدّد بعد فعلٍ متعدٍّ إلى مفعولين أو إلى ثلاثةِ مفاعيل، وقد يتقدم على فِعْلِهِ أو يتأخَّرُ عنه، كما في الأمثلة الآتية:

١ ـ أَلْقى المُعلِّمُ دَرْساً. (مفعول به واحد).

٢ ـ مَنَحَ القائدُ الجنديَّ وِساماً. (مفعولين).

٣ ـ أَعْلَمَ الطبيبُ مريضَهُ الشَراهةَ مُؤذيةً. (ثلاثة مفاعيل).

٤ ـ إيّاكَ أقْصُدُ بالنّصيحةِ. (مفعول به تقدّم على فِعله).

على أنّ حَذْفَ المفعول به مُتعدّداً أو غير متعدد، قد يكونُ في حالاتٍ تُحقِّقُ غاياتٍ في اختصارِ المعنى وتقوية تأثيره وهذي هي أهمّ حالات الحذف محققةً هذه الغايات:

١ ـ إثبات الفِعل للفاعلِ وتقوية تأثيره: ويكون ذلك من خلال مقدّمةٍ أو قرينةٍ تشعرنا بالمحذوف بلا جهد يذكر ومثالها ما تقدم في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ وتلاه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٥]. فهنا حذف المفعولين بعد الفعلين المتعدّيين (يقبِضُ، يَبْسُط) ولم يَبْدُ صعباً أن نقدّرَ المحذوفَ بأنه (الرزق). ومع ذلك، إنَّ حذف المفعول به يلفتُ القارئ إلى أنّ الفعل الحقيقي من قبضٍ وبَسْط هو مُثبت لله تعالى بحيثُ تتّجه إليه الأذهان بلا جِدال ولا مكابرة.

٢ ـ الإيضاح بعد الإبهام: ويكون ذلك بعد إطلاقِ الفِعل المتعدي على إثرِ أداةٍ شرطيّة ليتّضح بعدئذٍ أن المفعول المحذوف هو مفعولٌ لجوابِ الشرط المتأخّر، كما هو مفعول به محذوف لفعل الشرط المتقدّم. قال تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ [سورة يس: ٤٣]. فهنا تقدير المفعول المحذوف مع الجملة: وإن نشأ إغراقهم نغرقْهم.

٣ ـ لفت الانتباه إلى المحذوف: ويكونُ ذلك لموضع أهميته من الجملة بحيث يكون لا بديلَ عنه. قال رسول الله (ﷺ): «كُلُّ أمّتي يدخلون الجنّة إلاّ من أبى» فالواضح تماماً أن المفعول به المحذوف هو: (دخول الجنة) وهذا ما يؤكد أهمّيته ويلفت الانتباه إليه، ليتساءل من يتساءل: وهل يأبى أحدهم دخول الجنة؟ وما يلبث أن يُدرك أن إباء دخول الجنة يكون بالعصيان وارتكاب الذنوب.

٤ ـ إفادة التعميم: كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [سورة الليل: ٥ ـ ٧].

فهنا لم تُحدد الآيةُ الكريمة مفعول العطاء عطاء مَنْ؟ وعطاء ماذا؟ وكانت

الغاية الإطلاق والتعميم وهو عَدَمُ المَنْع والبخل بأي شيءٍ ولأيٍّ كان.

٥ ـ كراهة الذكر لقباحتِهِ والنفور منه: ومثال ذلك أن تقول لمن أظهر عَوْرَته «اسْتُرْ.. استُرْ» أنت تقصدُ: استُرْ عَوْرَتك، بحذف المفعول به، للغاية المذكورة.

٦ ـ إثارة الفرح والإدهاش بتكرار الفِعل من دون المفعول، كأن تقول لمن تُعطيه: (خُذْ، خُذْ..) ولا تتبع ذلك بذكر ما تعطيه كالمال أو الحلوى أو ما هو محبّب إليه.

٧ ـ تنزيه المُخاطَب عن المفعوليّة رِفعاً لشأنه وتقديراً: قال الله تعالى في خطاب نبيّه الكريم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [سورة الضحى: ٣] فلم يقل قلاك بمعنى: أبغضك لئلا يقع فعل البغض على المخاطب المحبوب صلى الله عليه وسلم تنزيهاً له.

٨ ـ إمكان الإنكار والتنصّل: فقد يستخدم المتكلّم ذكاءَهُ في عدمِ تحديد المفعول لإمكان الإنكار والتنصّل من الفعل بجهل مفعوله. قال الشاعر:

تقول عيونُ الحِسانِ: قتلنا ... ولا تدّعيني بِهِنّ قتيلا
يُشيّعُني قاتلي كُلّ حينٍ ... وما قُلْتُ قُلْتُ وما قيلَ قِيلا

فالملاحظ أن مفعول (قتلنا) لم يُذْكر بادّعاء الشاعر لعلّةٍ قد تكون الحياءَ من إيقاع الفتنة المؤدّية إلى القتل، وأنّ مفعول (القول) لم يَرِدْ في البيت الثاني، لغاية التستّر من قِبلِ الشاعر على نفسِهِ وعلى من يحبّ.

٩ ـ إثارة الشُبهة حول المقصود بها: إنّ عدم ذِكْر المفعول به في حال إلحاح الموقف على معرفته قد يؤدي إلى إثارة الشبهة حوله وإدانته وكأن الضدّ ينقلب معكوساً إلى ضِدّه: ومثالُه أن تُردّد مشيراً لمن حولك: «انظروا.. انظروا.. قَتَلَ وهَرَبَ». ففي حذف المفعول به هنا تحريض على معرفته وإثارة للشبهة حول المرتكب الفارّ.

١٠ ـ التحسين البديعي كمراعاة الفاصلة المسجوعة أو التجنيس وغيره:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ (٢)..﴾ [سورة الكوثر: ١ ـ ٢]. هُنا لم يذكر المفعول به بَعْد (انْحَرْ) فجاءت الآيات رائعة الموسيقى، بما تضمّنت من سَجْعٍ بين الفواصِل (كَوْثَرْ، فانْحَرْ، أَبْتَرْ).

وجاء في موعظة أحد الوعّاظ: «طُوبىٰ لِمَنْ أَعْطى وما مَنَعَ، وبؤسىٰ لمن جَمَعَ وما نَفَعَ».

فهنا عدّةُ مواضع حذف فيها المفعولُ به، لتحقيق غاية بديعيّة لفظيّة ومعنوية كالتوازن، والسّجع، والجناس، والمقابلة.

ز ـ نماذج من الذّكر والحذف:

ـ ذكرُ المُسْند والمسند إليه والمفعول به.

١ ـ قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [سورة المجادلة: ١١].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [سورة النساء: ١٠٤].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [سورة الروم: ٤٨].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [سورة آل عمران: ٣].

٦ ـ وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ (٢) وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٤٤].

٧ ـ قال رسول الله (ﷺ): «استَفْتِ (٣) قلبَكَ، البِرُّ ما اطمأنّتْ إليهِ النّفسُ، واطمأنّ

---

(١) الكَوْثر: نهر في الجنة بالغ الريّ والعذوبة.

(٢) البِرّ: الخير والإحسان.

(٣) استفتِ: استشِرْ.

إليهِ القلبُ..».

٨ ـ قال الشاعر:

نقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شِئتَ من الهوى ... ما الحبُّ إلاّ للحبيبِ الأوّلِ

٩ ـ قال أبو العلاء المعرّي:

مَسَحْتُ يدي من كلّ هذا فليتني ... أبِهْتُ[1] لشأني قبلَ شَيْبِ المسائحِ[2]

١٠ ـ وقال زُهيرُ بن أبي سُلْمى:

ومن هاب أسْبابَ[3] المنايا يَنَلْنَهُ ... وإنْ يَرْقَ[4] أسْبابَ السَّماء بِسُلَّمِ

ـ حذف المسند والمُسند إليه والمفعول به:

١١ ـ قال تعالى: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة سبأ: ٣١].

١٢ ـ وقال تعالى عن الكافرين: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨].

١٣ ـ وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾[5] [سورة القيامة: ٢٦].

١٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [سورة لقمان: ٢٥].

١٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [سورة الأنعام: ٣٥].

١٦ ـ وقال تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ[6] لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [سورة يوسف: ٨٣].

---

(١) أبهتُ: فطنتُ وانتبهت.

(٢) المسائح: أطراف الرأس.

(٣) الأسباب: الحبال.

(٤) يرقى: يصعد.

(٥) التراقي: أعالي عظام الصدر، والتي بلغت هي الروح.

(٦) سوّلت: زيّنت لكم الغواية وأضلّت.

١٧ ـ وقال أبو فراس الحمداني:

غـلامٌ، فـوقَ مـا أصِـفُ كـأنَّ قـوامَـهُ ألِـفُ[١]

١٨ ـ وقال أبو الطيب المتنبي:

لولا المَشَقَّةُ سادَ الناسُ كلُّهُمُ الجودُ يُفقِرُ والإقدام قتالُ

١٩ ـ وقال أحمد شوقي في وصف قاعة الأسود في قصر الحمراء بغرناطة:

مَرْمَرٌ قامت الأُسودُ عليهِ كَلَّةَ[٢] الظُّفرِ، ليّناتِ المِجَسّ[٣]

٢٠ ـ وقال محمود سامي البارودي في وصف الحمائم الوديعة:

نواعِمُ لا يعرِفْنَ بُؤسَ معيشةٍ ولا دائراتِ[٤] الدهرِ كيفَ تَدُورُ

---

(١) ألف: حرف الألف وشكله مستقيم.
(٢) كلَّة: كليلة ضعيفة.
(٣) المجسّ: المَلْمَس.
(٤) دائرات الدهر: نوائبه وأحداثه.

٣ ـ الخبر والإنشاء

أ ـ مقدّمة:

تقدّمَ لدَينا أنَّ أساسَ الجملة في علم المعاني هو الإسْناد، وأنَّ الإسْنادَ فيه ركنان هُما: المُسند إليه والمُسْنَد، إذْ يُشكّلانِ جملةً اسمية: (أَنْت عاقلٌ)، أو يُشكّلانِ جملةً فِعليّةً: (زانَ العَقْلُ صَاحِبَهُ). فالمبتدأ والخبر، والفعل والفاعل هُما ركنا الإسناد في الجملتين الاسمية والفعليّة. فإذا اشتملت الجملة على أكثر منهما فهذا من قبيل القَيْد، وللقيد فوائد لا تنكر في توضيح المعنى وتخصيصه، وقد فصّلنا في الكلام عن الإسناد والمطلق والمقيّد أثناء حديثنا عن الإسْناد. . وأعطينا للمفعول به مكانةً خاصة أكبر من القيد إذ اعتبرناهُ جُزءاً من المُسْند في حال كون المُسْند فِعلاً أو مشتقّاً يقومُ مقام الفعل وشَملناه بالحديث عن الذِّكْر والحَذْف.

هذه الجملة المؤلفة من مُسْند إليه ومُسْند وقيدٍ يلحق بهما أحياناً، تَنْقسم إلى قِسْمَيْن هما: الخبر والإنْشاء.

أمّا الخبر، فهو ما يصحُّ أن نقولَ لصاحبه إنّهُ صادق فيما ادّعاه أو كاذب، وذلك على ضوء مطابقته للواقع: (الفُصول أربعةٌ).

وأما الإنْشاءُ، فهو ما لا يصحّ أن يقال لصاحبه إنهُ صادقٌ فيه أو كاذب، لأنه بطبيعته لا يَسْتدعي مثل هذا التصديق أو التكذيب: (ما أجملُ الفُصول؟) وعلى هذا الأساس تكونُ الجملةُ خبريةً أو إنشائيّةً.

ب ـ الخَبَر:

أولاً ـ أغراضه:

يُطلق الخبر لمن يَسْمعه أو يتلقّاه لإفادته علماً جديداً عن طريق جملةٍ فعليّة: (حطّت الطائرةُ، وصَلَ المُسافرون، استقبلهم أهلوهم..).

أو لإفادته عِلْماً جديداً عن طريق جُملةٍ اسميّة:

(قاعةُ المَطارِ واسعةٌ، والناسُ كثيرون، والوُجوه فرِحَةٌ).

وتخُتصُّ الجملة الفعليّة عادةً بإفادة الحدوث في زمنٍ معيّن كالماضي، والحاضر، والمستقبل:

(وصلَ المُسافر، يُصافِحُ مستقبليه، سينتقلُ إلى بيته..).

بينما تَخْتصُّ الجملة الاسمية بثبوت حُكْم المسْند للمُسْند إليه: (السَّفر مُتعةٌ، السّفر تجدُّدٌ، التجدُّد حياةٌ..).

وقد لاحظ عُلماءُ البلاغة أن الخَبَرَ يُلقى لغرضَيْن هما:

١ـ فائدة الخبر.

٢ـ لازم الفائدة.

فائدة الخبر؛ تكونُ بإطلاعِ السّامع على الحكم أو مضمون الإسناد دون أن يكون على علمٍ مُسْبق بهذا المضمون. كقولك لمن هو تَحْتَ سَقفٍ: نَزَلَ المَطَرُ.

لازم الفائدة؛ يَكون بإطلاع من تخاطبه على حُكمٍ عرفَه سابقاً، كقولِك لمن تستقبله: عُدْتَ بالسّلامة. على أن الخبر لا يقتصر على فائدته أو لازِم فائدته، فقد يُلقيه صاحبه لأغراضٍ عديدةٍ يدركها المتأمّلُ وتُساعده في تنويع الأغْراض قيود الإسناد الكثيرة من نعتٍ، وعطفٍ وتوكيد، ونفيٍ، وشرطٍ إلخ.. وليس لنا إلاّ الاطلاع على بعض هذه الأغراض التي أجْملناها إجْمالاً دونَ استقصاء:

١ـ المَدْح: كقول الشاعر لمن يخاطبه:

أنــتَ بــدرٌ فــي رفــعــةٍ وَضــيــاءٍ تــجــتــلــيــك الــعــيــونُ شــرقــاً وغَــرْبــا

٢ـ الهجاء والشتيمة: كقول جرير في مهجوّه الفرزدق:

لـقـد ولـدتْ أُمُّ الـفَـرزْدقِ فـاجِـراً وجـاءَتْ بِـوَزْوازٍ قـصـيـرِ الـقـوائِـمِ

٣ـ الاسْتِرحام: كقولك مُسْتجيراً: اللهم، أنت عَوْني.

٤ ـ إظهار القوّة والبأس كَقولك لعدوّك: أَنْتَ في جَيْبي.

٥ ـ إظهار الضَّعْف: كقول القائل: كانت لي قامةٌ مَنصوبة وطلعة مرهوبة.

٦ ـ التحسُّر: كقولك: لا حظَّ لي فأندُبَه.

٧ ـ التهديد: كقولك لعدوّك: غداً تعرفُ من أنا.

٨ ـ السخرية: كقولك للضَّعيف: أَنْتَ في الهزيمة كالغزال.

٩ ـ الحثّ والتشجيع: كقولك لمن يتردد: أنت لَها.. أنت لها.

١٠ ـ التحذير: كقولك لمن يعبث بالسلاح: المسدّسُ يَحشوه الشيطان.

١١ ـ أغراض أُخرىَ...

ثانياً ـ أَضْرُبُ الخبر:

يلقي المتكّلم الخبر إلى السامع فيكون خالي البال مستعدّاً للتصديق بما يَسمع، أو يكونُ متردداً في التصديق أو يكونُ مُنكِراً، ولكلِّ حالةٍ من حالات المتلقّي ضربٌ من الخبر يلائمُ قربه من التصديق أوْ بعده عنه. وبناءً عليه كان الخبر على ثلاثة أَضْرُبٍ:

١ ـ الخبر الابتدائيّ: وهو الخبر الذي يلقى لخالي البال الذي يُصدّقُ ما يَسْمع لأوّل وهلة ويكون خالياً من المؤكدات: نحو قولك: نلْتُ جائزةً.

٢ ـ الخبر الطلبي: وهو الكلام الخبريّ الذي يلقى على من يشكُّ فيه بعض الشكّ فيتطلّب بعض التأكيد بالقَسَمِ أو سواه، وذلك نحو قولك: قد نلتُ جائزةً.

٣ ـ الخبر الإنْكاريّ: وهو الكلام الخبري الذي يلقى على من ينكرهُ فلا بدّ مِن اقترانِهِ بمؤكّدين أو أكْثَرَ. كما في قولك لمن يستبعد تفوقك ونيلك للجائزة:

واللهِ إني قد نِلْتُ جائزةً.

فها هُنا ثلاثةُ مؤكّدات تتمثّلُ بالقَسَم، وإنَّ، وقد.

والسُّؤال الآن: ما هي مؤكّدات الخبر التي نميّزُ بها أَضرُبَه؛ من ابتدائي بخلوّهِ منها، وطلبيٍّ بوجود واحدةٍ منها، وإنكاري بوجود أكثر من واحدةٍ؟!

ثالثاً ـ مُؤكّداتُ الخبر:

هُنالك عديدٌ من الأدوات والوسائل التي نُؤكّد بها الخبر. وهذه هي أَهَمُّ أدواتِ التوكيد نذكُرها مع الأمثلة:

١ ـ إنَّ: إنّ الله رؤوفٌ بعباده.

٢ ـ أنَّ: أشهد أنّ الله رؤوف بعباده.

٣ ـ القَسَم: واللهِ مادامتِ الدُّنيا لأحد.

٤ ـ لام الابتداء: لأبوكَ أَوْلى بالمبرّة مِنْ أخيك.

٥ ـ نونُ التوكيد ثقيلةً أو خفيفةً: واللهِ لأُقْدِمَنّ ولأفْرَحَنْ بانتصاري.

٦ ـ أحرف التنبيه (ألا، أما، ها):

ألا لَنْ يخيبَ لي رجاءٌ.

أما وَقَدْ جئتَ لأُكْرِمنّكَ.

ها أنْتَ عزيزٌ مُكَرَّمٌ.

٧ـ الأَحْرف الزائدة: (أنْ، إنْ، ما، الباء، مِنْ).

وتكونُ هذه الأحرفُ زائدةً في بعض الأحوال وليس دائماً. وإليكَ أمثلتَها وهي زائدةٌ في خدمة التوكيد البلاغيّ:

أَنْ: سُرِرْتُ لمّا أَنْ زُرْتَني.

إِنْ: ما إنْ تردّدْتُ في أمْرٍ.

ما: إذا ما صَبَرْتَ ظَفِرْتَ.

لا : قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [سورة الواقعة: ٧٥]. أي أُقسِم حَقاً.

الباء: لَسْتُ بِناسٍ مَعْروفَكَ.

مِن: ما في الدارِ مِنْ أَحَدٍ.

٨ ـ أمّا الشَرطيّة: أمّا أَنْتَ فعلى حقٍّ.

٩ ـ قد (التي مع الماضي وتسمّى حرف تحقيق) أو التي (في الاستعمال القرآني لتوكيد المضارع). قَد عَلِمْتَ ما تنوي.

قال تعالى: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ﴾ [سورة الاحزاب: ١٨]. والمعوِّقون: هم المثبّطون لِهِمم إخوانهم في القتال.

١٠ ـسين الاسْتقبال في حالَي الوعد والوعيد.

قال تعالى في الوعد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة التوبة: ٧١].

وقال تعالى في الوعيد: ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ [سورة المسد: ٣].

وفَوْقَ هذه الأدواتِ المؤكِّدة هناك وسائل لتوكيد المعنى، منها التوكيد اللفظي بالتكرار كقولِك:

أَفْلح أَفْلَحَ المُتصدِّقون.

ج ـ الإنشاء:

أوّلاً ـ نَوْعاهُ: طلبيّ وغير طلبي:

لو سألَك أحُدهُم: ما اسمُك؟ أو: أين تقيمُ؟.. عددْنا سؤاله واستفهامه من ضمن الإنشاء لأنّه استفهام يتطلّب الجواب وليس خبراً يَحْتمل التصديق والتكذيب. مع ذلك نجِدُ من الإنشاء نوعاً لا يتطلّب الإجابة، ولا يأمرك بشيء ولا ينهاك عن شيءٍ.. نقولُ عنه إنه إنشاء غيرُ طلبيّ.

فالكلام كما تعلّمْنا خبرٌ وإنشاء، والإنشاء طلبيّ وغير طلبي.

والإنشاء الطلبي: ما اشتمل على طلبٍ بحدوث ما لم يحدث أو بالردّ على نداء، أو بتمنّي ما تشتهيه النفس..

والإنشاء غير الطلبي: كلامٌ لا يحتمل التصديق والتكذيب ولا يطلبُ شيئاً إلى السّامع ويأتي من قبيل التعجُّب أو التعليق على أمرٍ يحدثُ استحساناً أو استهجاناً، (مدحاً وذمّاً)، أو القَسَم إلخ..

ومن أمثلة الإنشاء الطلبي هذه الجمل والعبارات:

- كُنْ مع الحقّ، ولا تجاملْ فيه أحداً.
- لَيْت الشباب يدوم، هَلْ يَدوم؟
- يا أيّها المتمنّي، لا تَرْجُ المُحال.

ومن أمثلة الإنشاء غير الطلبيّ هذه الجمل والعبارات:

- لله دَرُّك!
- ما أشدّ ذكاءَك!
- وحقِّك، نِعم الجوابُ هذا..

ثانياً ـ فروع الإنشاء الطلبي:

صحيح أنّ الطّلب طلب، ويدخل ضمن الإنشاء، إلاّ أن الإنشاء الطلبي لا يقتصر على الأمر والنهي وحدهما. فقد أحصى علماءُ البلاغةِ لَهُ خمسَة[١] فروع هي:

الأمر ـ النهي ـ الاستفهام ـ التمنّي ـ النداء. وسنتناول كُلاً منها تَحْت عنوانٍ مستقل.

أ ـ **الأمْر**: هو طلبُ الآمر مأموره أن يقوم بفعلٍ يريده على وجه الاستعلاء. وتتمّ صيغة الأمر بعددٍ من الأدوات المعهودة لهذا الاستعمال. وهذا تعدادُها مع الأمثلة:

---

(١) لهذه الفروع ملحقاتها، كالعرض والتحضيض والجمل الدعائية، وقد اكتفينا بما ذكرناه، وكل ما دلّ على طلبٍ فهو من الإنشاء الطلبي..

١ ـ فعل الأَمر: اتقوا ربَكُم.

٢ ـ لام الأمر مع المضارع: لتعينوا الضعيف.

٣ ـ اسم فِعْل الأمر: حَذارِ من النفاق.

٤ ـ المصدر النائب عن فِعله: قياماً على أرجلكم.

ولوحظ أنَّ صيغ الأمر السابقة لا تُوجّه على سبيل الأمر والاستعلاء دائماً فقد تخرج عن معانيها إلى معانٍ أُخرى، لا يصعب على السامع إدراكُها، ومن هذه المعاني التي يخرج إليها الأمر:

١ ـ الالتماس ويكون من مُساوٍ لمن يُساويه كقولك لأخيك: ادخلْ إلى البيتِ معي.

٢ ـ الدُعاء الموجّه من المخلوق إلى الخالق: انصُرنا يا رَبَّنا.

٣ ـ التمنّي بأمر المستبعدة طاعتُه: اطلعي يا نجومُ.

٤ ـ التهديد، ويُفْهم من سياق الكلام: اضربْني، يا نملةُ!.

٥ ـ التعجيز، ويفهم من سياق الكلام: فلتنطَحِ الصَّخْرَا.

ب ـ النّهي: هو طلب الناهي إلى مقصوده أن يكفَّ عن فعِلٍ من الأفعال على وَجْه الاستعلاء. وله صيغة واحدة تكون بإدخال (لا) الناهية على فعلٍ مضارع. ومثال النهي قولك للخادم: لا تحمل الحقيبة.

وقد لوحظ في النهي ما لوحظ في الأمر وهو خروجه عن معناه إلى معاني أُخرى تفهم من سياق الكلام وهذه بعض الأمثلة على خروج النهي عن معناه:

١ ـ الالتماس (بين مُتساويين): لا تخرُجْ وحدَك.

٢ ـ الدُعاء (الموجّه إلى الخالق المقتدر): لا تُيْئسنا من رحَمتك.

٣ ـ التمنّي (الموجّه إلى غير مطيع أو غير ممكن): يا شَمْسُ لا تَغْربي.

٤ ـ التهديد (الموجّه إلى الأدنى، ويُفهم من السّياق): لا تُطِعْني..

ج ـ **الاستفهام**: هو طلب المستفهِم أن يعلم شيئاً يهمّه العلمُ بِهِ، ولا يُشْرط فيه استعلاء السائل على المسؤول. وللاستفهام أدوات لكلٍّ منها اختصاصه في السؤال عن ناحية معيّنة. وهذه الأدوات حرفيّة واسميّة.

الأدوات الحرفيّة: وفيها حرفان: الهمزة وَهَلْ.

الهمزة: تصلح لطلب التصوّر بعد أم: أَجاء أخوك أم أبوك؟.

وتصلح لطلب التصديق والنفي بإحدى إجابتين (نعم، لا): أعندك كِتابٌ؟.

هل: تكون لطلب التصديق بـ(نَعَم) أو النفي بِـ(لا): هل تدخل؟.

الأدوات الاسمية: لكلٍّ أداة اختِصاصُها من حيث المعنى. وها هو تعدادها مع الأمثلة باختصار:

مَنْ: لتعيين المبهم من العقلاء: مَنْ بالباب؟.

ما: لتعيين المبهم من غير العقلاء: ما يُريد؟ ما يحمل؟.

متى: لتعيين الزمان: متى وَصَل؟.

أين: لتعيين المكان: أين ينزِل؟.

أيان: لتعيين الزمان المُسْتبعد: أيّان قيامُ الساعة؟.

أنّى: لتعيين المكان المستبعد أو الفِعل المستبعد: أنّى تطلبُ المجد؟.

كيف: لتعيين الحال: كيف امتحانُك؟ كيف أجبت؟.

كم: لتعيين العدد المبهم: كم مَعَك؟ كم أمضيت؟.

أيّ: تصلح لمجمل ما ذكر من المعاني:
أيّ الأصدقاء زِرْت؟، أي يومٍ عدت؟، أيّ شيءٍ استعرت؟..

ويلاحظ أيضاً أن صيغ الاستفهام بأدواتها المختلفة قد تخرج عن معانيها إلى معاني أُخرى، تُفْهم من سياق الكلام، وهذه بعض الأمثلة لما يخرج إليه الاستفهام:

١ ـ النّفي: هل أعصي والديّ؟ (لا أعصي).

٢ ـ الإنكار: أتبيعُ دينَكَ بدنْياكَ؟ (أنكر عليك..).

٣ ـ الأمر: هَلْ تفهمُني؟ (افهمْني).

٤ ـ النّهي: أتقولُ غير الحقّ؟ (لا تَقُلْ).

٥ ـ التعظيم: من خلقَكَ غير الله؟ (هو الخالق العظيم).

٦ ـ التحقير: ما أنت؟ (أيّ شيءٍ أنت).

٧ ـ التسوية: سواء أعُدْتَ أم لم تعد. (تساوى الأمران).

٨ ـ التشويق: هل لك بهديّةٍ رائعةٍ؟ (هل تحبّ..).

د ـ التمنّي: هو تطلُّع المتمني إلى ما هو مستبعد الحصول أو إلى ما لا يُرْجى حصولُه. وللتمنّي أداةٌ أصليّة هي (لَيت): ليت العمر لا يَنْفَدُ. وهناك أدوات تنوب مَنابَها مع دلالة السياق على التمنّي بها.

وفيما يلي هذه الأدوات مع الأمثلة:

١ ـ هَلْ: هل مِنْ سبيلٍ إلى السعادة؟.

٢ ـ لو: لو أنّ الجمالَ يدومُ.

٣ ـ لعلّ: لعلّ الشّمْسَ لا تغيب.

مع ذلك، يمكن التطلّع إلى ما يُرتجى حصوله بما يُسمّى ترجّياً لا تمنّياً. وللترجي أداتان هُما: (لعلّ) و(عسى).

لعلّ المريضَ يَشفى، وعسىَ ينفعُه الدّواءُ.

ويدخل الترجّي في عداد الإنشاء الطلبيّ فهو كالتمنّي.

هـ ـ النداء: هو دعوة المقصود به ليقبل بشخصه أو انتباهه بوساطة أداةٍ تنوب مناب الفِعل (أَدْعو).

أدوات النداء أدواتٌ حرفيّة عَددُها ثمانٍ والمستعمل منها (يا)، الهمزة (أ)، (أيْ)، (أيا) (هيا) ونذر استعمال (آ) و(آي) و(وا). عُدّتِ الهمزةُ (أ) و(أيّ) لنداء القريب.

وعُدّتْ (يا) لنداء القريب والبعيد معاً، ولذلك كانت الأدرج استعمالاً وقد تظهر أو تحذف وتُقَدّر. تقولُ مثلاً:

يا أخي أقبِلْ لتساعِدني.

أخي أقبلْ لِتُساعِدَني.

وقد يُسْتقرب البعيد فينادى (بالهمزة وأيْ)، وقد يُستبعد القريب فينادى بـ(هَيا وأيا) لغاية بلاغيّة. بينما تستعمل (وا) للندبة والتحسّر: (وافقيداه)، (واأسفاه).

وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي لإفادةِ معانٍ أخرى تُستفادُ من القرائن، وهذه بعضها مع الأمثلة:

١ ـ التَّحسّر: وافقيدَ الأمّة!.

٢ ـ الزَّجر: يا زائغَ البَصَر!.

٣ ـ الإغراء: يا عدّةَ النَّفْس! يا قُرّةَ العَيْنِ!.

ويلاحظ أن المنادى المضاف والشبيه بالمضاف والنكرة غير المقصودة يحقّقان للنداء معنى إضافياً كطلب النجدة والمدح والهجاء من خلال العلاقة بين المُضاف والمضاف إليه أو بين العامل المشتق والمعمول، مما يلحظ من السياق أيضاً. وهذه أمثلة لا تخفى دلالاتُها:

يا ناصِر الحقّ. يا فَخْرَ الوطن. (لطلب النجدة والمدح).

يا فاقداً أملاً، يا جباناً قلبُه. (للتقريع والهجاء).

ثالثاً ـ الإنشاء غير الطَّلبيّ:

هو ضربٌ من الإنشاء لا يتضمّن طلباً وله عدة صيغ وأساليب كأسلوب المدح والذم، وأسلوبِ القَسَم، وأسلوبِ التعجّب وأُسلوبِ العقود الذي يعتمد صيغة الماضي (بعتُ، اشتريْتُ، دفعتُ)..

وهذه الأساليب في جملتها خارجة عن علم المعاني بل عن العلوم البلاغيّة برمّتها، ولذلك اقتصرنا على التلميح إليها دون تفاصيل في البحث.

د ـ نماذج من الخبر والإنشاء:

١ ـ قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح: ١٠].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة المائدة: ٧].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: ٤].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [سورة الضحى: ٣].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ؟﴾ [سورة طه: ١٧].

٦ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [سورة البقرة: ٨٨].

٧ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سورة سبأ: ٤٩].

٨ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [سورة لقمان: ١٨].

٩ ـ وقال تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ؟﴾ [سورة الكهف: ١٩].

١٠ ـ وقال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [سورة التكاثر: ١ ـ ٢].

١١ ـ وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [سورة النبأ: ٤٠].

١٢ ـ وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ٣٧].

١٣ ـ وقال رسولُ الله (ﷺ): «من كانَ يؤمنُ باللهِ واليوم الآخِر فليقُلْ خيراً أَوْ لِيَصْمُتْ».

١٤ ـ قال رسول الله (ﷺ): «لا يؤمِنُ أحدُكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسِهِ».

١٥ ـ قال رسول الله (ﷺ) وقد سألَهُ أحدهم عن دخول الجنّة: «لقد سألْتَ عن عظيم، وإنّهُ لَيَسيرٌ على مَن يَسّرهُ اللهُ تعالى عليه..».

١٦ ـوجاء في حديثٍ قُدسيٍّ[١] عنه (ﷺ)، يقولُ تعالى: «يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم استغفرتني، غفرت لك. .».

١٧ ـوقال رَسُولُ الله (ﷺ): «زُوِيَتْ[٢] لي الأَرْضُ فأُرِيتُ مَشارِقَها ومغارِبَها».

١٨ ـوقال رسول الله (ﷺ) في الحديث القدسي، إنّ الله تعالى يقول: «يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً، فلا تظالموا»[٣].

١٩ ـوقال رسول الله (ﷺ): «إنَّ (لَوْ) تفتح عَمَل الشيطان».

٢٠ ـوقال رسول الله (ﷺ): «المؤمِنُ القويُّ خيرٌ وأحَبُّ إلى اللّهِ من المؤمنِ الضعيف، وفي كُلٍّ خيرٌ».

٢١ ـقال قَطَرِيُّ بنُ الفُجاءة[٤]:

فصبْراً في مَجالِ المَوْتِ صَبْرا ... فما نيلُ الخلودِ بِمُسْتَطاعِ

٢٢ ـوقالَ أيضاً:

سبيلُ المَوْتِ غايةُ كُلِّ حيٍّ ... فداعيهِ لأهْلِ الأرْضِ داعِ

٢٣ ـوقال أبو ذُؤيب الهُذَليّ[*] في رثاءِ أولاده الخمسة وقد فتكَ بهم الوباء:

أَوْدَى[٥] بنيَّ وأَعْقَبوني حَسْرةً ... بَعْد الرُّقادِ، وعبرةً ما تُقْلِعُ[٦]

٢٤ ـوقال أبو الطيِّب المتنبّي:

---

(١) الحديثُ القُدْسيُّ: ما يقوله سبحانه وتعالى بنقلٍ أمينٍ عن رسول الله (ﷺ) وهو ليس من القرآن الكريم.

(٢) زُوِيَت لي الأرض: جُمِعَتْ وَهُيِّئتْ.

(٣) لا تظالموا: لا يظلم بعضكم بعضاً.

(٤) هو قَطَرِيّ بن الفُجاءة التميمي، كان من قوّاد الخوارج في العهد الأموي. بايعه أنصارُه بالخلافة، وقاتل جيوش بني أمية حتى قتل عام ٧٩هـ.

(*) أبو ذُؤيب الهُذَليّ: اسمه خويلد بن خالد. مات بطريق مصر في عهد عثمان بن عفان ﷺ.

(٥) أَوْدى: هلك وقضى.

(٦) ما تُقلع: ما تكفّ.

نعِدُّ المَشْرفيّة[1] والعوالي[2] وتقتُلنا المنونُ[3] بلا قتالِ

٢٥ ـ وقال لقيط بن يَعْمُر الإيادي[4] يحثُّ قومه على التجمع للقاء العدوّ:

يا لَهْفَ نفسيَ إن كانتْ أمورُكُمُ شتّى[5]، وأُحْكِمَ أمْرُ الناسِ فاجتمعا

٢٦ ـ وقال يُخاطِبُهُمْ بالنصيحة:

قُوموا قياماً على أمْشاطِ أرْجُلِكُمْ ثُمّ افْزَعُوا[6]، قد ينالُ الأمْنَ من فَزِعا

٢٧ ـ وقال عُبيد الله بن قَيْس الرُّقيات[*] يحبّذُ وحدة القبائل العربيّة:

حبّذا العَيْشُ حينَ قَوْمي جميعٌ لم تُفرِّقْ أمورَها الأهْواءُ

٢٨ ـ وقالَ الشاعرُ نفسُه يردُّ على أعداء قُرَيْش:

أيُّها المُشْتهي فناءَ قُريْشٍ بيد الله عُمْرُها والفناءُ

٢٩ ـ وقال الشاعر الأموي جرير يمدح بني أميّة مخاطباً الخليفة عبد الملك:

ألَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطايا وأنْدى العالمينَ بُطونَ راحِ[7]؟

٣٠ ـ وقال نابغة بني ذُبيان:

ولَسْتَ بمستبْقٍ أخاً لا تلُمُّهُ على شَعَثٍ[8]، أيُّ الرجالِ المُهذّبُ؟

---

(١) المشرفيّة: السيوف.
(٢) العوالي: الرماح.
(٣) المنون: صرعة الموت.
(٤) لقيط بن يعمر الإيادي: شاعر جاهلي قديم كان كاتباً في ديوان كسرى. من أشهر شعره هذه القصيدة التي أرسلها إلى قومه يحذرهم من نية كِسْرى في البطش بهم.
(٥) شتّى: متفرقة.
(٦) افزعوا: اهجموا.
(*) ابن قيس الرقيات: شاعر كان مع ابن الزبير ثم انضم إلى بني أمية. كانت وفاته سنة ٧٥هـ.
(٧) بطون الراح: بطون الأكف، ونداها يدل على الكرم.
(٨) الشَّعَث: عني به سوء الحال والفقر، ولمّ الشعث: كناية عن المساعدة.

٤ ـ التّقديم والتّأخير

أ ـ التركيب البلاغي:

استقر التركيب البلاغي في نظرة علم المعاني على ركنين أساسيين هما المُسند والمسند إليه وتحتويهما عادة جملة فعلية (مسند ومسند إليه)، أو جملة اسمية (مسند إليه ومسند) وهما في العرف النحوي (فعل وفاعل)أو (مبتدأ وخبر).

ولا يقتصر الكلام عادةً على هذين الركنين من مسندٍ ومسند إليه بل هنالك ما يُدعى بالفَضلة، ويأتي ترتيب الفضلة ثالثاً بعد المُسْند والمُسْند إليه، وتدخل ضمن القيد الذي مرّتْ بنا أشكالُه أثناء حديثنا عن الإسناد وعلى رأس هذه الأشكال من القيد يأتي المفعول به، وشبه الجملة والحال. وسنجعل لكلٍّ من هذه الأشكال نصيباً من الاهتمام في موضوع التقديم والتأخير. ولكن المهم الآن أن تتضح في عيوننا عناصر التركيب البلاغي وهي:

١ ـ رُكنا الجملة من مسند ومُسند إليه.

٢ ـ الفَضلة وتَشْتملُ بوجهٍ رئيسيٍّ على:

المفعول به، الحال، شبه الجملة من ظرفٍ وجارّ ومجرور، وعلى هذا تبدو الفَضلة قيداً، والقَيْدُ فَضلةً، وسوف نتناولُ أحوال التقديم والتأخير في الركنين الأساسيين أوّلاً، وفي الفضلة التي تضمّ أنواع القيود ثانياً، والمهمات من القيود كما رأينا هي: المفعول به، الحال، شبه الجملة، ودائماً هنالك في الكلام البليغ ما يَسْتدعي تقديم ركنٍ على ركن أو تقديم فَضلة على ركن، أو تقديم فضلةٍ على فَضلة. وكلُّ هذا سيكون في دائرة اهتمامنا في بحث (التقديم والتأخير)، من جملة

أهم الأبحاث في علم المعاني. وقبل أن نأتي إلى موضوع (التقديم والتأخير) نعطي أمثلةً للتركيب البلاغي بأركانه، وأجزائه لنكون على وعيٍ فيما يتعلّق بالمتقدم والمتأخر من هذه الأركان والأجزاء:

١ ـ قامَ زَيْدٌ: هنا جملة بركنين؛ فعل مسند وفاعل مسند إليه.

٢ ـ زيدٌ قائمٌ: هنا جملة بركنين؛ مبتدأ مسند إليه، وخبر مُسْند.

٣ ـ صافَحَ زيدٌ رَجُلاً: هنا جملة بركنين؛ تبعها قيد (المفعول به) وهو فضلة.

٤ ـ قامَ زَيدٌ نَشيطاً: هنا جملة بركنين؛ تبعها قيد (الحال) وهو فضلة.

٥ ـ قام زيدٌ على قدميْهِ: هنا جملة بركنين؛ تبعها قيد (شبه الجملة) وهو فضلة.

ب ـ مبدأ التقديم في التركيب البلاغي والنحوي:

إن تقديم شيءٍ على شيءٍ وعنصرٍ على عنصر في التركيب الواحد، نظامٌ حياتيٌ قائمٌ منذ الأزل. فالرأس قبل الذنب، والكبير قبل الصغير، والأهمّ قبل المهمّ. . وهذا المبدأ متّبع في وجوه الكلام البليغ قبل ولادة علم المعاني وبعدها. ولا بدّ لنا من غايةٍ في تقديم ما حقّه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم، هذه الغاية تختصر في غاية البلاغة كلّها وهي ملاءمة الكلام لمقتضى الحال. ويتضح لنا ذلك في أبسط مثالٍ. تقولُ مثلاً:

أنا الفائزُ.

الفائز أنا.

فما الفرق بين العبارتين؟ وما الغاية من تقديم المسند على المسند إليه في الجملة الثانية؟ نُلاحظ أن الجملة الأولى دلّت على الإخبار بالفوز، فعندما قُدّم الخبر على المبتدأ أو المسند على المسند إليه بخلاف ترتيبهما في الجملة الاسمية قُصِدَ أنّ الفوز مقصورٌ على المتكلّم ومخصّص بِهِ، وهذا معنى مختلف عن الأوّل الذي هو مجرّد الإخبارِ بالفَوْز.

ومع ذلك، قد يتحكَّمُ القانون النحويّ في تقديم الخبر على المبتدأ وُجوباً، عندما يكون المبتدأ نكرةً: (عندي كتابٌ).

وقد سبق لنا تناول وجوه تقديم المسند وتأخيره، ووجوه تقديم المسند إليه وتأخيره عندما تحدّثنا عن الإسناد بوجهٍ عام، ولنا عودة إلى التقديم والتأخير في هذين الرُّكْنين، لننتقلَ بعدها إلى التقديم والتأخير فيما هو قيدٌ لهما أو فَضْلة.

ج ـ تقديمُ المسند إليه وتأخيره:

إنّ المُسْند إليه يتقدّم في الجملة الاسميّة لأنه هو المَقْصود بالحكم أو بالخبر، ولأننا تعرّضنا من قبل إلى موضوع تقديم المسند إليه وغاياته، سنختصر غايات هذا التقديم في خمسٍ مع الإشارة التي كررناها مراراً إلى أن هذه الغايات غير محدّدة العدد وإنما هي عديدة جدّاً ويكتشفها الدارس من سياق الكلام إذا شاء. وهذه أمثلة تتلوها الغايات من تقديم المسند إليه في كُلّ مرّة:

١ ـ الغريقُ نجا: الغاية من التقديم: تعجيل المسرّة.

٢ ـ الخَطرُ أَحْدَق: الغاية من التقديم: تعجيل المساءة.

٣ ـ جوادُ أخيك هُوَ السّابِقُ: الغاية من التقديم: التشويق إلى المتأخر.

٤ ـ اللّهُ اللهُ رازقي: الغاية من التقديم: التلذذ بالذكر.

٥ ـ كلُّ عالم يُقَدّر، وما كلُّ ما يعلم يُقال: الغاية من التقديم: التعميم ونقضُهُ.

ويؤخّر المسند إليه إذا وقع فاعلاً أو نائباً للفاعل، تقول مثلاً:

رَحُبَت الدارُ وأُكرم الضيفُ.

د ـ تقديم المُسْند وتأخيره:

في كلّ جملة فعليةٍ ركنانِ هُما الفعل والفاعل أو الفعل ونائب الفاعل. ويُعدُّ

الفعل مُسْنداً مقدّماً وجوباً على المُسند إليه الذي هو الفاعل أو نائبُهُ، فهذا التقديم بحكم القانون النحويّ لا يُحقّق غاية بلاغيةً بعينها، ولا يتناولُه علم المعاني بالاهتمام. وهنالك ألفاظ لها الصدارة وتقع موقع المُسْند (الخبر) بحكم القانون النحوي أيضاً وهذه أمثلة على التقديم النحوي للمُسْند:

وَصَل الضّيفُ: تقدم المسند الفعلي على فاعله.

أُكرِمَ الضّيفُ: تقدم المُسند الفعلي على نائب الفاعل.

كَيف حالُهُ؟: تقدّم المُسْند لأنه من الأسماء التي لها الصدارة.

كَمْ إخْوتُه؟: تقدم المسند لأنه من الأسماء التي لها الصدارة.

متى عَوْدتُهُ: تقدّم المسند لأنه من الأسماء التي لها الصدارة.

على أنّ المُسْنَد حين يقعُ (خبراً) في جملة اسميّةٍ قد يتقدّم على المبتدأ لغايةٍ بلاغيّةٍ تُعْرف من السياق ولا نُحصيها عدداً، بل نذكُرُ بعض الأمثلة وإلى جانبها الغاية من التقديم:

١ ـ للقاضي النّظرُ في القضيّة: الغاية من تقديم المسند: التخصيص.

٢ ـ له حُكْمٌ عادلٌ: الغاية من تقديم المسند: إفادة الخبرية دون النعت.

٣ ـ خيرُ الكُنوزِ القناعةُ: الغاية من تقديم المسند: التشويق للمتأخّر.

٤ ـ مِنْ نصيبِكَ الجائزةُ: الغاية من تقديم المسند: تعجيل المسرّة للسامع.

٥ ـ لِلّه درُّكَ، نِعْمَ الشجاعُ أنتَ: الغاية من تقديم المسند: التعجّب والمدح.

أمّا تأخير المُسْند فلا يخفى أنّه يأتي متأخراً عن المسند إليه كلما كانت الجملة اسميّة (المجدّ ناجحٌ) وكلّما كان المسند من الألفاظ التي لها الصدارة كأسماء الاستفهام والشرط، ضمن حالات يفصلها القانون النحوي. وهذه أمثلة لتأخير المُسْنَد حُكْماً:

البابُ مفتوحٌ: وقع المسند خبراً بعد المبتدأ.

مَنْ حَضَر؟ : المُسند إليه له الصدارة (اسم استفهام).

مَنْ يَحْضُرْ يَلْقَ إكْراماً[1] : المسند إليه له الصدارة، (اسم شرط).

ما أَنتَ إلاّ ضيفٌ عزيزٌ: المسند إليه مقصور على المُسْند أو محصور بإلاّ، فيجب تأخيره.

هـ ـ تقديم المفعول به وتأخيره:

ذكرنا أن الفعل المتعدّي الذي هو مُسْندٌ في الجملة الفعلية التي ركناها الفعل والفاعل، يليه مفعول به أو أكثر، ويقع متأخراً عَنْهُ غالباً، وتصنيفه البلاغي في علم المعاني أنه قيْدٌ للإسناد أو فَضْلةٌ ولَيْس رُكْناً. وهذا القيد أو الفضلة التي منها المفاعيل كلّها: (مفعول به، مفعول لأجله، مفعول معه..) والحال، وشبه الجملة (الظرف والجار والمجرور)، هذا القيد يستحقّ النظر من حيث التقديم؛ ونبدأ بالمفعول به الذي يتقدم أحياناً على عامله الفعليّ (المُسْند والمُسْند إليه) لتتحقق بهذا التقديم غاياتٌ بلاغيّة نذكر بعضها مع الأمثلة فيما يلي:

١ ـ تخصيص المفعول به بالفعل بعده: ﴿إيّاكَ نَعْبُد..﴾.

٢ ـ موافقة السامع أو المخاطب: كلامكَ سَمِعْتُ.

٣ ـ مخالفة السامع أو المخاطب: خطأكَ بيّنتُ.

٤ ـ إظهارُ الاهتمام بالمفعول: قصيدتَكَ حفظتُ.

٥ ـ الإنكار: أغير مالِكَ تأخذ!

٦ ـ التبرُّك والتقديس: المَسْجدَ دَخلنا.

٧ ـ التلذُّذ بالذِّكر: الله الله دَعَوْنا.

٨ ـ الفخر: المَجْدَ ابتغيْنا.

---

(١) اختلف النحاة في خبر اسم الشرط عندما يقع مبتدأ، فجعله بعضهم فعل الشرط وجعله آخرون فعل الشرط وجوابه، ويرجح اعتبار جواب الشرط هو الخبر أو المُسْند أما فعل الشرط فهو نوع من صلة الموصول الاسمي.

٩ ـ رعاية الفاصلة المسجوعة: الضيفَ أكرموه، والكبيرَ قدِّموه.

١٠ ـ أغراض أُخرى...

و ـ تقديم الحال وتأخيره:

يأتي الحال متأخّراً عن عامله الفعلي أو شبهه[(١)] في معظم الحالات، ولكنه قد يتقدّم على عاملِهِ لغايات بلاغية. ويُعَدُّ الحال قَيْداً من قيود الإسناد يأتي بعد المفعول به في الأهميّة ووظيفته من حيث المعنى بيانُ حال صاحبه الفاعل أو المفعول به أو الاسم المجرور مما يتعرضُ له علم النحو. أمّا هنا، فسوف نَستعرض أهمّ حالات تقديمه على عاملِهِ مع الأغراض البلاغية من هذا التقديم وهذه هي مع الأمثلة:

١ ـ المَدْح والتكريم: عظيماً رأيناك.

٢ ـ الذمّ والتحقير: بخيلاً عرفناه.

٣ ـ الإنكار: أمَذعوراً تقابل عَدُوَّك؟.

٤ ـ التحبّبُ: صَديقاً صافِحْني.

٥ ـ التّحذير: متسلّلاً أُدخُلْ.

٦ ـ تقديم الصفة على موصوفها: لميّةَ مُوحِشاً طَلَلٌ.

٨ ـ أغراض أخرى...

ويأتي تأخّر الحال عن عاملِهِ، وعن صاحب الحال في معظم الحالات الأخرى، كما في قولنا:

١ ـ دخلَ المُعَلّمُ مُبْتسماً: صاحبُ الحال هو الفاعل.

٢ ـ نحبُّ المعلّمَ مبتسماً: صاحبُ الحال هو المفعولُ به.

---

(١) يُشْبِه العامل الفعلي المشتقّات منه كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة إلخ.. وهي تعمل عمل فعلها بشروطٍ معيّنة. وكذلك (المصدر) يعمل عمل فعله بشروط، وهذا كلّه من اختصاص علم النحو.

٣ ـ نظرْنا إلى المُعَلِّمِ متبسماً: صاحبُ الحال هو الاسم مجرور.

٤ ـ هو الدّاخِلُ مُبْتسِماً: عامل الحال اسم مشتق (اسم فاعل)، وصاحب الحال ضمير مستتر فيه.

ز ـ تقديم شبه الجملة وتأخيره:

نعني بشبهِ الجملة كُلّاً من اثنين؛ الظرف، والجار والمجرور. وهذه التسمية تسميةٌ نحوية، وتبقى علاقةُ علم المعاني بعلم النحو علاقةً وشيجةً.

يصلح كلٌ من الظرف والجار والمجرور لأن يكون مُسْنداً في جملةٍ اسميّة كقولنا:

والدُّكَ في البيتِ: الجار والمجرور شبه جملة (خبر).

الفارسُ فوق الحصانِ: الظرف شبه جملة (خبر).

ويتقدم هذان وُجوباً كلّما كان المسند إليه أو المبتدأ معهما اسماً نكرةً:

في البيتِ رَجُلٌ ـ فوق الحصان فارسٌ.

وقد يُعَدُّ الظرف أو الجار والمجرور من متعلّقات الفعل أو مصدره أو المشتق منه، ويجري تقديمهما عليه لغاياتٍ بلاغية، سنذكُرُ بعضها مع الأمْثلة:

١ ـ إصابة المعنى وتحديده: جاء مِنَ المدينة رَجُلٌ يشتكي.

٢ ـ التخصيص: على الله فلنتوكّلْ.

٣ ـ التعيين: من اليد أمسك بالصغير.

٤ ـ مراعاة الفاصلة المسجوعة لتحسين اللفظ: دونك المتكىء، ومِنْك المُشْتكى.

٥ ـ أغراض أُخرى تدرك من سياق الكلام.

ويؤخّر الظّرفُ والجار والمجرور إذا أُريد استخدامُهما قَيْداً للوصف والحالية، كما في هذين المثالين:

هذا عصفورٌ على غُصْنٍ: (الجار والمجرور) للوصف.

يُعجبني العُصْفورُ فوق غُصْنِهِ: (الظرف) للحال.

هذا، وفي جميع أحوال تقديم رُكْنٍ على ركن أو فَضْلةٍ على فضلة، يُرجَع إلى علم النحو، ولكن التوصّل إلى الغرض المراد بالتقديم والتأخير هو المهمّ في ميدان علم المعاني، وفي موضوع التقديم والتأخير بخاصّةٍ.

ح ـ نماذج من التقديم والتأخير[1]:

١ ـ تقديم المُسْند الاسمي (الخبر) على المسند إليه:

أ ـ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [سورة المعارج: ٢٤ ـ ٢٥].

ب ـ وقال تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [سورة الأنبياء: ٩٧].

ج ـ وقال تعالى: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [سورة مريم: ٤٦].

د ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [سورة الغاشية: ٢٥، ٢٦].

هـ ـ وقال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة التغابن: ١].

و ـ وقال أبو العلاء المعرّي:

غيرُ مُجْدٍ في[2] ملّتي واعتقادي   نَوْحُ باكٍ ولا ترنُّمُ[3] شادِ

٢ ـ تقديم المسند الفعلي على المسند إليه (الفعل على الفاعل أو نائبه):

أ ـ قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الروم: ٤٢].

---

(١) كلّ تقديم في ركْنٍ أو في فَضْلةٍ من الكلام، يقابلُه تأخير، ولهذا جمعنا بينهما، وتركنا للنماذج والأمثلة توضيح ما تقدّم وما تأخّر.

(٢) المِلّة: المذهب والمعتقد.

(٣) الترنّم: التغريد والغناء.

ب ـ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الشورى: ٩].

ج ـ وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [سورة يوسف: ٥٨].

د ـ وقال تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [سورة النبأ: ٢٠].

هـ ـ وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا[1] دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ[2] صَفًّا صَفًّا﴾ [سورة الفجر: ٢١ ـ ٢٢].

و ـ قال أحمد شوقي:

أرادَ اللهُ بالفقراءِ بِرّاً[3] … وبالأيتامِ حُبّاً وارتباباً[4]

٣ ـ تقدّم المسْند إليهِ على المُسْندِ الفِعليّ:

أ ـ قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٧٨]

ب ـ وقال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [سورة آل عمران: ٤٠]

ج ـ وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة القصص: ٨٢].

د ـ وقال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[5] [سورة البقرة: ٢٦٨].

هـ ـ وقال رسول الله (ﷺ): «إنّ الله كتبَ الحسناتِ والسّيئات..».

و ـ وقال أبو الطيب المتنبي:

غَيْري بأكثرِ هذا الناس ينخدِعُ … إنْ قاتَلوا جَبُنوا أو حدّثوا شَجُعوا[6]

---

(١) دُكّتْ: هُدِمَتْ بعضُها على بعض. دُمّرتْ.

(٢) المَلَك: الملائكة.

(٣) البِرّ: الخير والإحسان.

(٤) الارتباب: التربية والرعاية.

(٥) الفَحْشاء: المعصية الآثمة.

(٦) شَجُعوا: بَدَوْا كالشجعان، ضدّ جبُنوا.

٤ ـ تقدّم معمولات الفعل[١]:

أ ـ قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾[٢] [سورة الأنعام: ١٤].

ب ـ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٧].

ج ـ وقال تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ[٣] كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [سورة القمر: ٧].

د ـ وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[٤] [سورة النساء: ٩٥].

هـ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ[٥] إِلَيْهِ﴾ [سورة الروم: ٣٣].

و ـ قال الشاعر:

مَيْلاً أميلُ إلى الهوى ... لكنني لا أجتنيه[٦]

ز ـ وقالَ بشّار بن بُرْد:

يخافُ المنايا[٧] إنْ ترحّلْتُ صاحبي ... كأنَّ المنايا في المقامِ[٨] تُناسِبُهْ

ح ـ وقال أحمد شوقي:

وفي الأرْضِ شرٌّ أقدارِهِ ... لطيفُ السماءِ[٩] ورَحمانُها[١٠]

---

(١) قصد بمعمولات الفعل: المفعول به وغيره من المفاعيل، والحال، وكذلك الظرف والجار والمجرور عندما يتعلّقانِ بالفعل.. ويكون تقديمُ المعمول على العاملِ الفعليّ نفسه أو على فاعله، ويبقى الفعلُ مقدّماً عليهما.

(٢) وليّاً: نصيراً.

(٣) الأجداث: القبور.

(٤) الحُسنى: الخير والثواب.

(٥) مُنيبين: راجعين ملتجئين.

(٦) أجتنيه: أقترفهُ وأفعله.

(٧) المنايا: الموت.

(٨) المقام: الإقامة والاستقرار، ضد الرحيل.

(٩) لطيف السماء: كناية عن الله سبحانه، وهو اللطيف بمخلوقاته وعباده.

(١٠) رحمانُها: راحمها بالغ الرحمة، وهو الله سبحانه وتعالى.

٥ ـ القَصْر

أ ـ تعريفه:

القَصْرُ لُغةً هُو الحَبْسُ. وإذا قُلْنا «قَصَر نَفْسَهُ على كذا» عنَيْنا أنه لم يتجاوزْ الشيءَ إلى غيره ولم يطمع إلى سِواه. أمّا القصر بالمصطلح البلاغي فهو تخصيص موصوفٍ بصفة معيّنة وقصرها عليها دون أن يُجاوزها وهذا من قبيل التأكيد البلاغي أو هو نوعٌ من أنواعه.

ولا يُشترط أن تكون الصفة نعتاً من النعوت أو اسماً من الأسماء المشتقّة فقد يصلح الفعلُ أن يكونَ مقصوراً عليه كأن تقول: إنّما العِلْمُ ينفَعُ صاحبَهُ. لتعني بهذا القول: أنَّ العِلْمَ شديد النفع لِصاحبه حتى إنّه لا يُجارى في نفعه، فكأنَّ العِلْمَ مقصورٌ والنفع مقصورٌ عليه من خلال الفِعل (ينفع). وبالاختصار نقول عن القصر: أسلوب بلاغي يفيدُ تخصيص شيءٍ بآخر من صفةٍ أو فِعْلٍ، وهو ضربٌ من التوكيد للخبر بالمعنى البلاغيّ لا بالمعنى النحويّ.

لتكنْ لدَينا بعض عباراتٍ بليغةٍ استُخدِمَ فيها القَصْر فكيف نفهمُ معانيها؟.

- لا إله إلاّ اللّهُ.
- ما محمّدٌ إلاّ رَسولٌ.
- إنّما المرءُ بأصْغَرَيْه: قلبِه ولسانِه.

المعنى الواضح من هذه العبارات؛ أن الألوهيّة والتقديس خالصان لله وَحْدَهُ، وأن محمّداً بن عبد الله (ﷺ) أخَصُّ صفاته الرسالة التي بعثه بها الله سبحانه، وأن الإنسان يُقاس بأصغر ما فيه من أعضاء وهما القلب واللسان وذلك من دون اعتبارٍ

للأعضاء الأُخرى من قدمٍ إلى رأسٍ.

ب ـ طَرفا القَصْر:

في كلِّ جُملةٍ تحتوي قَصْراً نتلمّسُ طرفين كالموصوف والصفة، والمنعوت والنعت من حيث الدلالة لا من حيث الإعراب. فجملة (القصر تحتوي على طرفَيْن لا غنى عَنْهما وهما المقصور والمقصور عليه. ولا يصعب علينا أن نميّز المقصور باعتباره موصوفاً والمقصور عليه باعتباره صفةً لفظُها اسمٌ مشتق يَصْلُح للَوصْف بهِ أو فِعْلٌ من الأفعال يُقْصَر عليه المقصور، ويكون بمثابة الصفة أو النعت. وفي سبيلِ تحديدٍ واضح نسوقُ عدداً من الأمثلة نشيرُ فيها إلى المقصور وإلى المقصور عليه لندرك من خلال الأمثلة طبيعة العلاقة بين المقصور والمقصور عليه، فضلاً عن التركيب الأساسيّ لجملة القصر من جهة المعاني والبلاغة.

١ ـ لا يفوز إلاّ المُجِدّ: مقصورٌ ثم مقصور عليه.

٢ ـ إنما الحياةُ كفاحٌ: مقصور ثم مقصورٌ عليه.

٣ ـ الحياةُ مشقّةٌ لا راحةٌ: مقصور عليه ثم مقصور.

٤ ـ ما الجَهْدُ ضائعٌ بل مُثمِرٌ: مقصور ثم مقصورٌ عليه.

٥ ـ ما التكبّرُ محمودٌ لكنْ مذمومٌ: مقصور ثم مقصورٌ عليه.

٦ ـ على المتواضع يُثني الناسُ: مقصور عليه ثم مقصور.

وجلاءُ معنى العبارات السابقة مع التخصيص كما يلي:

١ ـ الفَوْزُ للمُجدّ حَصْراً.

٢ ـ الحياة كفاحٌ ليس إلاّ..

٣ ـ الحياةُ محض مشقّة لا راحةَ فيها.

٤ ـ الجَهْدُ مثمرٌ لا محالة.

٥ ـ التكبّر مذمومٌ حتماً.

٦ ـ ثناء الناس على المتواضع وليس على سواه.

وهكذا نستنتج أن في جملة القصر طرفين هما المقصور والمقصور عليه وأحدُ الطرفين يَصْلُحُ صفةً، والآخَر يَصْلُحُ موصوفاً قصر أحدهما على الآخر، وهذه أمثلة:

ما حَسّانُ[1] إلاّ شاعرٌ.

حَسّان: مقصور، موصوف بالشاعرية.

شاعر: مقصور عليه، صفة وحيدة لحسّان بادّعاء المتكلّم.

ما الشّاعرُ إلاّ المُتنبّي.

الشاعر: صفة، مقصورة على شخص.

المتنبي: مقصورٌ عليه، انفرد بالشاعرية بادّعاء المتكلّم.

لا عِلْمَ إلاّ في الصِّغَر.

علم: مقصور، صفة، خصص لها زمن الصِّغَر.

في الصِّغَر: مقصورٌ عليه، فهو زمن التعلّم حصراً بادّعاء المتكلّم.

إنما العِلْمُ نورٌ.

العِلمُ: مقصور، أو موصوف بالاستنارة وحدها.

نورٌ: مقصور عليه، صفة اختص بها العلم من دون سائر الصفات.

ج ـ أقسامُهُ:

ينقسم أسلوب القصر باعتبارَيْن:

الأوّل: باعتبار الطرفين (المقصور والمقصور عليه).

---

(١) حسّان: قُصد به الشاعر حسّان بن ثابت الأنصاري، كان شاعراً مدّاحاً لملوك الغساسنة، ثم اهتدى إلى الإسلام فمدح الرسول (ﷺ) وجاهد مع الإسلام بلسانه. توفي ٥٤هـ.

الثاني: باعتبار الحقيقة الثابتة أو الحقيقة الإضافية أو المدّعاة التي يدّعيها المتكلّم البليغ بأسلوب أشبه بالمجاز.

الاعتبار الأوّل: القصر قِسمان:

أ ـ قصر صفةٍ على موصوف ومثالُها: لا فارسَ إلاّ عليّ.

ب ـ قصر مَوْصوفٍ على صفة ومثالُها: ما عليّ إلاّ فارِسٌ.

الاعتبار الثاني:

أ ـ قصر حقيقي: وفية يختصّ المقصورُ بالمقصور عليه حقيقةً تطابق الواقع ولا تتعدّاه إلى غيره:

ومثالُه: لا إله إلاّ اللهُ.

ب ـ قصر إضافيّ: وهو ما كان الاختصاصُ فيه بحسب الإضافة إلى شيءٍ مُعيّنٍ وفق رؤية المتكلّم أو رأيه.

ومثالُه: لا عادلَ إلاّ عُمَر.

ويحقّق القصرُ الإضافيُّ غاياتٍ منها:

١ ـ قصر قَلْب (قلب المعنى): ما المالُ إلا ترابٌ.

٢ ـ قصرُ تعيين: ما هذا إلاّ أخوك.

٣ ـ قَصْرُ إفْراد: لا نَصْر إلاّ بالسّيف.

٤ ـ قَصْرُ مغالطة: ما رأيتُك إلاّ بأذنيّ.

٥ ـ قصر موعظة: لا نجاة إلاّ بالصِّدق.

٦ ـ أغراض أخرى تعرف من السِّياق.

د ـ طُرقُ القَصرْ:

اتبعَ البُلغاءُ في أسلوب القصر طرقاً شتّى. وكانت طائفةٌ منها مستعادة مكرورة ومشهورة اعتُمدتْ على أنّها طُرقٌ أساسية للقصر، وكانت منها طائفة أُخرى أقل

وروداً واستعمالاً من الطائفة الأولى ولكننا نلحقها بها إلحاقاً لتكون طرق القصر مقسومة إلى قسمين:

١ ـ طرقُ القَصْرِ الأساسيّة.

٢ ـ طرقُ القَصْرِ الملحقةِ.

وسنفردُ لكلٍّ منهُما بحثاً مع الإيضاح بالأمثلة والشواهد.

١ ـ طُرقُ القصر الأساسيّة:

نجد فيها أربعاً غَلَبَ استعمالُها وهي:

أ ـ القصر بالنفي[1] مع الاستثناء أو أدواته (إلاّ، غير، سوى..).

ب ـ القصر بـ إنّما.

ج ـ القَصْر ببعض أدوات العطف: (لا، بل، لكنْ).

د ـ القَصْر بتقديم ما حقّه التأخير..

أ ـ القصر بالنفي مع الاستثناء:

القصر بلغة النحو هو الحصر. وهو جملة الاستثناء المفرغ المنفيّ. فإذا كان المستثنى منه غير موجود قبل إلاّ، وكانت الجملة مسبوقة بنفيٍ، كانت «إلاّ» في هذه الحالة أداة حصر، ولم تنصب الاسم بعدها على الاستثناء، وتخصّصت بالحَصْر أو بالقصر، كقولنا:

ما فازَ إلاّ المُجِدُّ.

هنا قصرنا الفوز على المجدّ أو قصرنا الصفة على الموصوف وكأننا قد قلنا (المجدّ فائزٌ حقّاً دونَ سواه) ويَقعُ الاسمُ بعد إلاّ في محلّه من الإعراب، وكأن إلاّ غير موجودة، فالمجدّ فاعل أو مُسند إليه في هذه الجملة.

---

(١) يصلحُ النّهي مكان النفي، نحو: لا تكنْ إلاّ مُجِدّاً.

قال الشاعر:

وما الفَخْرُ بالأحْسابِ إلا خرافةٌ إذا عادتِ الأفعالُ مَحْضَ كلامِ

هنا؛ مضمون معنى البيت: (الفخُر خرافة إذا خلا من الفعل): (الفخرُ) مقصور عليه. طرفان: موصوف وصفة فالجملة قصريّة، بطريقة النفي مع أداة الاستثناء التي هي (إلاّ).

ب ـ القصر بـ إنّما:

عرفنا (إنّ) بين الحروف المؤكّدة، فإذا لحقتها (ما) وهي من الحروف الزائدة زادت التأكيد تأكيداً لأن الحروف الزائدة تعدّ في بلاغة (علم المعاني) من المؤكّدات. ودخول (ما) الزائدة على (إنّ) الحرف الناسخ يُلْغي اختصاص (إنّ) بالدخول على الجملة الاسميّة فإذا بـ(إنّما) تدخل على الجملة الاسمية كما تدخل على الجملة الفعليّة:

إنّما الفنّانُ متقنٌ لِفنّهِ.

إنّما يُتْقِنُ الفَنّانُ فَنّهُ.

هذا أسلوب من أساليب القَصْر المعهودة وقد أفادت الأداة (إنّما) مَعنيين في آنٍ واحد وهما: التأكيد والقَصْر.

والقاعدة البلاغية في (إنّما) أنْ يأتي بعدها المقصور ثمّ المقصور عليه، فإذا قلتَ: إنّما الشاعرُ المتنبيُ. عَددَت (الشاعر) مقصوراً (والمتنبي) مقصوراً عليه. وإذا قلت: إنّما يعجبني شِعْرُهُ. عَددتَ (يُعجبني) مقصوراً، و(شِعْرُه) مقصوراً عليه..

ج ـ القصر بحروف العطف (لا، بَلْ، لكنْ):

١ ـ الحرف (لا) واحدٌ من حروف العطف بين متبوعٍ وتابع وهو يفيد معنى النفي. على أنَّ نفي ما يخالف المعهود أو المتفق عليه هو ضربٌ من التوكيد والقصر

فإذا قُلت:

صَلاحُ الدين قائدٌ لا شاعر.

كان الاسم الأول (صلاحُ الدين) طرفاً في القَصْر وهو المقصور عليه وكانت الصفة التالية اللاصقة به طرفاً آخر وهو المقصور. والمضمون العام هو توكيد صفة القائد وحصرها أو قصرها على شخصيّة صلاح الدين.

٢ ـ القصر بـ بَلْ: المعروف أن (بَلْ) حرف عطفٍ بين متبوع وتابع، وأن معناها يفيدُ الإضراب. وكلمة إضراب معناها إلغاء معنًى قبلها، وتثبيت معنى آخر بعدها. فالإضراب هو العدول عن الخطأ إلى ما يعتقد أنه الأصحّ، وهذا العدول نفسه فيه ضربٌ من القَصْر والتوكيد كما في هذا المثال:

لَيسَ صلاحُ الدين شاعراً بل قائدٌ.

فهُنا أكّدت صفة القيادة لصلاح الدين، ونفيتَ صفة الشاعريّة، وقصرْت عليه الصفة الثانية من دون الأولى. وقد وقع اسمُ (صلاحُ الدين) مقصوراً، وكلمة (قائد) مقصوراً عليه. ودلالة المعنى العام: صلاحُ الدين ـ لا شكَّ ـ قائدٌ، وليس شاعراً.

٣ ـ القَصْرُ بـ (لكنْ): تعرف (لكنْ) المخفّفة من (لكنّ) بأنها حرف عطف واستدراك. ومعنى الاستدراك هو تصحيح ما بدر من ظنّ أو خطأ قبل لكنْ. وفي الجملة الاستدراكيّة المسبوقة بنفيٍ يقع المقصور عليه بعد (لكنْ)، ويقع المقصور بعد أداة النفي. وهذا مثالٌ:

ليس مُعاويةُ شاعراً لكنْ خليفةٌ.

هنا؛ (معاوية) مقصور، و(خليفةٌ) مقصورٌ عليه. ومع ذلك نجد معنى الاستدراك في (لكنّ) غير المخففة وهي في هذه الحالة حرف مشبّه بالفعل، يدخل على الجملة الاسمية فينصب الأول ويرفع الثاني ويمكن حصول القَصْر باستعمالها، فنقول مثلاً:

ليس معاويةُ شاعراً لكنّه خليفةٌ.

هُنا؛ (معاوية) مقصور و(خليفة) مقصور عليه، تماماً كما رأينا في الجملة الأولى.

د ـ القصر بتقديمِ ما حقُّه التأخير:

هذا هو الأسلوبُ الرابع من أساليب القصر الأساسيّة وقد رأينا أنّ التقديم والتأخير باب واسعٌ من أبواب علم المعاني في البلاغة العربيّة. ومن حيثِ المبدأ: إن تقديمَ شيءٍ، يعني أهمّية ما تقدّم بالنسبة لما تأخّر عنه هذا من وجهة نظرِ المتكلّم على الأقل الذي يَقْصُر ويُخصّص ويؤكّد كما توحي إليه ملاءمة الكلام لمقتضى الحال. فلوْ قالَ المتكلّم لأحد من مجلسِهِ:

إيّاكَ أقصِدُ.

فلقد قصر قصدَهُ على المخاطب وأكّده، وإلا لقالَ له: بلا قَصْرٍ: أنا أقصدك، أو أنتَ المقصود.

ولو قُلنا في مثالٍ آخر:

جميلٌ الربيعُ.

بتقديم الخبر على المبتدأ، كان في هذا التقديم ضربٌ من القَصْر وكأنّنا قُلنا: إنّما الربيعُ جميلٌ. أو قلنا: لا جميلَ بين الفصول إلاّ الربيع..

في تقديم ما حقّه التأخير يأتي المقصور عليه أوّلاً، والمقصور ثانياً. هنا؛ (جميلٌ) مقصورٌ عليه. و(الربيعُ) مقصور. وهذا خلافُ طريقة (النفي مع الاستثناء) حيث يأتي المقصور أوّلاً، والمقصور عليه ثانياً.

٢ ـ طُرق القصر المُلحقة:

القَصْرُ كما عَرفنا نوعٌ من التخصيص، وهذا التخصيص يكونُ بيْن طرفين، قد يكون أحدهما: اسماً أو فِعْلاً أو شبه جملة. ومثل هذا التخصيص باب واسع جدّاً

وأساليبه عديدة جداً، اشتهر منها ونكرر ما ذكرناه على أنه (طرق القصر الأساسيّة)، بينما نلتقط طُرقاً أخرى للقصر نعدّدها مع التمثيل لها، دون أن ندّعي أننا استقصَينا بها طُرق القَصْرِ وأساليبه. ومن هذه الطرق الملحقة:

١ ـ استخدام ألفاظ تفيد القصر والتخصيص: من أمثال: وحده، بمفرده، ليس إلاّ.. نحو:

أنت ـ وَحْدَكَ ـ تُعجبني. بمدلولِ قصريّ: لا يعجبني إلاّ أنت.

٢ ـ استخدام التفقيط لغاية التخصيص، نحو:

أنت ـ فقط ـ تعرفُ واجبك. بمدلولٍ قصريّ: ما عارفٌ إلاّ أنتَ.

٣ ـ استخدام ضمير الفصل، نحو:

الله ـ هو[1] ـ الرازق. بمدلولٍ قصري: لا رازق إلاّ اللهُ.

٤ ـ استخدام الاعتراض بجملةٍ أو شبه جملةٍ أو مُفْرِدٍ، نحو:

ـ أنت ـ إذا أخلصت ـ محبوبٌ: (الاعتراض بجملة).

ـ أنتَ ـ بإخلاصِك ـ محبوبٌ: (الاعتراض بشبه جملة جار ومجرور).

ـ أنتَ ـ فَوْقَ مكانتِك ـ محبوبٌ: (الاعتراض بشبه جملة ظرف).

ـ أنتَ ـ مجتهداً ـ خيرٌ مِنْكَ مُتوانياً: (الاعتراض بمفرد حال).

ولكلِّ جملةٍ مما تقدّم مدلولٌ قصريٌّ، لا يَصْعُبُ استنتاجُهِ، مِن قبيل:

إنما إخلاصُك مَحبوبٌ.. إنما اجتهادُك خيرٌ لك.

هـ ـ بلاغة القصر وطُرقِهِ:

يُعَدُّ التخصيص بالقصر أُسلوباً من أساليب توكيد الخبر وقد عرفنا سابقاً أن التوكيد ينقل الخبر من ابتدائي إلى طلبيٍّ إلى إنكاريّ، وهذه هي أضرُب الخبر في

(١) ضمير الفصل لا محل له من الإعراب، ويفصل بين المبتدأ والخبر المعرفتين لأمنِ التباس النعت بالخبر.

موضوع (الخبر والإنشاء) من علم المعاني. . وعلى سبيل التوضيح بالمثال نقول لأحدهم: أَنْت فارِسٌ، ونقول: إنما أنت فارسٌ.

ونتساءَل أيهما الأقوى في التأكيد على فروسيّة المخاطب؟ سيكون الجواب: إنَّها العبارة الثانية المشتملة على القصر.

ومع ذلك إنَّ لطرقِ القصر درجاتٍ من البلاغة والتأثير، تُعدُّ أقواها، طريقة النفي مع الاستثناء، تليها طريقة القصر بـ(إنّما) تليها طريقة النفي والاستدراك بالحروف (لا، بل، لكن) وتأتي بعد ذلك طريقة (تقديم ما حقُّه التأخير). ولهذا الحكم ما يبرره لدى علماء البلاغة، وأرباب التذوّق البلاغي. وإنّ تأمّل الأمثلة والشواهد مما تقدّم، ومما سيأتي، يعطينا فرصةً أكبر لنفهم تقديم طريقةٍ على أخرى.

و ـ نماذج من القَصْر وطُرُقِهِ:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ . .﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ . .﴾ [سورة النحل: ٧٧].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سورة فاطر: ٢٨].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [سورة الرعد: ٤٠].

٥ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «إنّما بُعثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق».

٦ ـ وقال رسولُ الله ﷺ: «ما نَهَيْتُكُمْ عنه فاجتنبوه. .».

٧ ـ وقال الشاعر مادحاً:

وما أَنْتَ إلاّ البَحْرُ قِيلَ لجوده ... الا فَلْتَكُنْ بَحْرَ النَّوالِ فَكانا

٨ ـ وقال عَبْدالله بن المعتز(*):

وما العيشُ إلاّ مدّةٌ سَوْفَ تنقضي ... وما المالُ إلاّ هالكٌ وابْنُ هالِكِ

٩ ـ وقال أبو الطيّب المتنبّي:

راحلٌ أنْتَ والليالي نزولُ ... ومُضِرٌ بكَ البقاءُ الطويلُ

١٠ ـوقال ابْنُ الروميّ(**) يَمْدحُ:

مَعْروفه في جميع الناسِ مُقْتَسَمٌ ... فحمدُه في جميعِ الناسِ لا العَصَبِ

١١ ـوقالَ الشاعرُ في الهِجاء:

ما أنتَ تَعلبُهم بل أنْتَ هِرَتُهُمْ ... تموءُ من جوعِها حيناً وتَنْكَتِمُ

١٢ ـوقال أبو العلاءِ المعرّيُّ:

ألا في سبيلِ المجدِ ما أنا فاعلُ ... عفافٌ وإقدامٌ وحَزْمٌ ونائِلُ(١)

١٣ ـوقال الشاعرُ مادحاً:

أراكَ ـ وَحْدكَ ـ في جودٍ ذُكِرْتَ بِهِ ... وإنّما الجُودُ لفظٌ أنْت مَعْناهُ

١٤ ـوقال الشاعر في مدح قوم:

وما يَرومونَ ما أَعْطَوْا مُكافأةً ... إلاّ مِن الحَمْدِ والعِرفان كالحُلَلِ(٢)

١٥ ـوقال لبيدُ بنُ ربيعة العامري(٣):

وما المَرْءُ إلاّ كالشِهابِ وضَوْئهِ ... يحَورُ(٤) رماداً بَعْدَ إذْ هُوَ ساطِعُ

(*) شاعر عباسي وابن خليفة، صاحب كتاب «البديع» قُتل عام ٢٩٦هـ.

(**) علي بن العباس بن جرجيس شاعر عباسي غزير الشعر اشتهر بالهجاء الساخر. توفي عام ٢٨٣هـ.

(١) النائل: العطاء.

(٢) الحُلل: جمع حُلّة، وهي الثوب الفخم الثمين.

(٣) شاعرٌ جاهلي من أصحاب المعلّقات دخل في الإسلام فأقلع عن قول الشعر. توفي حوالى ٦٠هـ.

(٤) يحورُ: يتحوّل.

٦ ـ الفَصْل والوَصْلُ

أ ـ مقدّمة:

عرفنا من دراستنا للتوابع في علم النحو، أنّ هنالك أدواتٍ للعطف بين المتبوع والتابع، وكلّ أداةٍ رغم كونها حرفاً لا محلّ له من الإعراب تفيد معنى خاصّاً إلاّ الواو فإنها تفيد مطلق الجَمْع بلا تحديد، ولذلك كانت واو العطف أصلح الأدوات العطفيّة للوصل بين الجُمل كلّما وجدت علاقة تقتضي الوصل بين جملتين. على أنّ إدراكَ هذه العلاقة ليس أمراً سَهْلاً بل هو سرُّ البلاغة نفسها، وهو بحث جليل الشأن من أبحاث علم المعاني.

سُئِل أبو علي الفارسيُّ وهو أحد رجالات اللغة والنحو والبلاغة في القديم: ما البلاغةُ؟ فأجاب: «هي معرفة الفصل من الوصل». وكان يزيدُ بن معاوية بن أبي سفيان يقول: «إيّاكُمْ أن تجعلوا الفَصْل وَصْلاً، فإنّه أشدُّ عَيْباً من اللّحْن».

وإذا عرفنا أنّ (اللّحْنَ) هو الخطأ في ضبط حركاتِ الإعراب في أواخر الكلمات ضمن الجُمل، أدركنا أهمية موضوعِ (الفَصْلِ والوصلِ) في تأثيرهِ على صِحّةِ اللغةِ وفصاحتها. وهذا ممّا يشجّعنا لنعرفَ مواطنَ الوصل والفصل في بلاغةِ علم المعاني.

ب ـ تعريف الوصل:

هو استخدام واو العطف بين جملتين إمّا لعلاقةٍ بينهما أو لأَمْن الالتباس وسوء الفهم. فعندما تقول لأحدهم: (سافر أبوك. سيعودُ قريباً) تجد ما يحثّك على

الوصل بين الجملتين للعلاقة الوثيقة بين السّفر والعودة المتوقعة للمسافر فيكون أبلغَ القول قولك: «سافر أبوك، وسيعودُ قريباً» فهذا الوصل بالواو التي هي في الأصل واو العطف وَصْلٌ ضروريٌ وجوباً ليحكم الصلة بين شقيّ العبارة المؤلفة من جملتين.

ولو سألكَ مَنْ سَمع بالخبر:

هل عادَ أبوكَ؟

وكان الجوابُ سَلْباً بالحرف لا ولو كنت تحب الدعاء لأبيك بالعودة بالسلامة فهل تقول في الجواب عن السؤال (لا، أعادَه اللّهُ بالسّلامة)؟!..

سيكون جوابُكَ المسموعُ دعاءً على أبيك وليس دعاءً لَهُ وإلاّ وَجَبَ الفصل بين حرف النفي (لا) وبين الجملة الدعائية بالواو لتقول في الجواب عن السؤال السابق: هل عاد أبوك؟ «لا، وأعادَه اللّهُ بالسّلامة». وهذا هو الوَصْلُ وُجوباً.

ج ـ تعريف الفَصْلِ:

الفَصْلُ هو ضدّ الوَصْل ويكونُ بالاستغناء عن (الواو) في العطف بين الجملتين، وذلك لعدم لزوم الوَصْل بلاغيّاً. وحالاتُ عدم لزوم الوَصْل عديدة سنعرفها فيما بَعْد. ومن أمثلتها أن تتوالى جملتان إحداهما خبريّة والثانية إنشائية أو العكس كما هو في هذين المثالين:

نزلَ المطرُ. خُذ المِظَلّة معك: (خبر ثم إنشاء).

هل تصحبني؟ إنّي أنتظرُكَ: (إنشاء ثم خبر).

هذا الاختلاف بين الجملتين المتعاقبتين من حيث الخبر والإنشاء يعدُّ سبباً وجيهاً للفصل بين شقّي العبارة كما رأيت. ولا بدّ لنا من العودة إلى موضوع (الخبر والإنشاء) في علم المعاني قبل الدخول في موضوع الفصل والوصل لأنه شِبْه معلّق بالخبر والإنشاء.

د ـ مواضع الوَصْل:

نوجز قاعدة الوصل وجوباً بما يلي:

يجب الوصلُ بين الجملتين في ثلاثة مواضع:

أوّلاً: إذا قُصد إشراكُهُما في الحكم الإعرابي.

ثانياً: إذا اتّفقتا خبراً أو إنشاءً وكانَتْ بَيْنَهُما مناسبةٌ تامة، دون داعٍ للفَصْل بينهما.

ثالثاً: إذا اخْتلفتا خبراً وإنشاءً، وأدّى الفَصْل بينهما إلى خلاف المقصود أو ضِدِّهِ.

ونتناولُ شرحَ هذه القواعد مع الأمثلة والشواهد الضرورية للإيضاح.

أوّلاً: اتّصالُ الجُملتين المشتركتين في الحكم الإعرابي:

لو قال قائلٌ: أنا أكِدُّ وأتْعَبُ لأرتزقَ.

لم يكن خافياً علينا أن جملة (أكِدُّ) وَقَعَتْ خبراً للمبتدأ (أنا) وتبعتها جملة (أتعبُ) في محلِّ رفعٍ، والمناسبة بينهما واحدة، وهي التعب من أجل الرّزق. ففي مثل هذه الحالة يجب الوصل بين الجملتين بالواو. ومثل ذلك قولُ أبي بكرٍ الصّديق في أوّل خطبة له عندما وليَ الخلافة: «أيُّها الناسُ، إنّي وُلّيتُ عليكُمْ ولَسْتُ بِخَيْرِكُمْ» وقعت جملةُ «وُلّيت» خبراً للحرف الناسخ (إنّ) وتبعتها جملةٌ تؤدّي المراد في المناسبة وتتّحدُ مع سابقتها في الحكم الإعرابيّ فهي مثلها في محلّ رفع. ولا يُشْتَرط أن يكون للجملتين محلٌ من الإعراب (رفع ونصب وجرّ) والمهمّ أن يشركَهما المتكلّم في علاقة تابعٍ بمتبوعٍ بوساطة واو الوصل ولو ابتداءً كأن تقولَ: أُحبُّ الصّدقَ وأكْرَه الكذبَ.

ثانياً: إذا اتفقت الجملتان خبراً وإنشاءً، وكانت بينهما مناسبة تامّة، ولم يكُنْ هناك سببٌ يقتضي الفصل بينهما في هذه الحال يجب الوصل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [سورة الانفطار: ١٣

ـ ١٤]. هنا جملتان خبريّتان بينهما تناسب في الفكر، وهو أن ينقلب المصير إذا انقلب العمل، فيلقى الفجّار جحيماً إذا لقيَ الأبرارُ نعيماً. هنا يجب الوصل إذ لا داعي للفصل لأيّ سبب، ومثل هاتين الآيتين في حكم الوصل قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [سورة التوبة: ٨٢].

إلا أن الوصل هاهنا بين جُملتين توافقتا إنشاءً، فكلٌ منهما تشتمل على الأمر بلام الأمر وهو من الإنشاء.

ثالثاً: إذا اختلفت الجملتان خبراً وإنشاءً وأوهم الفصل بينهما بالواو خِلافَ المقصود أو ضدّه وجب الوصل في هذه الحالة كما في قولك جواباً على من يسألُك:

(هل أساعِدُكَ؟):

لا، وَبارَكَ اللّهُ فيكَ..

فإنَّ إلغاء الوصل بالواو في هذا المثال يقلبُ المعنى من دعاءٍ للمخاطب إلى دُعاءٍ عليه. ولهذا وجب الوصل بالواو بين (لا) التي تختصر جُملةً خبرية (لا حاجة للمساعدة) وبين جملة: (بارك الله فيك)، التي هي خبريةٌ لفظاً إنشائيةٌ معنًى، والعبرة بالمعنى الذي تقديره «فَلْيُبارك اللهُ فيك» وكأنّه من الأمر الذي خرج عن معناه إلى الدعاء.

هـ ـ مواضع الفَصْل:

يَجبُ الوَصْلُ بين الجملتين في مواضع عَرَفْناها كما يَجِبُ الفصل في عدة مواضع تقابلها وهذه المواضع هي:

أ ـ أن يكون بين الجملتين اتّحاد تامٌ كأن تكون الجملة الثانية بدلاً من الأولى، أو توكيداً أو بياناً لها وهذه العلاقة تسمّى (كمال الاتّصال).

فإذا قُلتَ لأحدهم: اعتنِ بصحّتك، وأردفتها ببيانٍ لها يوضح العناية بالصحّة كيف تكون، وجب الفصل في هذه الحالة، كأن تقول:

اعتنِ بصحّتك، أقصُدُ لا تُهمِلْها..

وإذا قُلْتَ لغيرك: «اسأل الذي تكفَّلَ بك، تكفّل برزقك وحياتك ومماتك» كانت الجملة الثانية بدل تفصيل للجملة الأولى ووجب الفصل بينهما.

وفي عبارة ثالثة، إذا قُلتَ: «أمهِلْ أخاكَ المُعْسِر، تمهّل عليه بالمطالبة» فصلت بين الجملتين لأن الثانية منهما جاءت توكيداً لفظياً للأولى تكرر فيه لفظ الإمهال والتمهّل.

وهكذا يَعْسُرُ الوصل بين جزأي المعنى الواحد وكأنهما منفصلان ولهذا يُسْتغنى عن الوَصْل.

ومن هذه الفئة قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٣٢ ـ ١٣٣].

فالعلاقة بين الجملتين علاقة بدلية، شملت الكُلَّ أوّلاً، ثم ذكرت بعضَ هذا الكلّ (أنعام وبنين). فهذا بدل بعضٍ من كُلّ.

ومن بيان جملة لجملة قول أبي الطيب المتنبي في الفخر:

وما الدَّهرُ إلاّ من رُواةِ قصائدي إذا قلتُ شِعْراً أصْبَحَ الدَّهرُ مُنْشِدا

فهنا بين الشطرين أو الجملتين، كمالُ اتّصال يجب فيه الفَصْل.

ب ـ ومن مُوجِباتِ الفَصل أن يكون بين الجملتين اختلاف تامّ من خبرٍ إلى إنشاءٍ وألاّ تكون بينهما مناسبة، وهذا هو (كمالُ الانقطاع) ومثالُهُ قول الشاعر:

يا صاحِبَ الدُّنيا المُحِبُّ لها أنتَ الذي لا يَنْقَضي تَعَبُهْ

فجملة النداء جملة إنشائية، تَلَتْها جُملة خبرية. وفي قول الآخر:

وإنّما المرءُ بأصْغَرَيْه كُلُّ امرىءٍ رهْنٌ بما لَدَيْهِ

لا نجد مناسبة وثيقة بين الجملتين أو الشطرين، ولذلك وجب الانفصال..

ومن ذلك قولك لمن يهمّك أمرُه: اسْمَعْني جيّداً: النظافةُ من الإيمان.

فهنا جملتان؛ الأولى إنشائية بالأمر (اسْمَعْني)، والثانية خبريّة. وليس بين السماع والنظافة صلة أو مناسبة لذا وَجَبَ الفصل وعدم الوَصل. وهكذا يجب الفصل في مثل قولك: «إنّ المَوْتَ حقٌ، دَعْك من الغرور» فقد بدأتَ بجملة خبرية تلتها جملة إنشائية فوجب الفَصْل وعَدَمُ الوصل.

ج ـ يجبُ الفَصْل، إذا توالتْ جملتان، كانت الثانية منهما جواباً عن سؤالٍ يفهم من سابقتها. وهذا ما يسمّى (شبه كمال الاتّصال) لأن العلاقة بين السُّؤال والجواب عنهُ، تظلُّ علاقةً وثيقةً ومتّصلةً وإن لم تشبه علاقة البدل بالمبدل منه أو علاقة المؤكّد بتوكيده. قال أبو الطيّب المتنبي في مِثْل ذلك:

يقولونَ لي ما أنتَ في كُلِّ بَلْدةٍ؟ وما تَبْتَغي؟ ما أبتغي جَلَّ أَنْ يُسْمىٰ

فهنا؛ فصلَ بين جملتي السُّؤال والجواب في الشَّطر الثاني: (وما تبتغي؟ ما أبتغي جلّ أن يُسمى) لأن العلاقة بين الجملتين فيها (شبه كمال اتصال) علاقة سؤال بجوابه.

ومن ذلك مثلاً أن تجيب عن سؤالٍ من سألك هل تحبُّ العِلم؟ بقولك: «أحبُّهُ» دونما حاجةٍ إلى الوصل بالواو، بل أنْتَ فَصَلْت بين (هل تحبُّ؟) و(أحبّ) فَصْلاً واجباً بالاعتبار البلاغي الذي بَيّنَتْهُ القاعدة.

و ـ علاقة الحال بالوصل والفصل:

في الموضوع الأخير من موضوعات الوصل والفصل نتطرّقُ إلى «واو الحال» التي تلزم بعض الجمل الحاليّة كما في قولك: «لا تُعاقِبْ وأنْت غَضْبان» أو «ادخُلْ وأنت تَبْتَسِمُ» أو «رجَعَ وهو مسرورٌ»..

عرفنا في كتب النحو أنّ (الحال) الذي يؤتى به لبيان هيئة الفاعل أو المفعول حين وقوع الفعل، قد يقع جُملةً فعليّةً (خَرَج وقد تفاءَل) أو جملة اسمية (خرجَ وهو متفائل) ولا بدّ في هذه الجملة التي تقوم بوظيفة الحال من اشتمالها على

رابط. ويكون هذا الرابطُ ضميراً عائداً على صاحب الحال أو (قد) مع الفعل الماضي، ويهمّنا هاهنا موضوع واو الوَصْل. ويكون الرابطُ (واو الوصل) في الجملُ الحاليّة المذكورة فيما يلي:

١ ـ الجملة الحالية الاسميّة التي أوّلها ضمير عائدٌ على صاحب الحال. نحو:

جئتُ وأنا مُسْتَبْشِر بالفوز.

٢ ـ الجملة الحالية التي فعلها ماضٍ مسبوقٌ بقد نحو:

عُدْتُ وقد اطمأنَّ بالي.

٣ ـ الجملة الحالية الاسمية التي تخلو من ضميرٍ يعود على صاحب الحال. نحو:

خَرَجْتُ وَالمَطرُ ينزِلُ بغزارةٍ.

وتقابلُ هذه الحالاتِ في الجملة الحالية حالاتٌ أُخرى يجب فيها الفَصْل وهذه هي:

١ ـ إذا كانت جملةُ الحال فِعلاً ماضياً وقع بَعْد إلاّ نحو:

ما زارَني أَحْمَدُ إلاّ سرّني.

٢ ـ إذا كانت جملة الحال فِعْلاً ماضياً بعدَه أوْ ومعها فِعْل آخر كقولك:

أحبُّه عَبَسَ أو ابْتَسَمَ.

هنا (عبس) جملة مفصولةٌ.

٣ ـ إذا جاءت جُملةُ الحال فِعْلاً مُضارِعاً مثبتاً أو منفيّاً بِـ(لا) أوْ بـ(ما) كما في الأمثلة الآتية:

ـ دَخل الأبُ ينتفضُ من الغضب.

ـ عَرَفْتُهُ لا يغضَبُ لأيِّ سببٍ.

ـ عَهِدتُك ما تُغضِب أباك.

ز ـ نماذج من الوصل والفصل:

أوّلاً ـ الوَصْل:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٩].

سبب الوصل: اتفاق الجملتين في الإنشاء، ووجود المناسبة وهي النصح بالاعتدال في الإنفاق.

٢ ـ قال رسولُ الله (ﷺ): «ما نهيتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وما أَمَرْتُكُمْ به فَأْتوا مِنْهُ ما اسْتَطَعْتُمْ..».

سبب الوصل: اتفاق الجملتين إنشاءً، ووجود المناسبة بينهما وهي: اجتنابُ المُحرَّم وإتيان الموصى به.

٣ ـ قال أبو العتاهية:

تَأْتي المَكارِهُ حينَ تَأْتي جُمْلَةً ... وأرى السُّرورَ يَجيءُ في الفَلَتاتِ

سبب الوصل: اتّفاق الجملتين خبراً. ووجودُ المناسبة بينهما بعلاقة التضادّ بين حلول المكاره وحلول المسرّات.

٤ ـ وقال أبو العلاءِ المعرّي:

يَصُونُ الكريمُ العِرْضَ بالمالِ جاهِداً ... وذُو اللُّؤْمِ للأَمْوالِ بالعِرْضِ صائِنُ

سبب الوصل: اتفاق الجملتين خبراً، ووجود المناسبة بينهما وهي صون العِرْضِ بالمال، وصون المال بالعِرض.

٥ ـ وقال الشاعر:

المالُ يَذْهَبُ في ضَنٍّ ومَسْرَفَةٍ ... ويَحتوي كَنْزَ إحْسانٍ إذا بُذِلا

سببُ الوصل: إشراك الجُملتين (يذهب ويحتوي) في الحُكْم الإعرابيّ، وهما جملتان خبريّتان؛ محلُّهما الرَّفْعُ إعراباً.

٦ ـ في حوار اثنين:

ـ هل خَرجَ المريضُ مِنَ المستشفى؟.

ـ لا، وعافاهُ الله.

سبب الوَصْل: اختلافُ الجملتين (لا، لم يَخْرُج) و(عافاه الله) خبراً وإنشاءً، وخوفُ التباس المعنى إذا تركت الجملة الثانية بلا وَصْلٍ (لا عافاه الله) إذ تَنقلبُ من دُعاءٍ للمريض إلى دُعاءٍ عليه. عِلْماً بأن (لا) وَحْدها تشكل إيجاز حذف مدلوله كما قدّرْنا (لا لم يَخْرُج) وهذا خبر يُقابله جملةٌ خبرية لفظاً إنشائيّة معنًى، والمعنى هو الأهم. (عافاهُ الله) تعني: (فَلْيُعافِهِ اللهُ).

ثانياً ـ الفَصْل:

١ ـ قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [سورة الانشراح: ٥ ـ ٦].

سبب الفَصْل: كمال الاتصال بين الجملتين وقد وقعت الثانية توكيداً لفظياً للأولى تُعيد العبارةُ نفسها، فلا مُوجب للوصل.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [سورة الرعد: ٢].

سبب الفَصْل: كمال اتّصال بين الجملتين الأولى والثانية في الآية السابقة وقد جاءت الثانية بياناً وتفسيراً لسابقتها مما يوجب الفَصْل.

٣ ـ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟، هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ . .﴾ [سورة الصف: ١٠ ـ ١١].

سبب الفصل: وقوع شبه كمال اتّصال بين جملتي: (هل أدُلُّكُمْ. . ، تُؤمنون بالله . .) فالثانية (تؤمنون بالله . .) جوابٌ على سؤال: هل أدُلُّكُمْ؟ . . وهذا يقتضي الفَصْل.

٤ ـ قال الشاعر:

شاءَتْ مشيئَتُهُ كُونوا كما حَكَمت والعَبْدُ آخِرُ مَنْ يَقْوىٰ على القَدَرِ

سبب الفَصْل: كمالُ انقطاعٍ بين الخبر والإنشاء: (شاءتْ ـ كونوا) وفيهما: (خبر ابتدائي ـ أمْر) وهذا أحدُ أسبابِ الفصل بين الجملتين المتعاقبتين وعدم الوَصْل.

٥ ـ قال أبو تمّام في المدح:

ليسَ الحِجابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لي أَمَلاً ... إنّ السَّماءَ تُرجّى حين تَحْتَجِبُ

سبب الفصل: شِبْه كمال اتّصال بَيْنَ الجملتين (ليس الحجابُ) و(إنَّ السّماء..) فالثانية جاءَت جواباً على سُؤالٍ مُتَوهَّم: هُو: (كيف لا يقطعُ الحِجابُ الرّجاءَ فيك؟..) ليأتي الجواب: (السّماءُ تُرجّى وهي مُحْتجبةٌ بالغيوم) أو بما معناه ذلك.

٦ ـ وقال الحطيئةُ (جَرْوَلُ بن أوس العبسيُّ):

مَنْ يفعَلِ الخَيْرَ لم يَعْدَمْ جَوازِيَهُ ... لا يذهبُ العُرْف بَيْنَ اللهِ والناسِ

سبب الفصل: شبه كمال اتّصال بين الجملة الأولى الشرطية، والجُملة الثانية (لا يذهَبُ العُرْفُ). لأنَّ الجملة الثانية جاءت جواباً على سُؤالٍ مُفْترضٍ: (كيفَ لا يَعْدمُ فاعِلُ الخيرِ جائزتَهُ؟) ومضمونُ الجواب: أن الله لا يُضيعُ مَعْروفاً لصاحبِهِ ولو أضاعَه الناسُ.

٧ ـ الإيجاز والإطناب والمُساواة

أ ـ مقدّمة في الأساليب:

كلُّ مَنْ استجمعَ عُلومَ البلاغة العربية من بيان وبديع ومعانٍ يتّبعُ في تطبيقها ما يدلُّ على خبرته في ملاءمة الكلام لمقتضى الحال. وهو لا بدّ لاجىءٌ إلى أحد ثلاثةِ أساليب ستتطرّقُ إلى شرحها واحداً بعد الآخر.

الأسلوب الأول: **الإيجاز** وهو أن يؤدّي البليغ معناه بأقل الكلام، وتكون له في ذلك غاية بلاغية يدركها من يتوجّهُ إليه بالكلام.

الأُسلوب الثاني: **الإطناب**، وهو في الأصل مَدُّ الطُّنُب وهو الحَبْل الطويل الذي تُشدّ به عُمُد الخيمة لتستقر. وفي الكلام هُو الإطالة والتفصيل بما يُشعِرُ بأن الألفاظ أكثر مما يحتملها المعنى المنقول بها.

الأسلوب الثالث: **المُساواة**، ويقوم هذا الأسلوب على أداءِ العبارة بألفاظٍ على قدر معناها، فهي تُساويهِ بحيثُ لا يحذف منها محذوف إلاّ وأخَلّ بالمعنى. وهذا الأسلوب هو الأصل المقيس عليه، وبه نقارن ما هو موجز وما هو مُطْنِب أو مُطيل. ولقد جَعَلناهُ آخراً في بحثنا لأنه مُعْتَمَدٌ في كُلِّ الكلام حتّى في النثر العلمي، وهو آخر ما يهمّنا في دراسة علوم البلاغة العربية وفنونها.

ب ـ الإيجاز:

نتناول تحت عنوان الإيجاز ثلاثة موضوعات هي: تعريف الإيجاز ـ أقسام الإيجاز ـ مواطن استعماله.

١ ـ تعريف الإيجاز:

الإيجاز أسلوب بلاغي يقوم على جمع المعاني الغزيرة في ألفاظ قليلة (حذفاً أو اختصاراً) مع مراعاة الوضوح والتأثير في المتلقي. وخير ما يمثّل الإيجازَ أُسلوبُ الحِكَم والأمثال، وما اصطلح عليه عامّة الناس من محذوفات. وهذه أمثلة:

- الحَسُودُ لا يسود.
- الكَذِبُ حيلةُ الضّعيف.
- صديقُكَ من صَدَقَك.
- فُلانٌ غربت شَمْسُهُ(*).
- اضحَكْ في عِبِّك(**)..
- فلانٌ لا يقول: لا(***).

ولا يصعُبُ علينا أن نستنتج من تعريف الإيجاز وأمثلته أنّهُ يُقسم إلى قِسميْن هما: إيجاز القِصَر الذي ضَمَّنَ المعاني الكبيرة في ألفاظ قليلة ومختصرة. وإيجاز الحذف الذي حَذَفَ أجزاءً من الجُمَل أو جُملاً بأكملها اعتماداً على معرفة السامع بها ولكونها مُستنتجة من السّياق.

٢ ـ أقسامُ الإيجاز:

فيه قِسمان كما رَأَيْنا: إيجاز القِصَر وإيجاز الحذف.

أ ـ **إيجاز القِصَر**: أُسلوبٌ يقدّم المعاني في أقلّ من حجمها ألفاظاً، دون حَذْفٍ لأي جزءٍ من أجزاء الجملة النحويّة. وسيتّضح لنا من خلال بعض نماذجه أن إلمامنا بمعانيها لا تستوعبه ألفاظ بالحجم نفسه، ولا بدّ

(*) غربت شَمْسُهُ: عبارة عامية موجزة تقوم على الكناية ومعناها اقترب من حافة الموت لمرضٍ أو خطر محدقٍ به.

(**) عبارة عاميّة توجّه لمن أسعفه الحظّ، وآن له أن يضحك دون أن يشعر به أحد.. وقد استخدمت فيها الكناية من البيان.

(***)كناية وإيجاز حذف يقصد بها الوضيع دنيء النفس.

فيها من ألفاظ كثيرة جداً لِشَرْحها لكنّ هذا الشرح وإنْ أصاب سيخرج بالإيجاز عن غايته وهي التأثير البليغ بأقلّ الكلام.

ـ قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [سورة البقرة: ١٧٩].

ـ وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [سورة النبأ: ١٠ ـ ١١].

ـ وقال تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [سورة التوبة: ١١٨].

ـ وقال رسولُ اللّهِ (ﷺ): «الضعيف أمير الرَّكْب»(١).

ومن أبلغ الإيجاز الذي ذَهَب مَذْهبَ المثل قول الخليفة أبي جعفر المنصور لقومٍ اشتكوا إليه أميرهم، قال:

«كما تكونون يُولّى عليكم».

وهذا معناه أن العيب فيهم دون إطالة في الشرح. وهذا هو إيجاز القِصَر.

ب ـ **إيجاز الحذف**: أسلوب يستعمل ألفاظاً قليلة لأداء معنى أكبر منها مع حذف أجزاء من بناء الجملة مما يعوضه السامِعُ أو القارىء بخبرته وذكائه. ويلاحظ الفرق بين إيجاز القِصَر وإيجاز الحذف بأن المضمون في العبارة الموجزةِ إيجاز قِصَر يحتويه اللفظ نَفْسُه، بينما المضمون في العبارة الموجزة إيجازَ حَذْفٍ لا يحتوي لَفْظُهُ إلاّ ومعه تقديرٌ لما حُذِف كأنْ تقولَ لأحدِهم:

هَلْ تُحبُّ المُطالعةَ أَمْ لا؟.

فمن الواضح أن في سؤالك إيجازَ حَذْفٍ وتقديره:

هل تحبُّ المطالعةَ أم لا تحبُّها؟.

ويبدو أن إيجاز الحذف هو الأكثر استعمالاً وانتشاراً بين الناسِ لضرورةِ

---

(١) أميرُ الركب: بمعنى أن القوم الذين في الركب يتسخرون له ويخدمونه وكأنه أميرهم.

السُّرعة والاختصار. فتسمعُ الناس يقولون بأُسلوبِ إيجاز الحَذْف دون أن يخفى المحذوف:

١ ـ سَمِّ: وتمامُها من دون حذف: قُلْ «بسم الله الرحمن الرحيم».

٢ـ شُكْراً: وتمامُها: أشكُرُكَ شُكْراً.

٣ ـ الله أكبر: وتمامُها: الله أكبر مما ذكرت أو وصفت.

٤ ـ مريضٌ: وتمامها: هو مريض أو أنا مريض جواباً عن سؤال كيف حاله؟ أو كيف حالك؟.

٥ ـ بالسلامة: وتمامها: لترجِعْ إلينا، مصحوباً بالسلامة.

٦ ـ مليحٌ: وتمامها: إن ما قلته مليح مقبول.

ومن أهم ما ذُكر في إيجاز الحذف هذه المحذوفات:

١ ـ حذف حرفٍ كما في قول الشاعر، معرضاً عن شراب الخمر:

فلا واللـهِ أشربُها حياتي ... ولا أسقي بها أبداً نديما

حذف «لا» وقصد: لا أشربُها مدى حياتي.

٢ ـ حذف الموصوف: كقوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي عملاً صالحاً.

٣ ـ حذف الصفة: كقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ أي رجساً مضافاً إلى رِجْسِهِمْ.

٤ ـ حذف فعل الشرط: كقوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي فإن تتبعوني يُحبيكم..

٥ ـ حذف المُسْنَد: كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ أي خلقهن الله.

٦ ـ حذف المُسْند إليه: كقول الشاعر:

إذا حَدَّثتْ بالشرِّ فاقمعْ حديثَها وخلِّ هواها في القرارة أعزلا

أي إذا حدثت النفس بالشرّ.

٧ ـ حذف المتعلّق للجار والمجرور أو الظرف: كقوله تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ أي: يُسألون عن فِعلهم.

أو كقول القائل: جَلَسْتُ تحت الشجرة فاجْلِسْ أي: فاجلِسْ تحت الشجرة.

٨ ـ حذف جملة بكامِلها: كقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي: فاختلفوا فبعث..

٩ ـ حذف عددٍ من الجُمل في معرض الحكاية أو غيرها: كقول القائل:

بعثتُ إليه برسالةٍ فقال في ردِّه عليها لا فُضَّ فوك..

على تقدير: بعثتُ إليه برسالةٍ، فوصلت إليه، ففضّها، فقرأها، فقال في ردّه..

١٠ ـحذف المضاف أو المضاف إليه كقول القائل:

هو يَسْعى في الخَيْرِ ليثاب عَنِ الحَسَنَةِ بِعَشْرٍ.

أي: هو يسعى في سبيل الخير، ليثاب عن الحسنةِ بِعشر حسناتٍ.

وفي مجال الحذف مرَّ بنا من قبل حذفُ المسند والمسند إليه وحذف المفعول به وتُعيننا أبحاث النحو على إحصاء مزيدٍ من المحذوفات..

٣ ـ مواطن استعماله:

١ ـ الشّكوى: ضِرْسي: إيجاز حذف، والأصل: ضرسي تؤلمني.

٢ ـ الاستعْطاف: رِفْقاً!: إيجاز حذف، والأصل: ارفق بي رِفقاً.

٣ ـ الاعتذار: عَفْواً!: إيجاز حذف، والأصل: اعفُ عني عفواً.

٤ ـ التّعزية: «كلُّ مَنْ عليها فانٍ»: إيجاز قِصَر وإيجاز حذف.

من خلال آية كريمةٍ (الرحمن/٢٧)، تُعزّي بأنّ مصير الأحياء الفناء، فناءُ أجسادِهم وبقاءُ أرواحهم.. وفي كلمة (عليها) إيجاز حذف أي على الأرض.

٥ ـ العتاب: **أَلَسْتُ صديقَك؟**: إيجاز قِصَر، تفصيله: إن كُنت صديقك فعاملني معاملة الصديق لصديقه.

٦ ـ التوبيخ: **قُبْحاً**: إيجاز حذف، الأصل: قبحتَ في نظري قبحاً.

٧ ـ الإنذار: **مَهْلاً، سَأُريك**: إيجاز حذف، سَأُريك شدّتي.

٨ ـ البلاغ العام: **العَصا لمن عَصىٰ: إيجاز قِصَر: العقوبةُ لمن يستحقُّها فهي تؤدّبه.**

ويبقى الاعتمادُ في تقديرِ مضمونِ جُمْلةِ الإيجاز على الذّوق والاطّلاع، والخصوصيّة التي يُدْركُها البليغُ لكلّ لفظٍ وعبارةٍ.

ج ـ الإطناب:

وفيه: تعريفُ الإطناب ـ أقسامُه ـ أشكالُه ـ أهمّ أغراضِه.

١ ـ تعريف الإطناب:

هو أسلوبٌ من التعبير يقوم على التفصيل في الشرحِ والتوضيح ضمن غايةٍ تلائمُ مقتضى الحال، وهو نقيضُ الإيجاز بمعناه العامّ ومعناه البلاغي، ولا يلجأ إليه المتكلم عن اضطرارٍ إليه، بل عن اختيارٍ يناسب الموقف. وهذه بعضُ الشواهد والأمثلة على الإطناب:

ـ قال تعالى يمنُّ على عباده المؤمنين بكرمه ومغفرته: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ..﴾ [سورة الشعراء: ١٣٢ ـ ١٣٤].

هاهنا في الآيات، إطناب وتفصيل في أمر المدد الذي أمدّ به الله عِبادَهُ المؤمنين.

ـ وقال رسول الله (ﷺ): «مثل الجليس الصّالح وجليسِ السّوء، كحامل

المِسْكِ ونافخ الكِير؛ فحامل المِسْكِ إمّا أن يُحذِيَك[1]، وإمّا أن تشُمّ منه ريحاً طيّبةً، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابَكَ وإمّا أنْ تَشُمّ مِنهُ ريحاً خبيثة».

هنا، لم يكتفِ رسول الله ﷺ بحكم بلاغته بأن يُحذِّرَ من جليس السّوء، بل تعرّض للتفصيل في إيذائه لمن يُعاشره بالمقارنة مع الجليس الصالح. ذلك من قبيل الإطناب البليغ.

ـ وقال امرؤ القيس[2] يشكو من غدر الأصحاب وتغيّرهم عليه:

إذا قُلْتُ هذا صاحبٌ قَدْ رضيتُهُ ... وقرّتْ به العينان بُدِّلْتُ آخرا

كذلك جَدّي[3] ما أُصاحِبُ صاحباً ... من الناس إلاّ خانني وتغيّرا

هنا، يُلاحظ إطناب الشاعر في شرح سُوءِ حظه في اختيار الأصدقاء، وفي انقلابهم عليه وتغيّرهم.

وقال ابنُ نُباتة السعديّ[4] مادحاً:

لم يُبقِ جُودكَ لي شيئاً أؤمّلُهُ ... تركتني أصحبُ الدُّنيا بلا أمَلِ

هنا، جاء الشطر الثاني من البيت شرحاً وإطناباً في معنى الشطر الأوّل ومع ذلك كان أجملَ وأكملَ تعبيراً.

٢ ـ أقسامُ الإطناب:

ما دام الإطنابُ كما عرفناه ضرباً من إطالة الكلام فهو بين أحد قسمين أو نوعين:

أ ـ الإطناب البليغ: وقد تقدّمت نماذج منه.

---

(١) يُحذِيك: يقدّمُ لك من عِطره ليساويك به، يُقاسِمُك.

(٢) امرؤ القيس: من أوائل فُحول الشعراء في الجاهلية ومقدّميهم، وصاحب المعلقة الأولى. طلب ثأر أبيه، وماتَ في بلاد الروم ٥٣٩هـ.

(٣) جَدّي: حظّي.

(٤) ابن نباتة: عبد العزيز، أبو نصر بن نباتة السّعدي شاعرٌ عاصر الدولة الحمدانية ومدح سيف الدولة، له أبيات طائرة الشهرة. توفي ٤٠٥هـ.

ب ـ الإطناب المعيب: ويقتصر على الإطالة وحدها من دون فائدة بلاغية وله عدة أسماء.

من أسماء الإطناب المعيب: الحَشو، التطويل، الهَلْهَلة. وهذه أمثلة على كلٍّ منها:

الحَشو: ومنه قول زهير بن أبي سُلْمى.

وأعْلَمُ عِلْمَ اليومِ والأمسِ قبلَهُ ولكنّني عن علمِ ما في غدٍ عَمِ

هنا؛ جاء الحشو في كلمة قبلَهُ إذ حَشَرَها بلا داعٍ لأن الأمْس هو اليوم الذي يسبِق اليوم الحاضر.

التطويل: وتكونُ فيه زيادةٌ غير متعيّنة وبلا فائدة كقول أحدهم:

دأبُ الكرامِ عطاءٌ لا تُقلِّدهُ وَدَأبُك الجُودُ والإغداقُ والكَرَمُ

هنا؛ جاءَ التطويل بما لا فائدة منه، وبتكرار المترادفات من الألفاظ؛ الجود، الإغداق، الكرم..

الهَلْهَلة وهي مرادف للسُّخف الذي تسقط به أهمية الكلام وتتحوّل إلى ضربٍ من العَبَثِ. قال أحدهم:

كأنّنا والماءُ مِنْ حَوْلِنا قَوْمٌ جُلوسٌ حولَهُمْ ماءُ

وينبغي أن نعلم أن عيوب الإطناب هذه تحطُّ بمنزلة الكلام، وتلغي ملاءمته لمقتضى الحال فيخرج عَنْ جملة الكلام البليغ.

٣ ـ أشكالُ الإطناب:

للإطناب وجوهٌ وأشكال مطروقةٌ، وهي عديدة سنقتصر على ذِكر أهمّها مع الأمثلة والشواهد:

١ ـ ذكرُ الخاصّ بَعْدَ العامّ: قال الشاعر:

أهلي؛ بنيّ ووالديّ وإخوتي وأنا بِهِمْ مِنْ فَرطِ حُبّيَ مُغْرَمُ

هنا؛ ذكر الأهل تعميماً ثم خصّص فيهم بذكر من عدّه منهم.

٢ ـ ذكر العامّ بعد الخاصّ:

وهذا كقولك داعياً: ربّ اغفِر لي ولوالديّ وللمؤمنين..

هنا؛ ذكر الداعي نَفْسَهُ ثم عمّم بالذكر، فذكَرَ والديهِ وغيرهُم.

٣ ـ الإيضاح بعد الإبهام: ومثالُه قولك:

شَمّر أخوك عن زنديْه، يستعدُّ للنزال والمصارعة.

٤ ـ التفصيل بعد الإجمال: ومثاله قولك:

الرجال اثنانِ: واحدٌ بألفٍ، وألفٌ بواحِدٍ.

٥ ـ التوكيد بالتكرار؛ نحو قولِك:

الويلُ لِعدوّ الوطنِ، الوَيْلُ له..

٦ ـ الاعتراضُ لغاية بلاغية. ومن هذه الأغراض التي يحققها الاعتراض:

أ ـ الدُعاء: ومثاله: قُمْ ـ أعانكَ الله ـ واسْتقبل ضيفك.

ب ـ التنبيه: ومثالُهُ: اعلمْ ـ وُقيت السّوء ـ أنّك مُهدّد.

ج ـ التنزيه: ومثالُهُ: كأنّ الله ـ سُبحانه ـ لا يعلم نواياهم.

د ـ الاستعطاف: ومثالُهُ: قِفْ ـ أجارك الله ـ في صفّي.

هـ ـ التّهويل: ومِثالُهُ: هذا كلامٌ ـ لو عقلت ـ يُكَلِّفُكَ ما لا تطيق.

٧ ـ الإيغال: وهو ختم الكلام بمبالغة ومثالُهُ قول المتنبّي:

كفى بجسمي نُحولاً أنني رجلٌ ... لولا مخاطبتي إيّاكَ لم تَرَني

٨ ـ التّذييل: وهو إتباع الجملة بجملةٍ تؤكدها وقد تصلح مثلاً يضرب. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة: ٧].

٩ ـ الاحتراس: وغايته دفع الوهم أو الظن ومثالُه قول الشاعر:

ألومُكَ ـ مَظْلوماً ـ لعلّ ملامَتي ... تُداعِبُ فِيكَ المُسْتَشارَ المُحبّبا

هنا: الاحتراس في الحال المعترضة (مظلوماً) فالملوم بلا ذنب.

١٠ ـ الإتمام: وهو زيادة فضلةٍ من الكلام على المُسند والمُسْند إليه، لغاية إتمام المعنى مما يُسْتَحْسَن: ومثاله قول الشاعر[١]:

أُحِبُّكِ حُبّاً ولكنّهُ كما شاءَ لي مَذْهَبُ الأتقياءْ
تُحدّثني بالِلّقا نزوةٌ ويمنَعُ عنّي العَفافُ اللّقاءْ
أنا رَاكِبُ السَمَوْجِ في زَوْرقٍ فَبَيْنَ القُنوطِ[٢] وبَيْنَ الرّجاءْ

هنا: جاءَ الإتمامُ في الأَشْطُر الأخيرة في الأبيات الثلاثة.

٤ ـ أهم أغراضِ الإطناب:

قد يُسْتحسَنُ الإطناب في بعض المواطن والمناسبات، كما يُسْتَحْسَنُ الإيجاز في مواطن ومناسباتٍ أُخرى. والمواطن التي تُسْتَحْسَنُ فيها الإطالة وتكون أبلغ من الإيجاز هي:

١ ـ المديح والتقرّب.

٢ ـ الهجاء المُزْري بالخصم.

٣ ـ الفَخْر على الأقران.

٤ ـ الموعظة والإرشاد.

٥ ـ الخطابة في جمهور يُبدي استحسانه للبلاغة.

٦ ـ التقارير وعروض الأحوال الموجهة إلى مراجعها.

٧ ـ الرسائل والبُحوث الأدبيّة والعلمية.

٨ ـ المقامات الحقيقية والمقلّدة لها لغرض اجتماعي..

٩ ـ أغراض أُخرى..

---

(١) عن «بُسْتان الغزل» مخطوط لصاحب التأليف: قدري مايو.

(٢) القنوط: اليأس، ضدّ الرجاء.

د ـ المساواة:

تعريفها ـ أقسامُها ـ أغراضُها.

١ ـ تعريف المساواة:

هي أُسلوبٌ قريبُ المتناول من أساليب البلغاء للتعبير عن خواطرهم وأفكارِهم. وبهذه الطريقة يؤتى بالمعاني على قَدْرِ الألفاظ، وبالألفاظ على قَدْرِ المعاني بلا فُرْصةٍ لحذفِ بعض الألفاظ من دون إخلالٍ وبذلك يكون تمامُ المعنى بتمام اللفظ الذي يؤدّيه.

وقد عرّفها القدماء بما يقارب هذا المفهوم فقالوا: إنّها المذهب المتوسّط بين الإيجاز والإطناب وكأنّ الألفاظ قوالب لاحتواء المعاني:

هذا، ومُعظمُ الواصل والمنقول من التراث المنثور، والمنظوم يأخذ بالمساواة مذهباً وطريقةً وأُسلوباً من أساليب التعبير، فلا يَعْسُرُ علينا ضربُ الكثير من الأمثلة على المساواة. وهذا بعض قليلٌ منها:

ـ قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١١٠].

ـ وقال رسول الله (ﷺ): «إنّ مِمّا أدركَ الناسُ من كلام النبوّة: إذا لم تَسْتَحِ فاصنَعْ ما شِئْتَ».

ـ قال طَرَفةُ بنُ العَبْد:

سَتُبْدي لكَ الأيّامُ ما كنت جاهِلاً ... ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

ـ وقال أبو فراس الحَمْداني:

سيذكُرُني قومي إذا جدَّ جِدُّهم ... وفي الليلة الظلماءِ يُفتقدُ البَدْرُ

ـ وقال عبد الله بن المقفّع[1] في إحدى نصائحه:

«ولا تخلُطَنّ بالجِدّ هَزْلاً، ولا بالهَزْلِ جِدّاً. فإنّك إنْ خَلَطْت بالجِدّ هَزْلاً

---

(١) عبدُ الله بن المقفع: أحد كبار أئمة النثر العربي، فارسيُّ الأصل. له من الكتب: الأدب الكبير والأدب الصغير وكتاب الحكايا الخالد «كليلة ودمنة» ترجمه عن الفارسيّة. قُتل سنة ١٤٢هـ.

هَجَّنَتْهُ[1]، وإنْ خَلَطْتَ بِالهَزْلِ جِدّاً كَدَّرْتَهُ».

٢ ـ أقسامُ المُساواة:

لم تعتمد كتبُ البلاغة هذا التقسيم ولكن النظر فيما تخلّف من آثارٍ اعتمدت المساواة يجعلنا نقسّم ما كتب بها إلى قسمين هما: المساواة البليغة، والمساواة البسيطة.

أ ـ المساواة البليغة: هي المساواة التي تُلبس المعاني قَدْرها المناسب من الألفاظ، وتدنو قدر المستطاع من الإيجاز ولا تستغني كلّياً عن صور البيان ومحسنات البديع ولكنها تجعلها في خدمة العبارة بلا إخلالٍ سببه التقصير، ولا هَلهلة سببها التطويل.. قالَ ابن زيدون:

غيظَ العدى مِنْ تساقينا الهوى فَدَعوْا ... بأن نَغصَّ، فقالَ الدَهرُ: آمينا

وقال أحمد شوقي في بيتٍ ذائعِ الشهرة:

ولِلحرّيةِ الحمراءِ بابٌ ... بِكلّ يَدٍ مُضرّجةٍ[2] يُدَقُّ

وقال محمود سامي البارودي:

إنَّ ذا الحاجةِ ما لَمْ يَغْتَرِبْ ... عن حِماهُ[3] مِثْلُ طيْرٍ في قَفَصْ

ب ـ المساواة البسيطة: هي المساواة التي تتناول شرح المعاني المباشرة لتسجيل الحقيقة بالاستغناء عن الخيال والتزيين والمحسّنات إلاّ عند الضرورة، وتصلحُ مركباً أميناً لما يعرف في الوقت الحاضر بالأسلوب العلمي. وهذا الأسلوب المعتمد على المساواة هو الدارج في الكتب المدرسيّة والمقالة الصحفية. وأمثلتها أكثر من أن تُحصى ومنها أن نقول:

الأرض كالكرة، تدورُ حول الشمس، بَرُّها خَمْسُ قارّات، وبحرها ثلاثة أضعاف البرّ مساحةً..

---

(١) هجّنتهُ: جعلته مُستهجناً قبيحاً.

(٢) مُضرّجة: ملطّخة بالدّم.

(٣) الحمى: هنا، الوطن.

٣ ـ أغراضُ المساواة:

ليس للمساواة من أغراض تتجاوز لفظها سوى إبلاغ الحُكم الذي في الجملة بأسلوب مجرّد، لا يعتمد البلاغيّات أوّلاً لأنها تستجرّ وراءها شكلاً من أشكال الإطناب، ولأنّ المساواة هي الجادة الوسطى بين أسلوبين هما الإيجاز والإطناب، كانَتْ سبيلاً من سُبل الإيضاح لمن يودّ معرفة الإيجاز والإطناب وتأدية عبارته بهما.

هذا، وإن معرفة المؤدّي البليغ من شاعرٍ وناثر، متى يوجزُ ومتى يُطنِب، ومتى يُساوي، هي بلاغةُ المعنى التي دار عنها حديثُنا في بحثٍ ضخمٍ من أبحاث علم المعاني وهو بحثنا الختاميّ: (الإيجاز والإطناب والمساواة).

هـ ـ بلاغة الإيجاز والإطناب والمساواة: (بوجهٍ عام).

يعترفُ الكثيرون بمقولةٍ مردَّدةٍ كثيراً وهي مقولة: «البلاغة الإيجاز» وقد نَصَح أحدهم بالإيجاز قائلاً: «عليك بالإيجاز، فإنّ له إفهاماً، ودَع الإطناب والتطويل فإنّ له استبهاماً» والاستبهام هو الاستغلاق والغموض. وقال آخر «قليلٌ كافٍ خيرٌ من كثيرٍ غير شافٍ» ونحن نردّدُ دائماً: «خيرُ الكلامِ ما قَلَّ وَدَلّ».

على أن الإطناب له بلاغته على قدر ما ينجح في نفي الغموض والإبهام، وعلى قدر ما يشفي النفوس بلذيذ العبارات والمعاني. والقدرةُ على الإطناب البليغ أصْعَبُ تمكّناً من الإيجاز البليغ. ذلك لأنّ الإطالة تدعو إلى الملل. فمن استطاع الإطالة في الكلام بلا إملال فهو سيّد البلغاء. وهذه صفة تحلّى بها الإمام علي بن أبي طالب في خطبه البليغة.

ويُعَدُّ القرآن الكريم ذروةً وقدوةً مُعْجِزةً في بلاغتها عند الإيجاز، وعند الإطناب، وعند المساواة، وهو بهذه المقدرة تحدّى ودعا البلغاء إلى اكتشاف أسرار بلاغته حتى ألّف فيها أحدُ كبار أعلام البلاغة كتاباً بهذا العنوان وهو الإمام عبد القاهر الجُرْجاني[١].. وجاء في القرآن الكريم ما يَصِف شأنه البلاغي المؤثر

(١) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، يعدُّ واضع أصول علم البلاغة وله فيها: «أسرار البلاغة» في علم البيان و«دلائل الإعجاز» في علم المعاني.. كانت وفاته عام ٤٧١هـ.

إلى أبعد حَدٍّ، حَدٌّ يفلقُ الصَّخر. قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الحشر: ٢١].

وبتعليقٍ بسيطٍ نقولُ: إنَّ دعوة الإنسان المارق إلى التفكّر والتدبُّر، تحتاجُ إلى الإطالةِ دونَ إملالٍ، وهذا ما قَدَرَ عليهِ القُرآن، حتى عندما لجأ إلى التكرار كما في سورة الرحمن التي تكررت فيها آيةٌ واحدةٌ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [سورة الرحمٰن: ١٣].

وتبقى المساواة حدّاً يُقاسُ عليهِ لأنّهُ الاعتدال بين الإيجاز والإطناب، وهذا ما قَدَر عليه القرآن الكريم أيضاً. والمجالُ يضيقُ عن إيراد الأمثلة، إلاّ إذا رَجَعْنا إلى الغيضِ الغزيرِ من الأمثلة التي أَوْردناها خلالَ صفحاتِ هذا الكتاب، الذي أردناهُ مرجِعاً للبلاغة العربيّة.

و ـ نماذج من الإيجاز والإطناب والمساواة:

١ ـ الإيجاز:

قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [سورة يوسف: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [سورة البقرة: ٣٥].

وقال رسول الله ﷺ: «الدينُ المُعاملةُ».

وقال رسول الله ﷺ: «لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ».

وقال الإمامُ عليٌّ بن أبي طالب (ﷺ): «الجِهادُ بابٌ من أبواب الجنّة».

٢ ـ الإطناب:

ـ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ

لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [سورة لقمان: ١٢].

ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٢٤].

وقال رسول الله ﷺ يعظ ابن عمّه عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما: إني أعلّمك كلماتٍ: «احفظِ الله يَحفظْك، احفظِ الله تجدْه تجاهك، إذا سألْتَ فاسألِ الله، وإذا استعنت فاستعِن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوكَ إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك. وإن اجتمعوا على أن يضرّوك بشيءٍ لم يضرّوكَ إلاّ بشيءٍ، قد كَتَبه الله عليك..».

ـ وقال بشّار بن بُرْد:

إذا كنتَ في كلّ الأمور مُعاتباً ... صديقَكَ، لم تلقَ الذي لا تُعاتِبُهْ
فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنّهُ ... مُقارفُ ذنبٍ مَرّةً ومُجانِبُهْ

٣ ـ المساواة:

قال الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: «إذا رأيتمُ الحربَ فاستهينوا بالموت، فَرُبَّ جبانٍ قد مات في عقر دارِهِ، وربَّ شجاعٍ قد كتبت لَهُ السّلامةُ».

وقال أبو الطيّب المتنبّي:

لَيْس مَنْ عِنْدَه تُدارُ المنايا ... مِثْلَ مَنْ عِنْدَهُ تُدارُ الشّمولُ[(١)]

وقال أحمد شوقي في شهيد مَيْسلون يوسُف العظمة:

أقامَ نهارَهُ يُلْقي ويُلْقى ... فلما زالَ قُرصُ الشّمسِ زالا

---

(١) الشَّمُول: الخمرة.

تطبيقات على أبحاث علم المعاني

الإسناد ـ الذكر والحذف ـ الخبر والإنشاء ـ التقديم والتأخير ـ القصر ـ الوصل والفصل ـ الإيجاز والإطناب والمساواة.

س ١ ـ ما هما ركنا الجملة باعتبار علم المعاني؟ هاتِ مثالين للإيضاح.

ج ١: ركنا الجملة باعتبار عِلم المعاني هما المسْند والمسند إليه ويقابل المسند الفعل أو الخبر، ويقابل المسند إليه الفاعل أو المبتدأ.

سبقَ الجَواد: جملة فعلية: مسند وَمُسْند إليه.

الجواد سابقٌ: جملة اسمية: مسند إليه ومُسْند.

س ٢ ـ ما هو الإسناد المُطْلق. وكيف يكون مقيداً؟ هات مثالاً للإيضاح.

ج ٢: الإسناد المطلق هو اقتصار الجملة على رُكْني الإسناد من مسند إليه ومُسْند. أمّا الإسناد المقيّد فهو الذي يشتمل على زيادةٍ لحقت بالمسند أو بالمسند إليه بغاية الإيضاح والتخصيص بشكل لا يُسْتغنى عنه.

الرجل الصادق محترم: خُصّص المسند إليه بالنعت وهذا إسناد مقيّد.

س ٣ ـ اذكر حالةً من حالات حذف المُسْند لغاية بلاغية، وهات مثالاً عليها.

ج ٣: يُحذف المُسْند أحياناً لضيق المقام عن التفصيل:

خَرَجْتُ فإذا السَّيْل...

س ٤ ـ اذكر حالةً من حالات حذف المسند إليه أحياناً لغاية بلاغية، وهاتِ مثالاً عليها.

ج ٤: يُحذف المُسْند إليه أحياناً لاستهوال الحَدَث.

كقولك: انفجرا انفجرا.

وأنت: تقصد انفجر البركان.

س ٥ ـ عرّف الخبر في مفهوم علم المعاني، وهات مثالاً عليه.

ج ٥: الخبر في مفهوم علم المعاني هو الكلام الذي يصِحُّ أن يقال لقائله صدقت أو كذبت. ومثالُه:

السّماء رماديّةٌ.

س ٦ ـ عدّد أضرب الخبر وهات مثالاً على كلٍّ منها:

ج ٦: أَضْرُبُ الخبرِ هي: الابتدائيّ، والطلبيّ، والإنكاري.

أ ـ طلعت الشمس: خبر ابتدائي.

ب ـ قد طلعت الشمس: خبر طلبي.

ج ـ إنّ الشمسَ قد طلعَتْ: خبر إنكاري.

س ٧ ـ ما هو الإنشاء بمفهوم علم المعاني.. هات مثالاً عليه.

ج ٧: الإنشاء بمفهوم علم المعاني هو الكلام الذي لا يصحُّ أن يُقال لصاحبه صدقت أو كذبت. ومثالُهُ:

لا تُصْغِ إلى النمّام.

س ٨ ـ هات مثالاً على تقديم المُسْند وبيّن الغاية من التقديم.

ج ٨: لله دَرُّكَ ـ هنا، الغاية من تقديم المسند التعجّب والمدح.

س ٩ ـ هاتِ مثالاً على تقديم المُسند إليه، وبيّنِ الغاية من تقديمهِ:

ج ٩: أخوكَ هو الناجحُ ـ هنا الغاية التشويق الى المتأخر.

س ١٠ ـ عرّف «القصر» بإيجاز وهات مثالاً عليه.

ج ١٠: القصر هو تخصيص شيءٍ بآخر بطرقٍ معروفة أهمُّها: النفي مع أداة الاستثناء كما في المثال:

لا يفوز إلاّ المُجِدُّ.

س ١١ ـ هات مثالاً على القصر وأشِرْ إلى كُلٍّ من المقصورِ والمقصورِ عليه.

ج ١١: المثال: إنّما الجاحظ كاتبٌ.

هنا الجاحظ مقصور.

كاتبٌ مقصور عليه.

س ١٢ ـ استخدم أحد حروف العطف في جملةٍ فيها قَصْر وأشِرْ الى المقصور والمقصور عليه.

ج ١٢: ما الأرضُ مُسَطّحةٌ بل كُرويّةٌ.

هنا: الأرض: مقصور.

كُرويّةٌ: مقصور عليه. .

س ١٣ ـ هاتِ مثالاً على الوصل بالواو وجوباً واذكر السبب.

ج ١٣: اللهُ يُحيي ويُميتُ.

هنا الوصل بالواو وقع وجوباً لاشتراك الجملتين (يحيي ويُميت) في الحكم الإعرابي.

س ١٤ ـ هات مثالاً على الفصل (عدم استخدام الواو) بين جملتين وجوباً، واذكر السبب.

ج ١٤: سألتهُ: هَلْ نَجَح أخوكَ؟.

هنا سبب الفصل كمال الانقطاع فالجملة الأولى خبرية، والثانية إنشائية.

س ١٥ ـ عرّف إيجاز القِصَر وهات مثالاً عليه.

ج ١٥: هو تضمينُ عبارةٍ قصيرة معنى أكبر من ألفاظها من غير حذف. ومثالُه قولهم: العدل أساسُ المُلْك.

س ١٦ ـ عرّف إيجاز الحذف وهات مثالاً عليه.

ج ١٦: هو إيراد العبارة أو بعضها محذوفاً منها ما يستدلُّ على فَهمه بقرينةٍ ما. ومثاله قَول من يجيب عن سؤال هل تحبُّ العِلْمَ؟ بـ«نَعَم». .

س ١٧ ـ عرّف الإطناب، وهات مثالاً عليه.

ج ١٧ : الإطْناب: زيادة اللفظ على المعنى الذي يحتويه لتحقيق فائدة بلاغيّة ومثاله قولك مع غاية الاحتراس:

دعوناك ـ وأَنْتَ أَهْلٌ ـ فلم تحضر لنجدتنا.

س ١٨ ـ عرّف المساواة في علم المعاني وهات مثالاً عليها.

ج ١٨ : المساواة هي إيراد المعاني على قدر الألفاظ، والألفاظ على قدر المعاني لتحقيق فائدة الكلام بلا إيجازٍ ولا إطناب. ومثالُها:

قرأت قصائد المتنبّي في مدحِ سيف الدولة الحمداني.

س ١٩ ـ قال أبو الطيب المتنبي:

لا تَـلْـقَ دَهْـرَكَ إلاّ غَـيْـرَ مُـكْـتـرِثٍ[1]   مـا دامَ يَـصْـحَـبُ فـيـهِ رُوحَـكَ الـبَـدَنُ

حوّل الإنشاء إلى خبر، والخبر إلى إنشاء في البيت السابق مع استبقاء المعنى مفيداً بليغاً.

ج ١٩ : أولاً ـ الإنشاء إلى خبر: لقيتُ دَهْري غَيْر مكترثٍ.

ثانياً ـ الخبر إلى إنشاء: ليصحب رُوحي بدني إلى ما شاءَ اللهُ.

س ٢٠ ـ أشِرْ إلى جملة القَصْر في البيت السابق، وحدّد طريقة القَصْر، وطريقة المقصور والمَقْصور عليه.

ج ٢٠ : جملة القصر: لا تلقَ دَهْركَ إلاّ غَيْر مكترثٍ.

طريقة القصر: النّهي[2] مع الاستثناء (مع إلاّ).

طرفا القصر: لُقياكَ للدهر: مقصور. عدم الاكتراث: مقصور عليه.

---

(١) مكترث: مهتمّ.

(٢) يقوم النهي مقام النفي في جملة الحَصْر أو القصر.

تمرينات على أبحاث علم المعاني

س ١ ـ حدِّد المُسْند والمُسْند إليه والفضلة فيما يلي:

قال الله تعالى في قصّة زكريّا عليه السّلامُ:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [سورة مريم ٤].

س ٢ ـ عدِّد ثلاثة من أنواع القَيْد ومثِّلْ لها في جملٍ مفيدةٍ.

س ٣ ـ ما أهَمّ مواطن حذف المفعول به، والغايات البلاغية منها؟ اذكر أربعةً منها في الأمثلة.

س ٤ ـ حدِّد الرُّكن المحذوف في بيت المتنبّي الآتي، وأشر إلى جملةٍ فعلية، وأخرى اسمية، مع ركنيها.

لولا المشقّة سادَ الناسُ كُلُّهُمُ　　　الجود يُفقِرُ والإقدامُ قَتّالُ

س ٥ ـ ما الفرقُ بين الجملة الخبرية والجملة الإنشائية من حيث دلالة كلٍّ منهما على الواقع؟ أوضحْ إجابَتَك بالمثالِ المناسب.

س ٦ ـ ما أغراضُ الخبر الأساسيّة؟ حددها ومثّل لها.

س ٧ـ هاتِ مثالاً بلاغياً للخبرِ الإنكاريّ، وانقله إلى خبرٍ طلبيٍّ ثم إلى خبرٍ ابْتدائي.

س ٨ ـ عدِّدْ خمسَةً من المؤكّدات ومثِّل لكلٍّ منها بجملةٍ بليغةٍ.

س ٩ ـ عدِّد فروع الإنشاء الطلبيّ، ومثّل لكلٍّ منها بجملةٍ بليغةٍ.

س ١٠ ـ عرّف القَصْر بإيجازٍ، وهاتِ مثالاً بليغاً عليه.

س ١١ ـ عدِّد طرقَ القصرِ الأساسية مشفوعةً بالأمثلة.

س ١٢ ـ استخدم القصر بإحدى الطُرق الملحقة، ثم أشر إلى المقصور والمقصور عليه في هذا الاستخدام.

س ١٣ ـ ما أقسَامُ القصر باعتبار طرفَيْهِ؟ أجِبْ مع الأمثلة.

س ١٤ ـ عدِّد أربعةً من معمولات الفِعْل واستخدمْها في جُملٍ مفيدة.

س ١٥ ـ قدِّم المفعول به على عامله الفعليّ في جملة بليغةٍ ثم بيّن الغاية البلاغيّة مِن هذا التقديم.

س ١٦ ـ ما هو الْوصْلُ؟ وما هي أداتُه؟ ومتى يقعُ وجوباً؟ عدِّد حالاتِ وجوبه مع الأمثلةِ.

س ١٧ ـ ما هُو الفَصْل؟ وما هي أداتُه؟ ومتى يقع وُجوباً؟ عدِّدْ حالات وجوبه مع الأمثلة.

س ١٨ ـ قارن بين إيجاز الحذف وإيجاز القِصَر من خلال مثالين وقدِّر المحذوف في إيجاز الحذف.

س ١٩ ـ عدد أربعة من أشكال الإطناب مع الأمثلة.

س ٢٠ ـ يستحسن الإطناب في بعض المواطن اذْكُر ثلاثةً منها ومثِّل لأحدها بمثالٍ بليغ.

س ٢١ ـ متى تكونُ المساواةُ أُسلوباً بليغاً في التعبير؟ هاتِ مثالاً عليها مما تحفظُ من المنظوم والمنثور.

مُلحَق
«المعين في البلاغة»

حَلّ أسئلة التمرينات الملحقة بدروس البلاغة

١ ـ تمرينات على التشبيه.

٢ ـ تمرينات على المجاز بأنواعه.

٣ ـ تمرينات على الاستعارة.

٤ ـ تمرينات على الكناية.

٥ ـ تمرينات على المحسنات اللفظية.

٦ ـ تمرينات على المحسنات المعنوية.

٧ ـ تمرينات على أبحاث علم المعاني.

١ ـ تمرينات على التشبيه

ج ١: التشبيه: إلحاق شيءٍ بآخر لعِلاقةِ مشابهةٍ بينهما وذلك بواسطة أداةٍ ظاهرة أو مُقدَّرة. ومثالُهُ: الطفلُ كالعصفورِ أو الطفل عصفور في نشاطه.

ج ٢: أركانُ التشبيه أربعةٌ هي: المشبّه، والمشبّه به، وأداة التشبيه، ووجهُ الشَّبه.

ج ٣: طرفا التشبيه هما المشبَّه، والمشبَّه به. وقد عُرفا بهذا الاسم لأنَّ بينهما تقومُ علاقةُ المشابهة.

ج ٤: كأنَّك الآس طيباً. كأن: أداة، الكاف ضمير المخاطب: مُشَّبه، الآسُ: مشبه به. طيباً: وجه الشَّبه.

كأنك الوردُ شَوْكاً: كأن: أداة. كاف الضمير: مشبّه. الورد: مُشبّه به. شوكاً وجه الشبه.

احتباسُكَ كعبرةٍ: احتباس: مشبّه. الكاف: أداة تشبيه. عَبرة: مشبه به.

أَنْتَ الصُّبحُ: أنت: مُشبّه. الصُّبْحُ: مُشبّه بهِ.

أنا كالورد: أنا: مشبّه، الكاف: أداة، الورد: مشبّه به.

النجوم كأنها عيوني: النجومُ: مشبّه. كأن: أداة. عُيون: مشبه به.

لمعت كبارق ثغرِكِ: الضمير في لمعت: مُشبّه. الكاف: أداة. بارق الثغر: مُشبّه به.

هو كالظبي لَفْتة وشروداً: هو: مشبه. الكاف: أداة. الظبي: مشبه به. لفتةً وشروداً: وَجْه الشبه.

ج ٥: البليغ: الوَجْهُ بَدْرٌ.

التمثيلي: التهيّب من الامتحان كالتهيّب من المعركة.

الضمنيّ: إذا غِبْتُ عنكَ افتقدتَني ولا عَجَب أن يُفتقد البَدْرُ.

المقلوب: البحرُ كحاتمٍ في الكرَم.

ج ٦: تزيين المشبّه: يتراشق كالغزال.

تقبيح المشبّه: يقهقه كالقرد.

بيان حال المشبّه: يبدو أصفر الوجه كالمريض.

بيان مقدار المشبّه: كلمةٌ طيّبة كعشر حسناتٍ.

بيانُ إمكان المُشبّه: لا عَجَبَ أَنْ تسبق غيرك والصاروخُ غيرُ السيّارة.

ج ٧: يُشْبه: الكتاب يشبه الصديق الصامت.

يُحاكي: الطفلة تُحاكي الزهرةَ على أمّها.

يُماثِلُ: الفتى يماثل النابغةَ في الذكاء.

ج ٨: شبيه: هذا البطل شبيه النمر قوّةً.

نظيرٌ: هذا الوجه نظير الكوكب تألّقاً.

مثيل: هذا الشاعر مثيل البلبل تغريداً.

ج ٩: ك: عُمَرُ كالسّيف شدّةً في الحق.

كأنّ: كأن خالداً سيفُ الله المسلولُ.

بِـ: عَصا المُحقّ بِسيفِ المُبْطِل.

ج ١٠: في البيت تَشْبيه بليغ. أركانه:

الوجه: مُشبّه.

المرآة: مُشبّه به.

وهو من النوع التمثيليّ أيضاً.

٢ ـ تمرينات على المجاز بأنواعِهِ

ج ١: مجاز عقلي علاقته السببيّة مثالُه:

بنى المنصورُ بغدادَ.

ج ٢: مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان، مثالُهُ: أراك تقاتل بالحديد المسلول «المقصود السيف وقد كان حديداً».

ج ٣: مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سَيَكون:

غداً تتخرّجون من الجامعة أطبّاء.

ج ٤: مجاز مرسل علاقته الكلّية:

لا فرق بين أن يكونَ مَشْرَبكَ بردى أو النيل.

ج ٥: مجاز مرسل علاقته الجزئية: مَنَعْتُ رِجْلَهُ عن الزيارة.

ج ٦: المجاز اللغوي التشبيهيّ هو الاستعارة. وهذا مثال:

حلّق الشاعرُ معَ الإلهام.

ج ٧: في قوله (رضَعَ الرجالُ)، مَجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون.

ج ٨: في قوله (أيها الطين)، مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان.

ج ٩: له وَجْهٌ مجاز مرسل علاقته الجزئية. له لسان: مجاز مرسل علاقته الآلية باعتبارِ اللسان آلة الكلام.

ج ١٠: المجاز العقلي: فتح خالدٌ العراق والشام.

المجاز المرسل: انتخب المجلسُ رئيساً لَهُ.

المجاز التشبيهي: لا تَطِرْ بِغَير جناحٍ أو معينٍ.

٣ ـ تمرينات على الاستعارة

ج ١: ركنا الاستعارة هما المُستعار والمستعار له ويُشبهان المشبّه بهِ والمُشبّه. وهذا مثال: ضَحِكَ لنا بَدْرُ السماء.

بَدْر السماء: مستعارٌ لَهُ. ضَحِكَ: مُستعار وهو من بعض لوازم المشبّه وهو الإنسان.

ج ٢: المجاز هو استعمال الكلام في غير ما وضع له في الأصل. وتُعَدُّ الاستعارة بعضاً من المجاز لانطباق التعريف عليها مع كونِ العلاقة بين المعنى المجازي والحقيقي للكلام علاقة مشابهة. كَأن تقول: (طارَ إليهِ) بمعنى أَسْرعَ. فالسرعة كالطيران، استخدم الكلام لغير ما وضع له في الأصل وهو تحليق الطائر على وجه الاستعارة.

ج ٣: الاستعارة تشبيه حذف منه وَجْهَ الشَبه والأداة وأحد الطرفين (المشبه أو المشبّه به) مع قرينة مانعة لإرادة المعنى الحقيقي من لفظ الاستعارة.

ج ٤: هي قسمان: تصريحية إذا صُرِّح فيها بلفظ المشبّه، مثل: زَارنا بحرٌ طلق المحّيا.

ومكنيّة: إذا حذف المشبه به واكتفي بشيءٍ من لوازمه. مثل: قذفنا بموجةٍ من عطائه.

ج ٥: أقسام الاستعارة بالاعتبار الصرفي الاشتقاقي، قسمان هي:

١ ـ استعارة أصليّة ويكون موضعها اسماً جامداً غير مشتق مثالها: سهر البَدْرُ معنا ونادمناه بالحديث.

٢ ـ استعارة تبعيّة ويكون موضعها فِعْلاً ومشتقاً. ومثالُها:

ارْتَجلَ الخطيبُ وزَأر في جُمهورِهِ.

ج ٦: الاستعارة باعتبار التلاؤم مع طرفيها ثلاثة أقسام هي:

١ ـ مرشحة إذا ذكر فيها ما يلائم المشبه بِهِ: كشّر عن أنيابه فعضّنا.

٢ ـ مجرّدة إذا ذكر فيها ما يلائم المشبّه: هَدَرَ بحجّته فأقنع العقلاء.

٣ ـ مُطلقة إذا خلت من أي تذييل يُلائم المشبه أو المشبه به: يا وَرْدةً بيننا. .

ج ٧: مثال الاستعارة التخييلية: لقد أكلَه النّدم وخلف فيه آثاراً شاهدة على الأسف.

ج ٨: مثال الاستعارة التمثيليّة: وافق شنٌ طبقة فتزوجتُما.

ج ٩: إجراء الاستعارة هو تحديد طرفها المصرّح به وطرفها المحذوف، مع ذِكْر الدليل اللفظي على هذا التحديد بما يشبه الإعراب في النحو.

أنشبت المنيّة أظفارها: استعارة مكنية، وإجراؤها كما يلي:

شبّه الموت بوحشٍ ذي أظفار، وحَذَفَ المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه على وجه الاستعارة المكنية.

مَدَّ البَحْرُ إلَيْنا عَوْنَهُ: حذف المشبّه، وصَرّح بالمشبه به وهو البحر على وجه الاستعارة التصريحية.

ج ١٠: تسمية الاستعارات على التوالي:

أ ـ تطوى في الليل: استعارة مكنيّة.

ب ـ لا تخطب الدنيا: استعارة مكنيّة.

ج ـ ابتسم لنا: استعارة مكنيّة.

د ـ الورود: استعارة تصريحية.

هـ ـ مرض قُرص الشمس: استعارة مكنيّة.

و ـ يجرح بقلمه: استعارة مكنيّة.

ز ـ الكرَمَ: استعارة تصريحية.

ح ـ لا تخرب دينك: استعارة مكنية.

ط ـ إرْتَدِ الأخلاق: استعارة تصريحية.

ي ـ طار الخبر: استعارة مكنية.

ك ـ فطامها: استعارة تصريحية.

ل ـ العَمود: استعارة تصريحية.

٤ ـ تمرينات على الكناية

ج ١: ركنا الكناية هما المعنى الظاهر، ولازم المعنى، أو الدليل والمدلول، أو الظاهر والمستنتج منه كما في المثال: هذا شاعِرٌ طويل النَّفَس.

المعنى الظاهر: طويلُ النَّفَس.

المحذوف (لازم المعنى): شِعْرهُ غزيرٌ وقصائده طويلة.

ج ٢: أقسام الكناية باعتبار لازم المعنى هي:

١ ـ كناية عن صفة ومثالها: هُوَ طويلُ اليد.

٢ ـ كناية عن موصوف ومثالها: جارُ الضلوع يخفق.

٣ ـ كناية عن نسبة ومثالُها: الكرمُ في راحَتَيْه.

ج ٣: يصحّ اعتبار (لازم المعنى) المقصود وحده بالكناية إذا تعلّقَ بصفات الخالق التي لا يجوز الأخذ بظاهرها. ومثال ذلك الآية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [سورة طه: ٥].

ج ٤: الكنايات على التوالي هي:

أ ـ كناية عن موصوف: (السفن).

ب ـ كناية عن صفة: الإسراف ثم البخل.

ج ـ كناية عن صفة: الانتماء إلى البشر والتواضع.

د ـ كناية عن نسبة: نسبة الصفات إلى ابن الحشرج.

هـ ـ كناية عن صفة الكَرَمَ: مكررة ثلاث مرّات.

و ـ كناية عن نسبة: مكررة مرّتين.

ز ـ كناية عن صفة: الكَرَم.

ح ـ كناية عن موصوف: لبنان.

ط ـ كناية عن موصوف: مكررة مرتين (الإنسان، النعش).

ي ـ كناية عن موصوف: المرأة المصون أو العفيفة.

ج ٥: مثال الكناية من قبيل التعريض: أن تقول لمن يفشل في أداء العمل: أَعْطِ القَوْسَ باريها.

ج ٦: كناية من قبيل التلميح: هو مرهوب الجانب:

ج ٧: كناية بغاية الإيماء أو الإشارة: إذا أرادَ بلغَ ما يريد.

ج ٨: كناية الرّمز: إنّ حارسَك مفتوحُ العين.

ج ٩: طِرْنا من مدينة المرجة إلى عاصمة الأرز إلى مدينة النور. هنا؛ العواصم: دمشق، بيروت، باريس.

ج ١٠: جعلتُ الزهرة في مُتناولي وشممتُها بِمِنْخَري من المُتنفَّس إلى عمق جارة القلب.

هنا؛ المتناَول: اليد أو قبضتها. المنخر: الأنف. المتنفس: الأنف. جارة القلب: الرئة.

٥ ـ تمريناتٌ على المحسّنات اللفظيّة

ج ١: يقوم علم البديع على نوعين من المحسّنات هما:

المحسنات اللفظيّة: كالسّجع والجناس.

والمحسّنات المعنوية: كالطباق والتورية.

ج ٢:

من المحسنات اللفظية: السّجع، الجِناس، التوازن، الازدواج، الاقتباس والتضمين..

من المحسنات المعنوية: الطباق، المقابلة، التورية، حُسن التعليل، مراعاة النظير..

ج ٣: وجدتُ هذا الرَّجُلَ الكتّاس، يبْدو ليس كالنّاس، في رقة المشاعر والإحساس..

ج ٤: التّرصيع: ضربٌ من المحسنات اللفظية يكون بتوافق فواصل الكلام سَجعاً مع تقاربها وزناً، وميدانه النثر. ومثالُهُ: الصّبرُ جميل، لكنّه قليل..

أما التصريع فهو توافق شطري البيت في حَرْف الرويّ، كقول الشاعر:

لِكُلِّ شيءٍ إذا ما تمّ نُقْصانُ　　　فلا يُغرّ بطيبِ العيش إنْسانُ

ج ٥: الفرق بين الاقتباس والتضمين أنّ الأول يكون في تضمين الكلام آية قرآنية أو جزءاً منها. أو حديثاً نبوياً، في حين أنّ الثاني هو أخذُ شاعر من شاعر آخر فمثال الأول قول البهاء زهير:

سأدعو على الجُرْدِ الجيادِ لأنّها　　　سرت فأتَتْ بي «وادياً غيرَ ذي زرع»

حيث اقتبس ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ من الآية ٣٧ من سورة إبراهيم.

ومثال التضمين قول الشاعر:

لأنّي أسيرٌ في هواكِ مُسَهّدٌ　　　«دعوتكِ للجَفْنِ القريحِ المُسَهّدِ»

فالشطر الثاني من هذا البيت هو الشطر الأول من قول أبي فراس الحمداني:

دعَوْتُك للجَفْنِ القريحِ المُسَهّدِ　　　لديّ وللنوم القليلِ المُشَرّدِ

ج ٦: قال أبو العلاء المعرّي في لزوميّاته:

إذا رَقيَ الفتى رُتَبَ المعالي　　　فمِثْلُ هُبوطِهِ ذاك الرُّقيُّ

ويحسَبُ بعضُنا أنْ قد أتاهُ　　　نعيمٌ، وهو لو يدري شقيُّ

ج ٧: قال الشاعر:

إنـي أقرَبُ في النعيمِ قرابتي　　　وقرابتي في شقوتي تُقْصيني

ج ٨:

أ ـ في الحديث: سجع، توازن.. وازدواج جُملي.

ب ـ في كلام العرب: ازدواج بين زاي وزاي، ووراء وراء.

ج ـ في بيت الخنساء: ترصيع بين نجاد، عماد، رماد.

د ـ في بيت الشاعر: تضمين شطر من ابن زيدون.

هـ ـ في بيت المعرّي: تصريع.

و ـ في بيت ابن سناء المُلك: اقتباس من القرآن الكريم.

ز ـ في بيت ابن المعتزّ: جِناس ناقص بين أُمنيّة ومنيّة.

ج ٩: الموارية: حُسْن التخلص بالعبث ببعض الألفاظ إملاءً للوصول إلى غاية ذكيّة ومثالُها:

أرى شِعري ببابِكُمُ وَضِيئاً ... كما شاءت إرادَتُكُمْ وضيعاً

الموارية بين وضيعاً ووضيئاً، عند خوف الغضب.

ج ١٠: المحسنات اللفظيّة هُنا:

حلَبْتُ ـ حَلَبَ: جِناس تامّ.

حَلَبَ ـ صَفا حَلَبي: جِناس تامّ.

٦ ـ تمرينات على المحسّنات المعنويّة

ج ١: المحسنات المعنوية على التوالي هي: أ ـ مقابلة. ب ـ طباق. ج ـ مشاكلة. د ـ مراعاة نظير. هـ ـ الذمّ بما يشبه المدح.

ج ٢: كرة القدم مَضيعةٌ للوقت.

كرة القدم مصرفة للمَقْت.

ج ٣: زرتنا أيّها العيد، فكان مَطرُ السماء مبشّراً بقدومك.

ج ٤: أرى بعضهم يصومُ عن الطعام والماء، ويفطر على الوقاحة والبذاء[1].

ج ٥: أسمّيها (المدح بما يشبه الذم) ومثالُها:

(١) البذاء: سلاطة اللسان، والإفحاش في القول.

لطيفُ الشمائِلِ مَقبولُها ولكن يَعيبُك عِندي الكَرَمْ

ج ٦: قال أحمد شوقي يخاطبُ أبناء سوريّة إبّان الثورة على الفرنسيين:

وقفتُمْ بينَ مَوتٍ أو حياةٍ فإنْ رُمْتُمْ نَعيمَ الدَّهرِ فاشْقَوا

تَمثّل ائتلاف اللفظ مع المعنى في هذا البيت بوضوح العبارة لفظاً ومعنًى، وبترجمة معنى الكفاح الوطني إلى الشقاء في سبيلِ الحريّة وهذا الموقف موقف اختيار بين موتٍ وحياة.

ج ٧:

- الصدق والكذب لا يجتمعان في إنسان محترم.
- الإحسانُ يمحو الإساءة.
- عامِل الأصدقاء بالمودّةِ ولا تبدأهُمُ الجفاءَ.
- نظافةُ الثّوْبِ تنمُّ عن نفسٍ تكرهُ القذارة.

ج ٨: المقابلة:

أصِل إلى المدرسة مُبكراً وأنا أحملُ حقيبتي، ويصل زيدٌ إلى المدرسة متأخراً ولا يحمل معه حقيبته.

ج ٩: شرح البيت: أنت رجلٌ جمُّ العطاء لأنك كريم بطبعك فكأنك المطر الذي ينهمر بلا إبراقٍ ولا إرعاد.

أمّا المحسّنات في البيت فأهمّها:

١ ـ مراعاة نظير بين الديمة والبرق والرعد.

٢ ـ رد العجز على الصدر.

ج ١٠: وصفُ الربيع مع المحسّنات:

دفءُ الربيعِ يتفشّى في بَرْدِ الشتاء، فينتصر الدفءُ وينهزمُ البرد، فيحلو من الحياة ما كان مُرّاً، وتكتسي الأشجارُ أوراقاً وزَهراً. وبين طيورٍ وزهور، يكون لنا انتشاء[1] بلا رِشاء[2]، واحتفاء[3] بلا اكتفاء.

---

(١) انتشاء: مَرَح ومسرّة.

(٢) الرِّشاء: الحبل الممدود.

(٣) الاحتفاء: الاهتمام والترحاب.

هنا؛ دفء الربيع، برد الشتاء: مقابلة.

ينتصر الدفء، ينهزم البرد: مقابلة.

يحلو، مُرّاً: طباق.

مُرّاً، زَهْراً: سجع.

طُيور وزُهور: ازدواج.

انتشاء، رِشاء: ازدواج.

احتفاء، اكتفاء: ازدواج.

جُملة يحلو.. مع جملة تكتسي..: توازن.

٧ ـ تمرينات على أبحاث علم المعاني

ج ١: قال الله: قال: مُسْنَد، اللّهُ: مُسند إليه.

عليه السّلامُ: عليه: مسند، السلامُ: مسند إليه.

قالَ (هو): قال مُسْند، الضمير المستتر هو: مسند إليه.

إني وهن..: اسم إنَّ: مسند إليه. جملة وهن: مُسْند.

وَهَنَ العَظْم: وهَنَ: مُسْند. العظمُ: مسند إليه.

اشتعل الرأس: اشتعل: مُسْند. الرأسُ: مسند إليه.

لم أكُنْ شقيّاً: اسم (أكنْ): مسند إليه. شقيّاً: مُسند.

منّي: فضلة، شبه جُملة.

شيباً: فضلة، تمييز، أو حال مؤوّل بمشتق.

بدعائِكَ: فضلة، شبه جملة.

ج ٢: من أنواع القَيْد: المفعول به، الحال، المفعول المطلق.. وهذه أمثلة:

شاهَدَ الغلامُ شيخاً: مفعول به.

مشى الشيخُ متوكّئاً على عَصاً: حال.

انحنى ظهرُه انحناءً: مفعول مطلق.

ج ٣: من أهم مواطن حذف المفعول به وغاياتها البلاغية ما يلي:

١ ـ إثبات الفِعْلِ للفاعلِ مثل: الله يُحيي ويُميت.

٢ ـ التعميم بلا تخصيص: مثل: الله إذا أعطى أدهش.

٣ ـ إثارة الانتباه إلى المحذوف: قال رسول الله (ﷺ): «كُلّ أُمتي يدخلون الجنّة إلاّ مَنْ أبى».

ج ٤:

الرُكْن المحذوف هو المُسند في الجملة الاسمية: لولا المشقّة.

سادَ الناسُ: جملة فعلية فيها: سادَ مُسْنَد، الناسُ مُسند إليه.

الإقدامُ قتّالٌ: جملة اسميّة فيها: الإقدامُ: مُسند إليه. قتالٌ: مسند.

ج ٥: الجملة الخبرية يحتملُ إطلاقَها الصدق أو الكذب، والجملة الإنشائية لا يحتمل إطلاقها صِدْقاً ولا كذباً.

مثال الخبريّة: الصِّدقُ يُنجي صاحبه.

مثال الإنشائية: قُل الصِّدقَ.

ج ٦: أغراض الخبر الأساسيّة غرضان:

١ ـ فائدة الخبر وهي اطلاع السامع على خبر لا يعرفه من قبل: عادَ أبوك.

٢ ـ لازم الفائدة وهو اطلاع السامع على ما هو عارفٌ بِهِ: تَبْدو مُتْعَباً.

ج ٧: مِثالُ الخبر الإنكاري:

إنّـي لـقـد أحـبـبـتُـه   وَطـنـاً لأبـنـاءِ الـكـرامِ

قد أحببتُ وطني: خبر طلبي.

أُحبُّ وطني: خبر ابتدائي.

ج ٨: من مؤكدات الخبر: إنّ أو أنّ، القَسَم، نون التوكيد ثقيلةً أو خفيفة، لام الابتداء، الحروف الزائدة.. وهذه أمثلة عليها:

أ ـ إنَّ: إنّ اللّهَ عزيزٌ قدير.

ب ـ القَسَم: والله، لأُحِقّنَّ الحقَّ.

ج ـ نون التوكيد: لأكرمنَّ من أكرمني.

د ـ لام الابتداء: لأنتَ ضَيْفٌ عَزيزٌ.

هـ ـ أحد الحروف الزائدة: مَا لَكَ مِنْ مُنافِسٍ.

إذا ما جِئْتَ أُكْرِمْت.

ما كُنْتَ بِمَرْدودٍ.

ج ٩: فروع الإنشاء الطلبي: الأمر، النهي، الاستفهام، التمنّي، النداء وهذه أمثلة عليها:

أ ـ الأمر: جُدْ بالعفو على من اعتذر.

ب ـ النّهي: لاتَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مِثلَهُ.

ج ـ الاستِفْهام: هل اتّعظت بما جرى لأخيك؟.

د ـ التمنّي: لَيْتَ الشّبابَ يعودُ.

هـ ـ النداء: يا طالبَ العِلْم، يا أملَ الأمّة..

ج ١٠: تعريف القصر: أسلوبٌ بلاغيٌ يفيد تخصيص طَرَفٍ بآخر من صفةٍ أو خبر أو فِعْل، وذلك كضَرْبٍ مِنَ التوكيد للخبر. ومثالُه: ما بشّارٌ إلاّ شاعِرٌ.

ج ١١: طرق القصر الأساسيّة مع أمثلتها كالتالي:

أ ـ النفي مع الاستثناء: ما نَجَح إلاّ أخواكَ.

ب ـ القصر بـ إنّما: إنّما أنتَ المُقصّرُ.

ج ـ القَصْر بأحد حروف العطف (لا، بل، لكن).

أَنْت نادمٌ لا فرِحٌ. كُنْ مُجِدّاً بَلْ متفوّقاً. إنّكَ قادرٌ على النجاحِ لكنْ كسولٌ.

د ـ القَصْر بتقديم ما حقه التأخير:

﴿إيّاك نَعْبُدُ، وإيّاكَ نستعين﴾.

الغايةُ من تقديم المفعول به (عيوبك) تخطئةُ المُخاطب وإصلاحُهُ بأن ينقد عيوبه بنفسه.

والغاية من تقديم المفعول به (غيرك) تخصيصه بالفعل ليقع التسامح على الآخرين.

ج ١٢: القَصْر باستخدام ضمير الفصل:

اللّهُ هو التوّاب الرحيم.

الحرّيّةُ هي مطلبُ الأحرار.

الخاطئون هم النادِمون.

ج ١٣: أقسامُ القَصْر باعتبار طرفيه لا تجاوز قسمين هما: قَصْرُ صفةٍ على موصوفٍ، وقصر موصوف على صفةٍ.

أ ـ قَصْر صفةٍ على موصوف: لا عادِلَ إلا عُمَرُ.

ب ـ قصر موصوفٍ على صفةٍ: ما عُمَرُ إلاّ مِثالٌ للعَدْلِ.

ج ١٤: من معمولات الفعل:

المفعول به، المفعول المطلق، المفعول لأجله، الحال. وهذه أمثلة عليها:

أ ـ المفعول به: اللّهُ يكفي عبادَه.

ب ـ المفعول المطلق: يَسْعَوْن للرِّزق سَعْياً حثيثاً.

ج ـ المفعول لأجله: يبكُرونَ التماساً للرزق.

د ـ الحال: خرجوا مِنْ بُيوتهم متفائلين بالخير.

ج ١٥: عُيوبَكَ فانتَقِدْ، وغَيْرَكَ فسامِحْ.

ج ١٦: الوَصْل هو تعاطف جملتين متواليتين بوساطة (واو العطف) وليس سواها من حروف العطف فأداته هي (الواو) حَصْراً ويقع الوَصْلُ وجوباً في ثلاث حالات هي:

أ ـ إذا قُصد إشراك الجملتين في حكم إعرابيٍّ نحو:

دَخَلَ يضحَكُ ويُقَهْقِهُ.

ب ـ إذا اتَّفقت الجملتان خبراً أو إنشاءً بلا داعٍ يوجب الفصل نحو:

تعلَّمِ العِلْمَ وعلِّمْهُ كي تُثابَ وتؤْجَرَ.

ج ـ إذا اختلفت الجملتان خبراً وإنشاءً وأوهم الفصل بينهما خلاف المقصود أو ضِدّهُ. نحو:

قام المريضُ عافاهُ الله. عافاه هنا خبر يفيد الإنشاء بمعنى فليعافِهِ الله.

ج ١٧: الفصل هو ترك العطف بين جملتين متعاقبتين وواسطته إلغاء واو الوصل، ويقع وجوباً في ثلاث حالاتٍ هي:

أ ـ أن يكون بين الجملتين كمالُ اتصال كأن تقع الثانية توكيداً أو بياناً أو بَدَلاً من الأولى. نحو: كُنْ مُنصِفاً للمظلوم، أيِّدْ موقفه.

ب ـ أن يكون بين الجملتين تباين تام باختلافهما خبراً وإنشاءً دون أن تكون بينهما

مناسبة. وهذا ما يُسمّى بـ كمال الانقطاع ومثالُهُ:

احفظ: العِلْمُ نورٌ والجَهْل ظلامٌ.

ج ـ أن تقع الجملة الثانية موقع جوابٍ عن سؤالٍ كأنّما أفادته الجملة الأولى، وهذا ما يسمّى بـ شبه كمال الاتّصال. نحو:

تلبّدت السماء بالغيوم، قد تُمطِر بَعْدَ قليلٍ.

ج ١٨:

أ ـ إيجاز الحذف: تعالَ وإنْ مُتأخّراً.

ب ـ إيجاز القِصَر: الإنسان عَبْدُ الإحسان.

تقدير المحذوف في إيجاز الحذف: (وإنْ جئتَ متأخراً فتعال) حذف فِعل الشرط وجوابه.

ج ١٩: أربعة من أشكال الإطناب:

أ ـ ذكر الخاص بعد العامّ: كلُّ الناس ـ وأنا منهم ـ يحبّون الكريم.

ب ـ ذِكر العام بعد الخاص: لي ولإخوتي ولزملائي وَلَع بالرياضة.

ج ـ التوكيد بالتكرار: الحريّةُ الحريّة حياة الرّوحِ والبدنِ.

د ـ التفصيلُ بعدَ الإجمال: الدهر يومان: يوم لك ويومٌ عليك.

ج ٢٠: من المواطِن التي يُسْتَحْسَن فيها الإطناب:

أ ـ المديح والتقرّب إلى الممدوح.

ب ـ الهجاء المُزري بالخَصْم.

ج ـ الفخر على الأقران.

د ـ ...

قال أبو العلاء المعرّي مفتخراً بنفسه أيام شبابه:

لِيَ الشّرَفُ الذي[1] يطأُ الثُريّا[2] ... مَعَ الفَضْلِ الذي بَهَر العِبادا
ولي نَفْسٌ تَحُلُّ بِيَ الرّوابي ... وتأبى أنْ تَحُلَّ بِيَ الوِهادا[3]

---

(١) يطأ: يدوسُ.
(٢) الثريّا: مجموع كواكب عُدّتْ مثلاً للارتفاع.
(٣) الوِهاد: المنخفضات، نقيض الروابي.

ج ٢١ : تكونُ «المساواة» أُسْلوباً بليغاً في التعبير عندما تأتي بالألفاظ على قدر المعاني دون استغناءٍ عن صُورِ البيان ومحسّناتِ البديع، بل تجعلُها في خدمة العبارة: قال طرفة بن العَبْد:

سَتُبْدي لكَ الأيّامُ ما كنتَ جاهِلاً ... ويأتيكَ بالأَخْبارِ مَن لَمْ تُزوِّدِ

المحتويات

القسم الثالث: علم المعاني